

الْمُؤْمِنُ  
عَلِيُّ  
أَبُو عَلِيٍّ

## المحاضرات

تحقيق

جستین ستیرنز

المجلد الأول



# المحاضرات

أبو علي الحسن اليوسي

المجلد الأول



# تحقيق

جستين ستيرنز

تُطلب النسخة الكاملة للشراء -

بنص الكتاب المحقق مع الترجمة الإنجليزية والمقدمة وكلمة  
عن المخطوطات المستعملة والمواثي والمصادر -

من المكتبة العربية

([www.libraryofarabicliterature.org](http://www.libraryofarabicliterature.org))

## المكتبة العربية

تهدف المكتبة العربية التي تم إنشاؤها بموجب مخة مقدمة من معهد جامعة نيو يورك أبو ظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيو يورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربي باللغتين العربية والإنجليزية. فتقوم مجموعة من الباحثين المؤمنين في مجال الدراسات العربية والاسلامية بإعداد النصوص بحيث يتم عرض المتن العربي الحقيق وترجمته الإنجليزية في صفات مماثلة من الجلد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربية إلى حقبة ما قبل الإسلام حين تعود أحدها إلى مستهل العصر الحديث. كما تضم المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه والفقه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعية وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصة والحكاية.

تدبر المكتبة العربية مجموعة من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم منهم أعضاء لجنة التحرير وهم فيليب كينيدي من جامعة نيو يورك والذي يعمل محراً عاماً، ثم جيمس مونتكري، أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبريدج، وشوكت محمود تراوا، أستاذ مشارك في الدراسات العربية والاسلامية في جامعة كورنيل، وللذان يعملان محرين تفزيذيين، ثم جوليا بري (جامعة أكسفورد)، ومايكل كوبسن (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس)، وجوزيف لاوري (جامعة بنسلفانيا)، وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو)، وديفين ستورت (جامعة أموري). ويشترك المحررون الثانية في اختيار النصوص وتقدير المترجمين ومقابلة المخطوطات والمراجعة النهائية للنصوص الحقيقة والترجمة، كما تقوم لجنة دولية مشكلة من سبعة وعشرين عضواً بتقديم النصائح ووضع المخطوط العريضة لتطور السلسلة على المدى البعيد.

تعتبر المكتبة العربية السابقة من نوعها حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبرى تضم نصوصاً عربية ذات قيمة مرجعية تصاحبها ترجمات إنجليزية تتضمن بحثاً في الصياغة وسلامة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلاب وجمهور القراء غير المتخصصين بموروث الأدب العربي.

## كلمة عن إثبات النص العربي

كما شرحت في المقدمة للترجمة والتحقيق الأصلي اعتمدت في إثبات النص على نص المحاضرات  
للمحقق محمد جحي وأحمد الشرقاوي اللذان اعتمدَا على المخطوطات التالية:

هذه المخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية المغربية في الرباط (٣٢) في مجموعة بعنوان  
«ديوان اليوسى».

هذه المخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية المغربية في الرباط (٢٣٢٩).

هذه المخطوطة محفوظة في المكتبة الخاصة للكاتب والمؤرخ أنسوس.

وقارنت نصهما بالمخطوطتين التاليتين:

هذه المخطوطة محفوظة في مؤسسة الملك عبد العزيز في الدار البيضاء (٣٦٧).

هذه المخطوطة محفوظة في مؤسسة الملك عبد العزيز في الدار البيضاء (١٠٠١/١).

المحاضرات  
المجلد الأول

الحمد لله الذي أنزل من سماء رحمته غيثاً نافعاً فأنبت به في قلوب عباده زهراً ناضراً  
وثيراً يانغاً. [بسط]

١٦١

رَهْرُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ مُؤْتَلِقٌ  
فِي الظَّرْسِ وَالْفَقْسِ يَسْتَهْدِي بِالْوَانِ  
مِيرٌ وَلَا يَجْتَنِيَهُ أَفْدَمُ وَالْوَانِي  
قُدْمًا بِحَلْبٍ دُرُورٍ مِنْهُ مِلْبَانِ  
لَا يَتَنَّى مِثْلَهَا فِي دَهْرِهِ الْبَانِي  
مَحْضُ الدِّيْزِيْنِيَّ مَا لَهُ فِي فَضْلِهِ ثَانِ  
وَلَا يَكُنْ لَكَ عَنْ تِظَالِبِهِ ثَانِ  
وَاعْلَمُ بِأَنَّكَ لَنْ تَخْطُلِي بِصَهْوَتِهِ<sup>١</sup>  
حَقَّ تَجُوزُ الْمَدَى فِي كُلِّ مَيْدَانِ  
مَا لَمْ شَخَّ عَلَيْهِ كَمَا شَجَرَ  
يُرْجِي الْجَنِيَّ مِنْهُ أَرْضِيَّ وَغَيْدَانِ  
وَبَنْدُلِ الْنَّفَسَ بَعْدَ الْمَكَالِ مُطَرِّحًا  
لِكُلِّ تَرْفِيَهٍ أَرْوَاحَ وَأَبْدَانِ  
وَقَتْرِبَ بُرْهَةً فِي كُلِّ الْفَةِ  
مِنْ ذَاتِ قُرْبَى وَأَوْطَانِ وَإِخْوانِ

٢٦١

والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بنبوع الأحكام والحكم ومجموع شيم  
الفضائل وفضائل الشيم وعلى آله ذوي الجد والكرم وصحبه بحور العلوم ونجوم الظلم.  
أما بعد فإن الدهر أبو العجائب وينبوع الغرائب وفي المثل الدهر جبلى لا يدرى ما  
تلد. وقال الشاعر: [خفيف]

وَاللَّيَالِي كَمَا عَلِمْتَ حَبَالَيْ  
مُقْبِيَاتٍ يَلْدَنَ كُلَّ بَعْيَاهْ

وقال طرفة: [طويل]

سَتُبَدِّي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَاتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوْدِ

٢٠١ وإن للعاقل على مرور الجديدين علماً جديداً حيث انتهى فهمه كالله عيش حيث تهدي ساقه قدمه. وكنت قلت في نحو ذلك: [هنج]

أَرَانِي حَيْثُمَا أَخْطُ  
أَجِدْ مَا لَمْ أَجِدْ قَطْ  
وَإِنَّ الدَّهْرَ حَبْلٌ كُلَّ  
مَا حَيَنَ لَهُ سِقْطُ  
لَقْدْ سَايَرْتُهُ طِفْلًا  
إِلَى أَنْ مَسَّنِي وَخُطُ  
فَلَمْ يَشْفَعْ يَشْتَدَّ  
عَلَى الْمَرْءِ وَيَشْتَطِ  
فَلَمْ يَأْلِ إِذَا أَسْتَغْلَ  
يَسُومُ الْهُوْنَ أَوْ يَسْطُوْ  
لَهُ فِي كُلِّ أُذْنٍ مِنْ  
يَنِي أَبْنَائِهِ قُرْطَ  
وَفِي كُلِّ قَذَالٍ وَسَ  
مَةٌ بِالثَّارِ أَوْ شَرْطَ  
وَقَدْ يَحْبُو لِمَنْ يَعْطُوْ  
سَمَاءُ دِيمَةٌ تَأْتِي  
بِرَهْرَهٍ رَهْرُهَا رُقْطُ  
فَمُحْمَرٌ وَمُصْفَرٌ  
وَمَوْفُورٌ وَمُنْقَطُ  
وَمُسْتَعْلِي وَمُخْطَ  
وَمُنْقَادٌ وَمُعْوِجٌ  
وَمَجْدُودٌ وَمَحْرُومٌ  
وَكَلْمَلُوكٌ أَوْ سَبْطُ  
قَضَاءٌ مُبْرَمٌ مِمَّنْ  
إِلَهٌ أَمْرُهُ الْأَمْرُ  
وَمِنْهُ الْرَّفْعُ وَالْخَطُ  
وَمِنْهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ  
لَهُ فِي كُلِّ مَا يَوْمٌ  
شُوْفُونٌ مِنْهُ تَخْتَطِ  
وَذُو الْفَهْمِ لَهُ عِلْمٌ  
جَدِيدٌ حَيْثُمَا يَخْطُوْ

١: ق: ولم يألف إذا الله تعالى يوم الهؤلاء ووسط. ٢: ط: محيسن ومسود.

فَكَرْ وَاعْتَرْ تَعْلَمْ عُلُومًا دُونَهَا الضَّبْطُ  
 وَتُدْرِكْ غَيْرَ مَا فِي الصُّحُفِ فِي يَوْمًا خَلَدَ الْخَطُّ  
 وَسَلَمْ وَارْضَ بِالْمَقْدُورِ رَلَا يَدْهَبْ بِكَ السُّخْطُ  
 وَلَا تَبْرَمْ إِذَا الْمَوْتَى يَشُدُّ الْجَبَلَ أَوْ يَمْطُرُ  
 فَمَا تَرْجُو مِنَ الرَّضْوَانَ أَنْ تَرْضَى لَهُ شَرْطُ

١٠٢ وإن قد اتفقت لي سفرة بان بها عني الأهل شغلاً وتائياً وزايلني العلم تصنيفاً وتدريساً. فأخذت أرسم في هذا المجموع بعض ما حضرني في الوطاب مما أحال فيه أو حان له إرطاب وسيته الحاضرات ليوافق اسمه مسماه ويتضمن عند ذكره معماه. وفي المثل خير العلم ما حضر به وإنما أذكر فيه فوائد وطرفاً وقصائد ونقاً وذلك مما اتفق لي في أيام الدهر من ملح أو لغيري مما ينتقي وستعمل ولا أذكر نادرة فيها معنى شريف إلا شرحته ولا لطيفاً إلا وشحته وذلك هو لباب الكتاب وفائدة الخطاب والله الملاهم للصواب.

٢٠٢ وقد أذكر بعض ما صورته هرل يستحسن وفيه سر<sup>١</sup> يستحسن وكأن المقصود من الأشجار ثمارها فالمطلوب من الأخبار أسرارها. وإنما حملني على الأخذ فيه أمور منها التقاديم من البطالة التي هي مدرجة الجهالة والضلاله ومنها إفاده جاهل أو تنبئه غافل ومنها تخليد المحفوظ لثلا ينسى. وقصصيه نوعاً وجنساً ومنها استمطار علم جديد عند الاشتغال بالتقيد. فإن العلم كالماء بناء وبعضه للبعض بناء وما هو في قلب ذكي الفؤاد إلا كما قال امرؤ القيس عند وصف الجواب: [طويل]

يَجْمُعُ عَلَى السَّاقِينَ بَعْدَ كَلَالَهِ جُمُومَ عُيُونِ الْحِسْبَى بَعْدَ الْخِيَضِ

<sup>١</sup> ق: بر.

٢٠٢ ومنها تعليل النفس بعض الأنس فإن النفس ترثى للأحراض وتستشىء بروحه من الإيماض. ولا سيما مثلي من تراحت به الأقطار وتبعادت عنه الأوطان والأوطار. وقت في ذلك: [طويل]

سَلَّا هَلْ سَلَّا عَنْ أَهْلِهِ قَلْبٌ مَعْيَىٰ  
وَهَلْ ذَلِكَ الْوَجْدُ الَّذِي قَدْ حَشَا الْحَشَا  
مُقِيمٌ عَلَى أَذْيَاهِ غَيْرٍ مَكْيَىٰ  
وَهَلْ قَلْبٌ مَفْوُودٌ لِلظَّى سَاعَةَ الشَّيْىٰ  
وَهَلْ بَنَى الْأَحَبَابِ مُشَفِّى عَلَى الْتَّرَكِي١  
وَهَلْ أَعْشَبَتْ تِلْكَ الشَّعَابُ وَأَمْرَأَتْ  
فِكَاجَ مَرَاعِيهَا بِعَهْدٍ وَوَسِيَّ  
وَهَلْ أَخْوَانُ الْجَرَّعَ فَكَاحَ وَنَدَهُ  
وَهَلْ تَالِكَ الْأَرْهَارُ تَهَرَّزُ نَصَرَةَ  
وَكُلُّ مُجُودٍ فِي الْبُرُودِ تَنَكَّا وَحَتَّ  
عَلَيْهِ الْيَاحُ مِنْ جَنُوبٍ وَشَرَقٍ  
إِذَا مَا السَّحَابُ الْغُرُّ عَاطِلِنَاهَا الْحَيَا  
تَنَمَّتْ بِإِذْكَى مِنْ عَبِيرٍ وَالْوَيِّ  
وَإِنْ صَافَتْهَا بَعْدَ وَهُنْ يَدُ الصَّبَا  
فَمَا شِئْتَ فِيهَا مِنْ يَوْمٍ قَيْتَ تَحْتَلِي  
وَمِنْ بُسْطِ تُرْزِي أَبْتَهَا جَامِرْفَشِ  
وَهَلْ إِسْلَيْتَ مِنْ تُواً بِدَارِهَا  
وَحَيَا مُحْيَا هَا الْوَسِيمَ وَإِنْ لَوْتَ  
رَمَكَان٣ دِيَارُ آنَّهِيَّ دَانِ مَزَارِهَا  
وَحَيَا رَمَكَانًا لَاحَ لِلْوَصْلِ يَيْنَنَا  
رَمَكَان٢ دِيَارُ آنَّهِيَّ دَانِ مَزَارِهَا  
وَنَمَّتْ عَلَى عَهْدٍ مِنْ الْوَدِ مَرْعِيَ  
أَنِيسًا٤ وَإِنْ لَمْ يَحْظَ مِنْهُ يَانِسِيَ  
عَلَيْنَا تَمُومًا مِنْ صِبَاهَا بَمَطْوِيَ  
يَسْخَاتِهِ لِلْمُسْتَهَا كَامِينَ عَظَرِي٥

١ ق: الشوى. ٢ تتابع ملاحظات المحققين وقوله "فتحت" بدلاً من "تنمت" وهو في النص (انظر إلى المحاضرات، ص ١٣). ٣ زيادة: (لَاحَ لِلْوَصْلِ يَيْنَنَا تَبَاشِيرُ كَالصُّبْحِ الْمُبَيِّنِ عَلَى رَيِّ رَمَانُ) من م. ط.

وَكُنَّا عَلَىٰ أَنَا كَانَأْ بِهِ صَلَّاهَا  
 وَنَرَعَ فِي رَوْضِ الْمَنَى وَنَكَّال مَا  
 وَعِشْنَا رَمَادًا لَا نُكَانِي صَبَابَةَ  
 وَلَا نَشَكَّى مِنْ صُدُودٍ وَلَا صَدَىٰ  
 لِيَا لِي كَانَ الشَّمْلُ مُنْضَطِ الْكَلَىٰ  
 فَلَمْ تَلْبِتِ الْأَقْدَارُ أَنْ مَدَّدْتِ بِنَا  
 حَكَائِثَ مَوَامِ دُونَهَا ذَاتِ مَثْرَعَ  
 وَكَانَ الَّذِي حَفَّنَا يَكُونُ مِنَ النَّوْيَ  
 عَلَىٰ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ مَا أَنْقَلَ هَا مَرَا  
 فَلَا تَغْتَرِرْ بِالدَّهَرِ يَلْقَاكَ بِشَرَهُ  
 وَلَا تَأْمَنْ مِنْ هَوْلَهِ إِنَّ رِيحَهُ  
 وَلَا تَقْبِطْ مِنْ حَظَهِ بِمُنَوْلِ  
 فَمَا حَالَهُ مِنْهُ تَدُومُ عَلَىٰ أَمْرِي  
 وَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ دُولَابِ زَارِعٍ  
 فَكَمْ أَنْزَلَتْ نَسَرَ السَّمَاءِ صُرُوفَهُ  
 وَكَمْ ضَعَصَعَتْ مُلَكًا وَأَفَتْ مَمَالِكًا  
 وَكَمْ رَيَّلَتْ بَيْنَ الْحَبَّيْنِ فَأَعْتَدَى  
 قَضَاءً مِنْ الْوَنَى لَهُ كُلَّ سَاعَةٍ  
 فَأَعْلَقَ بِهِ أَشْطَانَ قَلِيلَ وَأَعْتَمَدَ  
 وَقِفَ أَبْدًا فِي بَابِهِ مُتَأَدِّبًا  
 قَنُوعًا رَضِيَّا بِالْقَضَاءِ مُسَلِّمًا  
 فَذَلَّ الَّذِي يَرْقَبِ بِهِ لِسَازِلٍ  
 وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تُسْعِدَكِ فِي ذَلِكَ الْقُوَىٰ

فَإِنَّ جَلِيلَ الْقَوْمِ مَا إِنْ يَكُونُ  
شَقَاءٌ وَمَنْ عَنْ حُبِّهِمْ غَيْرُ مَرْزِيٍّ  
وَمَنْ قَدْ حَكَاهُ فَهُوَ مِنْهُمْ وَكُلُّ ذَا  
أَتَى فِي حَدِيثٍ عَنْ ذُوِّي الْأَصْدِقِ مَرْوِيٌّ  
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيْجَرَى بِمَا أَتَى  
مِنَ الْخَيْرِ بَلْ يُجْزَى عَلَى كُلِّ مَنْوِيٍّ

لللهِ الأمر من قبل ومن بعد.

- ١٠٣ قد جرت عادة من ألف بل من كتب رسائلة أن يتسمى في كتابه ليعرف وفي معروفيته فوائد منها في كلامه أن يعرف مذهبه أو مطلبـه ليتمكن<sup>١</sup> جوابـه أو يشهد له أو<sup>٢</sup> عليهـ. ومن أهمـها أن يعلم هل يوثـق بقولـه وعقلـه<sup>٣</sup> ويقتـدى بهـ في أصلـه فإنـ كلامـ الحـجـة حـجـة وإنـما يـعـرف كـونـه حـجـة ومرـتبـته منـ العـلـم بـشـهـادـة أـهـلـ العـلـم وذـلـكـ في ثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ أحـدـهاـ التـصـرـيـحـ بـذـلـكـ مـشـافـهـةـ أوـ فيـ تـرـجـمـتـهـ وـلـذـلـكـ صـنـفـتـ طـبـقـاتـ أـهـلـ العـلـمـ وـأـعـتـنـيـ بـتـرـاجـمـهـ. ثـانـيـهاـ عـدـهـ مـعـ الـعـلـمـاءـ عـنـدـ ذـكـرـهـ فيـ مـذـهـبـ أوـ وـفـاقـ أوـ خـلـافـ أوـ حـكـاـيـةـ كـلامـهـ فـيـماـ يـحـكـيـ منـ كـلامـ الـعـلـمـاءـ أوـ مـذـهـبـهـ أوـ نـحـوـ ذـلـكـ وـهـوـ كـالتـصـرـيـحـ. ثـالـثـهاـ الـأـخـذـ عـنـهـ أوـ إـقـراءـ تـصـانـيفـهـ أوـ شـرـحـهـ أوـ تـقـيـلـهـ أوـ نـحـوـ ذـلـكـ.
- ٢٠٣ وإنـما يـحـصـلـ لـهـ ذـلـكـ مـنـ ثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ أحـدـهاـ سـمـاعـ كـلامـهـ مـشـافـهـةـ. ثـانـيـهاـ مـطـالـعـةـ تـصـانـيفـهـ وـالـوقـوفـ عـلـىـ تـحـرـيرـهـ وـتـحـصـيلـهـ أوـ سـمـاعـ فـتاـوـيـهـ وـآرـائـهـ وـكـلامـهـ بـنـقلـ الغـيرـ لـهـ كـماـ وـقـعـ لـلـصـاحـابـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ. ثـالـثـهاـ شـهـادـةـ الغـيرـ لـهـ كـماـ مـرـ وـهـلـ جـراـ. وـبـعـدـ حـصـولـ مـطـلـقـ المـرـتبـةـ مـنـ العـلـمـ تـحـصـلـ خـصـوصـيـاتـ الـمـرـاتـبـ بـشـهـادـةـ مـنـ هـوـ أـهـلـ لـذـلـكـ بـهـاـ بـمـشـافـهـةـ أوـ فيـ تـرـجـمـةـ أوـ اـقـدـاءـ الـأـكـابرـ بـهـ أوـ تـرـجـيـهـ عـلـىـ غـيرـهـ أوـ نـحـوـ ذـلـكـ. وـمـنـهاـ فيـ خـارـجـ أـنـ تـرـفـ مـرـتبـهـ كـماـ مـرـ أوـ يـتـرـعـضـ لـدـعـاءـ دـاعـ أوـ شـاءـ مـنـ بـخـيرـ وـحـبـةـ وـوـدـ وـغـيرـ ذـلـكـ. فـرـأـيـتـ أـنـ تـسـمـيـ فـيـ هـذـاـ الـجـمـوعـ وـأـضـيـفـ إـلـىـ ذـلـكـ مـاـ اـتـقـقـ لـيـ مـنـ كـيـنـيـةـ وـمـاـ أـدـرـكـ مـنـ نـسـبـ بـعـدـ أـنـ تـعـمـ أـنـ الـاسـمـ الـعـلـمـ ثـلـاثـةـ اـسـمـ وـكـيـنـيـةـ وـلـقـبـ.

<sup>١</sup> مـقـ: اوـ يـتـمـكـنـ. <sup>٢</sup> مـقـ: وـ. <sup>٣</sup> سـقطـ مـنـ.

٤٠٣ أَمَا الاسم فهو من حيث هو ما أُريد به من تعين المسني لا يعطي مدحًا ولا ذمًّا لصلاحية كل اسم لكل مسمى عند المحققين ولكن إذا كان مقولاً فكثيراً ما يلاحظ فيه زيادة على تعين المسني مدلوله الأزل الحقيق أو المجازي فيشعر بمقتضاه إشعاراً. ومن هذا وقع التفاؤل والتلطير بالأسماء وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ويقول إذا أبردتم إلى بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم.

٤٠٤ وكان صلى الله عليه وسلم يغير من الأسماء ما لا يرضي فسأل عن اسم ماء قيل له: بيسان ومواهه ملح فقال بل هو نعمان وماهه عذب فكان كذلك وجاءه رجل فقال ما اسمك؟ فقال غاوي بن عبد العزى. فقال صلى الله عليه وسلم بل أنت راشد بن عبد ربه وجاءه آخر فقال ما اسمك؟ فقال حزن فقال بل أنت سهل فقال الرجل ما كت لأغير اسمًا سماني به أبي وكان الإمام سعيد المسيب رضي الله عنه والرجل من أجداده يقول لما زالت الحزنة فينا. فانظر كيف حكم مدلول اللفظ الأول وقال صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين أقبل سهيل من ناحية قريش سهل عليكم أمركم. ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصيَّة عصت الله رسوله. وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقد سأله عن اسم رجل استعمله أو أراد أن يستعمله قيل له هو خبيثة بن هاز هو يحبنا وأبوبه يكرز لا حاجة لنا به. وبدل صلى الله عليه وسلم اسم<sup>١</sup> برة بنت أبي سلمة بدرة فراراً من التركية التي يعطيها اللفظ. وقال مولانا علي كرم الله وجهه<sup>٢</sup> [حزن]

أَنَّا اللَّهِيْذِي سَمَّنِي أَمِيْ حَيَّدَرَهُ

٤٠٥ وقال الحريري في المقامات على لسان الغلام أَمَا أَمِيْ فَاسْمَهَا بَرَةٌ وَهِيَ كَاسْمِهَا بَرَةٌ. وقالت اليهود يوم خير مولانا على كرم الله وجهه وقد تقدم بالرایة قسمى لهم: علوم رب الكعبة. وقالت العرب في أمثالها إنما سميت هانئاً لتهنأ.

٤٠٦ وقال الأَخْطَلُ في كَبَّ بْنِ جَعْلَى: [متقارب]

<sup>١</sup> سقط من م. <sup>٢</sup> ق: رضي الله عنه.

وَسُمِّيَتْ كُتُبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمِّي آنِجُولَ  
وِإِنَّ مَكَانَكَ مِنْ وَائِلٍ مَكَانُ الْقُرَادِ مِنْ آسِتِ آنِجُولَ

٧٠٣ وكان بعض الرؤساء القيسية أحضر جفاناً من طعام وكان بالحضر بعض ملاسين  
بكر بن وائل فاراد القيسي أن يعيث به. فقال له هل رأى بكر بن وائل فقط مثل هذه  
الجفانا؟ فقال ما رآها ولا رآها أيضاً فقط عيلان يعني جده هو. ولو رآها ما قيل  
له عيلان بل شبعان.

٨٠٣ وقالت هند بنت النعمان بن بشير تابحو زوجها الفيض بن أبي عقيل: [يسيط]

سُمِّيَتْ فَيْضًا وَمَا شَيْءٌ يَقْبِضُ بِهِ إِلَّا سُلَاحُكَ بَيْنَ الْبَابِ وَالدَّارِ

وقال الآخر: [طويل]

وَلِلْحَرِبِ سُمِّيَّا فَكُنَا مَحَارِبًا إِذَا مَا آتَقْنَا أَمْسَى مِنَ الظَّعْنِ أَحْمَرًا

٩٠٣ وما يخترط في هذا السلاك أن بعض الملوك عزل وزيرًا له اسمه الياقوت. خلف  
الملك ليستورزن أول من يلقى فخر فلقي رجلًا أعربياً فاستوزره. فإذا هومن أعقل  
الناس وأنجهم.<sup>١</sup> فلما رأى الوزير الأول ذلك كتب إلى الملك: [خفيف]

أَحْكَمَ النَّسْجَ كُلُّ مَنْ حَاكَ لَكَ نَسْجَ دَاؤُودَ لِيَسَ كَالْعَنْكُوبَتِ  
الْقِنِيِّ فِي لَظَّى فَإِنَّ عَيْرَتِنِي فَتَيَقَّنَ أَنَّ لَسْتُ بِالْيَاقُوتِ

يشير إلى أن الياقوت المعروف لا يفسد بالنار.

فأجاب الآخر: [خفيف]

<sup>١</sup> ط: أنجهم.

تَسْجُنُ دَاؤُودَ مَا حَمَى صَاحِبَ الْفَلَّا رَوْكَانَ الْخَارُ لِلْعَنْكُوبِ  
وَفِرَاجُ السَّمَدِنِيُّ لِهَبِ النَّا رَأَزَالَتْ فَضِيلَةَ الْيَافُوتِ

وأشار إلى السمندل وهو دوية في ناحية الهند تختذل من جلودها المناديل. وتلقى في النار فلا تزداد إلا نضارة وحسنًا ولا تحترق والله على كل شيء قادر إلى غير هذا مما لا يحصر ولو تتبعناه طال.

وأما الكنية واللقب فيعتبران بوجهين الأول نفس إطلاق الكنية واللقب وهما في هذا مختلفان. فإن الكنية الأكثر فيها إذا لم تكن اسمًا أن يراد بها التعظيم. وينبغي أن يعلم أن الناس باعتبارها ثلاثة أصناف صنف لا يكتفى لحقارته وهو معلوم من أن الحقارة أمر إضافي فرب حقير يكون له من يراه بين التعظيم فيكتيه. والمقصود أن الحقير من حيث هو حقير لا يكتفى إلا هزآ أو تمليناً. وصنف لا ينبعي أن يكتفى لاستغناه عنها وترفعه عن مقتضاها. ومن ثم لا يكتفى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم أرفع من ذلك حتى إنهم أشرف رفعتهم على أسمائهم فشرفت. فإذا ذكروا بها كانت أرفع من الكنى في حق غيرهم.

وللملوك وسائر أكابر الناس نصيب من هذا المعنى. وصنف متوسط بين هذين وهو الذي يكتفى تعظيمًا ثم إن كان التعظيم مطلوبًا ككنية أهل العلم والدين ومن يحسن شرعاً تعظيمه فحسن. وكذا أكتفاء المرء بنفسه إن كان تحدثًا بالنعم أو تبركاً بالكنية باعتبار من صدرت عنه أو نحو ذلك من المقصاد الجميلة فحسن وإلا فمن الشهوات الفسانية. فما كان تكبرًا أو تعظيمًا من لا يجوز تعظيمه بغير ضرورة ونحو ذلك فرام. وإلا فباح وليس من هذا الباب ما يقصد به مجرد الإخبار فقط كقولك جاء أبي أو أبو فلان هذا أبي والده. ولا ما يقصد به معناه على وجه التفاؤل مثلًا نحو أبي للخير وأم السعد. وأتنا اللقب فيقصد به كل من المدح والذم وغير ذلك والحكم كالذي قبله.

الوجه الثاني النظر إلى مدلولهما الأصلي وهو في ذلك كما مر في الاسم بل ذلك هنا أولى لأنّ الأصل فيه أوضح. وبعدهم في ذلك: [وافر]

أَيْتُ أَبَا الْحَاسِنِ كَيْ أَرَاهُ بِشَوَّقٍ كَادَ يَجْدِنِي إِلَيْهِ  
فَلَمَّا أَنْ أَيْتُ رَأَيْتُ قَرْدًا وَلَمْ أَرْ مِنْ بَيْهُ أَبْنَا لَدَيْهِ

يريد أنّ لفظه ينبع عن كون المحسن لازمة له لزوم الأولاد لأبيهم ثم إنّه لم يجعلها عنده. وكذا يقال في أبي المكارم وأبي الفضل وأبي البخت وجمال الدين وشمس الأئمة. والأصل في جميع هذا أنّ المستحسن في العقول وإن لم يكن لازماً خلافاً لمن رعم ذلك أن يطابق الاسم المسني أي مدلوله الأصلي حتى يصير الاسم كائناً وصف مشتق لموصوف بمعناه. فإن لم يكن كذلك فإن التسمية خطأ وكأنّ الاسم لا مسني له. ومن هذا جرت العادة بخicher الاسم عند التسمية وكذا عند الملاقة كقصة البريد السابقة. أما التغيير عند التسمية فلفائدتين إحداهما التلذذ بسماعه وتخل المسني بذلك. الثانية التفاؤل بأن يصدق معناه وذلك على حسب ما يريده ولناس أغراض تختلف.

وقد قيل بعض العرب لم تسمون عييدهم نافعاً ومرزواً وأولادكم حرباً ومرةً. فقال إننا نسي أولادنا لأعدائنا ونسيء عييدهنا لأنفسنا. أي فلا فرق بين فائدة النفع وفائدة الدفع وحالوتهما بل الدفع أهم.

١٦٣ وكان وادي السباع في بلاد العرب وفيه قال قائلهم: [طويل]

مَرَرْتُ عَلَى وَادِي السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِي السَّبَاعِ حِينَ تُبَصِّرُ وَادِيَا  
أَقْلَلَ بِهِ رَكْبُ أَتْوَهُ تَيَّةً وَأَخْرَفَ إِلَّا مَا وَقَى اللَّهُ سَارِيَا

قيل سبب تسميتها أنّ امرأة من العرب كانت زلتها ولها عدّة أولاد فوجدها رجل يوماً وحدها فهمّ بها. ففاقت تصريح بأولادها وتقول يا ليث يا نمر يا أسد يا كذا وهي أسماؤهم. فأقبلوا إليها يشتدون فانطلق الرجل وهو يقول هذا وادي السباع.

أما التخيّر عند الملاقة والمعاملة فلفائتين أيضًا إحداها التلذذ والقاوٌل. الثانية  
رجاء أن يكون قد طابق فيوجد معناه ويكون حسن الاسم دالاً على حسن المسئى كما  
تقر في الفراسة الحكيمية من أن حسن الخلق دليل على حسن الخلق. وفي الحديث  
اطلبو الخير عند حسان الوجه على وجهه. ولم يبعث الله تعالى نبئاً إلا حسن الوجه  
حسن الاسم. وفي كلام العامة الاسم يدل على المسئى .

من النقاوٌل الصادق والرجاء الواقع ما وقع لعبد المطلب في تسمية نبئنا صلٰى الله  
عليه وسلم حيث سماه باسمه الشريف. وكان هذا الاسم غير معتمد عندهم قليل له  
لم سميت بهذا وليس من أسماء آبائك؟ فقال رجاء أن يحمد في السماء والأرض فكان  
ذلك. ويحتمل أن يكون كان عنده من ذلك علمٌ لي من أهل ذلك العلم كسيف  
ابن ذي يزن ونحوه.

وقد يكون سبب تخيّر الاسم مشاعية من تسمى به تبركاً به أو حجاً<sup>١</sup> لذكره أو رجاء  
الشبة به أو نحو ذلك. وفي الحديث ولد لي الليلة ولد فسميته باسم أبي إبراهيم. وقيل  
لما نزل قوله تعالى ﴿يَا أَخْتَ هَارُونَ﴾ قيل للنبي صلٰى الله عليه وسلم كيف تكون  
أخت هارون وبينهما دهر طويل؟ فقال صلٰى الله عليه وسلم إنهم كانوا يسمون بأسماء  
أنبيائهم. أي فهو هارون آخر سمي باسم هارون بن عمران عليه السلام.

واعلم أن التلذذ المذكور في هذا القسم خلاف المذكور فيما مر فإن ذلك تلذذ بالاسم  
بسبب حضور معناه الأصلي كسعد وسعيد ووردة وياسمين. وهذا تلذذ بالاسم  
لحضور من كان تسمى به من غير التفات إلى مدلول اللفظ الأصلي. فكل من سمع  
اسماً كان وقع على مسمى آخر فقد يستشعر ذلك المسئى الآخر في الاسم فيوجب له ذلك  
الاستشعار أموراً. إما تعظيمًا ومنه بدل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه اسم ولد كان  
اسمه محمدًا. فسمع رجلاً يوماً يشتهي ويقول فعل الله بك يا محمد وفعل. فقال لا أرى اسم  
النبي صلٰى الله عليه وسلم يُسبَّ بك. وكان بعض الرؤساء كم خديماً له اسمه محمد في  
أمر وخاطبه باسم آخر وهو أنه غضبان عليه. فدخل على الخديم من ذلك جزع

<sup>١</sup> م: ق: إحياء.

عظيم حتى يَبْيَنَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى جَنَابَةِ فَلَمْ يُسْتَطِعْ أَنْ يَنْطَقَ بِهَذَا الْإِسْمِ  
الشَّرِيفِ وَهُوَ جَنْبُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجْرَاهُ خَيْرًا. إِنَّمَا تَلَدَّدًا أَوْ اسْتِئْنَاسًا أَوْ اشْتِيَاءًا  
أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ لِكُونِهِ أَلِيًّا أَوْ مَحْبُوبًا.

وَكَانَ الْجَنَونُ مَا اشْتَدَّ بِهِ حَالَهُ قَاتَلُوا نَذَرَبَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَزِيَارَةِ الْبَيْتِ.  
٢١٠٣ فَعَلُوكُوا فَلَمَّا أَقْبَلُوكُوا عَلَى مَكَّةَ قَاتَلُوكُوا هِيَ قَيْسٌ هَذَا بَلْدُ اللَّهِ وَهَذَا بَيْتُهُ فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ  
يَعْفُوكُمْ مِنْ حَبَّ لَيْلٍ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ: [وَافِ]

ذَكْرُكُوكُ وَالْجَنِيْجُ لَهُ صَحِيْجُ  
بِعَكَكَهُ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبُ  
فَقُلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلَدِ حَرَامٍ  
بِهِ اللَّهُ أَخْلَاصَتِ الْقُلُوبُ  
أَنُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ مَعًا  
جَنِيْثُ فَقَدْ تَكَبَّرْتِ الدُّنُوبُ  
فَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْنَلِي وَحْبِي  
رَيَارَهَكَا فَإِنِّي لَا أَنُوبُ  
أَنُوبُ إِلَيْكَ قَبِيْبِي رَهِينٌ  
فَكَيْفَ وَعِنْدَهَا قَبِيْبِي رَهِينٌ

فَأَيْسَوْهُ مِنْهُ. ثُمَّ سَكَنَ شَيْئًا مَا فَلَمَّا بَلَغُوا نَاحِيَةَ مِنْ سَعْ إِنْسَانًا يَقُولُ يَا لَيْلِي يَنَادِي  
امْرَأَةً. فَطَارَ الْجَنَونُ وَاسْتَقْبَلَ الْبَرِيَّةَ<sup>١</sup> وَهُوَ يَقُولُ: [طَوِيل]

وَدَاعِ دَعَاءِ إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مِنِيَ  
فَهِيجَ أَخْرَانَ الْفُؤَادِ وَمَا يَذْرِي  
دَعَاءِ بِاسْمِ لَيْنَلِي عَيْرَهَا فَكَانَمَا  
أَظَارَ بِلَيْلِي طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

٢٢٠٣ وقال الآخر: [طَوِيل]

وَمَنْ كِبِيْدِي يَهْفُو إِذَا ذَكَرْ إِسْمُهُ كَهْفُو جَنَاحٍ يَنْصُضُ الظَّلَّ طَائِرُهُ

وَبَلَغَ بِأَوْلَيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى نَحْوَهَا الْمَعْنَى وَهُمْ أَحْقُ بِهِ.. يَحْكُ عن بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَقِيَ وَاحِدًا  
مِنْهُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَقَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ فَقَالَ هُوَ. فَقَالَ أَيْنَ تَرِيدُ؟ فَقَالَ هُوَ. فَقَالَ

١. ق: القبلة.

ما تعني بقولك هو؟ فقال هو . فقال الله تعني؟ فصاح وسقط ميتاً وإما نقرة وكراهة لكونه بعضاً مقيتاً وإما غير ذلك .

٢٥.٣ تمهـةـ . واعلمـ أنـ الاسمـ الـذـيـ يـوضـعـ عـلـىـ الإـنـسـانـ عـلـمـاـ عـنـ الـولـادـةـ أـوـ عـنـ تـبـدـيلـ اـسـمـهـ باـسـمـ آخـرـ إـمـاـ أـنـ يـكـونـ بـصـورـةـ الـكـيـنـيـةـ كـأـيـ بـكـرـ وـأـيـ القـاسـمـ لـمـ سـيـ بـهـ فـيـ كـوـنـ اـسـمـهـ كـيـنـيـهـ . إـمـاـ أـنـ يـكـونـ بـفـيـرـهـاـ كـيـنـدـ وـعـمـرـ وـهـوـ الـأـغـلـبـ . وـحـيـنـذـ إـمـاـ أـنـ تـقـرنـ بـهـ الـكـيـنـيـهـ مـنـ أـوـلـ وـهـلـةـ فـيـقـالـ مـثـلاـ سـمـيـتـ اـبـيـ كـذاـ وـكـيـنـيـهـ كـذاـ . وـقـدـ يـقـرـنـ بـهـ الـلـقـبـ أـيـضاـ فـيـقـالـ مـثـلاـ سـمـيـتـ اـبـيـ مـحـمـداـ وـكـيـنـيـهـ أـبـاـ عـبـدـ اللـهـ وـلـقـبـتـهـ جـمـالـ الدـينـ . وـهـذـاـ كـلـهـ لـاـ إـشـكـالـ فـيـ عـلـمـيـتـهـ .

٢٦.٣ وقد لا يكتفى ولا يلقب أولاً فإذا كني بعد ذلك أو لقب كان ذلك عارضاً لا كلام الازم أبداً من وجهين . أحدهما أنه لم يكن شيء منها ثم كان الثاني أنهما يكونان ثم لا يكونان فإنه قد يكتفى ثم لا يكتفى وقد يكتفى هذا ولا يكتفى الآخر وكذا اللقب . فصار كل منها بمثابة الوصف يعرض الاصف به .

٢٧.٣ فقد يقال كيف يحيطان مع هذا في الأعلام؟ والجواب أنهما متى أطلقوا على المسماي عيناه عند من عرفهما من غير معنى زائد على الذات . وهذا هو<sup>١</sup> حاصل العلمية أما طرояهما فلا يضير فإن الاسم أيضاً كثيراً ما يطرأ . والمعتبر ما بعد الطرؤ كما هو الأمر في التسمية الأولى . وأما كونهما يتركان أحياناً فلا يستغناء عنهما بالاسم كما يكون في الشيء يسمى بأسماء متراوفة . فإذا عبر عنه بوحد منها كفى .

٢٨.٣ وفيه بحث وهو أن الأسماء المتراوفة فرضى على مدلولها ولا كذلك ما نحن فيه . فإن كلاماً من الكنية واللقب إنما يجلب لفرض من تعظيم أو تحمير أو غير ذلك مما مر . فيكون الوصف محظ التسمية وحينئذ هو كلي فيكون الاسم اسم جنس أو علم جنس وذلك خلاف ما يقال من أنه علم شخص . وهذا بحث قوي لم نسطه لأننا بتصدده . ويحاجب بمنع ذلك وأن محظ التسمية الذات مع ملاحظة الغرض وكونه يوتي به عند وجود الملاحظة ويترك عند عدمها . وأن ذلك غير معهود في الاسم لا امتناع فيه فافهم .

<sup>١</sup> سقط من م .

فأقول أنا الحسن بن المسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد ابن أحمد بن علي بن عمرو بن يحيى بن يوسف وهو أبو القيلة ابن داود بن يدراسن ابن ينتو . فهذا ما بعد من النسب إلى أن دخل بلد فكلة في قبة منه تسمى حارة أفلال وهي معروفة الآن . والكنية أبو علي وأبو الماهب وأبو السعود وأبو محمد . أما ذكرى للاسم فلما أمر من فوائد التسيي وأحمد الله تعالى وأشكوه إذ جعله حسناً وأسئلته سجنه أن يجعل كذلك فعلي وختني وحظي في الدارين منه حسناً . كما أحدهم تعالى إذ حسن اسم والدي أيضاً فجعله مسعوداً . وسألته تعالى أن يجعلني كذلك في الدارين ويجعله مسعوداً .

وما اتفق لي في اسمي هذا واسم والدي أني كنت ذات مرّة سافرت إلى زيارة الأستاذ الإمام ابن ناصر رحمة الله . فررت ببلادنا وكان أخونا في الله البارع الفاضل الخير أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي يشتهي أن أمر به في زاويته . فلم يتحقق لي ذلك فكتب إليه اعتذاراً : [طويل]

أَبَا سَالِمٍ مَا أَنْتَ إِلَّا كَسَالِمٌ  
لَدِينِكَ وَلَمْ يَغْضُبْ الْمَقَاءُ فَسَالِمٌ  
وَرَوَدَ عَرِيبًا طَالِمًا قَذَفَتْ بِهِ  
ضُرُوبُ الْنَّوْيِّ مِنْ كُلِّ أَفْيَهِ قَاتِمٌ  
مَرَاماً لِشَنِيبِ الْكَاسِ وَهِيَ مَنُوتَةٌ  
بِكَفِ الشُّرِيَاً أَوْ بِكَفِ الشَّعَارِ  
بِوَدٍ وَإِنَّ الْوَدَ مِنْ أَظَيَّ الْقَرَى  
وَدَعْوَةُ صِدْقٍ عِنْدَ عَقْدِ الْعَرَانِ  
وَسَلَمٌ عَلَى مَنْ مَرَّ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَائِكَةِ ذِي وَدٍ إِلَى الْكُلِّ دَائِمٌ

وقولي كلام تاميم إلى قول الشاعر : [طويل]

يُدِيرُونِي عَنْ سَالِمٍ وَادِيرُهُمْ وَجَلَدَهُ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

١ ط: يتن: ياض في ق.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى المخاج أنت عندي كلام. فلم يفهم مراده حتى أنسد البيت المذكور ومراد الشاعر أن سالماً المذكور الذي يدافع الناس عنه ويحمي عنده في مجتبه له وعترته عليه بمنزلة الجلدة التي بين الألف والعين لأن تلك الجلدة هي سالم فهو تشبيه.

ثم لما قفلنا من زيارتاكب إلى كتاباً يهتمي بالزيارة ويهمي من معى بصحبتي. وفي آخره: [بسيط]

مَنْ فَانَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَصْحِبُهُ فَلَيَصْحِبَ الْحَسَنَ الْوَسِيَّ يَكْفِيهِ

ومن غريب الاتفاق مع ذلك أن كت في تلك المدة إما قبل هذا الكتاب أو بعده بقريب حدثني بعض الإخوان أنه رأى فيما يرى النائم جماعة من الصالحين والكتاب معهم وفيهم الشيخ محمد بن مبارك التستاوي وغيره من أمثاله. فتكلم بعضهم وأظنه قال ابن المبارك المذكور إلى أن قال إن كان الحسن البصري في زمانه فهذا الحسن البصري في زماننا يشير إلى الكاتب. وإنما ذكرت هذا رجاء وطماعية في اللحاق بالصالحين أو بمحبيهم أو بمحبِّي محبيهم وتبزرگاً بذكرهم. وإلا فليس بعشاق فادرجي: [كامل]

لَمَّا أَنْتَسَبْتَ إِلَى عُلَّاَكَ تَشَرَّفَ ذَاتِي فَصِرْتُ أَنَا وَإِلَّا مَنْ أَنَا

وكتب إلى العلامة أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسي بأبيات يذكر فيها أنه على عقد المحبة وفي آخرها: [بسيط]

لَقَدْ تَحَبَّتِ لِي حُبَّاً<sup>١</sup> خُصِّصْتَ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى حَبَّدَا حُبُّ ابْنِ مَسْعُودٍ

فعلمت أنه يروي عن ابن مسعود الخبر الصحابي رضي الله عنه والحقنا وأباءنا بزمرة إله ذو الجود والإحسان. فقلت إن هذا كله من نعم الله التي يسر بها الإنسان.

١ ط: حماك. ٢ م: فضلا.

وهو موافقة اسمه أو اسم أبيه لأسماء الخيار.<sup>١</sup> ومن غريب الاتفاق أنني كتبت أكتب ما تقدم من النسب بخاءً أعرابي بقصيدة من الملون يدحني بها وفي أشائتها يقول ما معناه إن اسمه أي المدوح على اسم الحسن بن علي رضي الله عنهما. فقلت في نفسي سجحان الله في هذا كان عملي.

١٥ تيمة أخرى في أحكام التسمية. اعلم أنه وإن كان المطلوب تخيير الاسم كما مرّ لا بد من التوسط بين طرف الإفراط والتغريط. فكما أنه لا ينبغي له أن يتسلل إلى الأسماء الدينية كذلك لا ينبغي له أن يتعلّق إلى الأسماء العلية التي لا تبني عليه كأسماء الله تعالى. وللفقهاء كلام في أسماء الملائكة. فمن إمامنا مالك رضي الله عنه أنه يكره أن يسمى الرجل بجبريل وعلل ذلك بأنه سبب لأن يقول قائل جاءني البارحة جبريل وكلمني جبريل وهو بشيء موهم. وروي عنه أيضاً لا ينبغي بياسين.

٢٥ وتقدّم إلى الحارث بن مسكين القاضي خصمان فنادى أحدهما صاحبه باسمه إسرافيل. فقال القاضي لم تسميت بهذا الاسم؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تسموا بأسماء الملائكة. فقال له الرجل ولم تسمى مالك بن أنس بمالك؟ وقد قال تعالى ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؟ ثم قال لقد تسمى الناس بأسماء الشياطين فما عيب عليهم يعني القاضي فإن اسمه الحارث وهو اسم الشيطان إبليس. قال ابن عرفة ويرحم الله الحارث في سكوته والصواب معه لأنّ محمل النهي في الاسم الخاص بالوضع أو الغلبة كإسرافيل وجبريل وإبليس والشيطان وأمّا مالك والحارث فليسا منه لصحّة كونهما من نقل النكرات للأشخاص المعينة أعلاه من اسم فاعل مالك وحارث كهاتم. انتهى.

٣٥ وأمّا أسماء الأنبياء عليهم السلام فيجوز التسميّ بها. وفي الحديث تسموا باسي ولا تكونوا بكتيني. وقيل إنّ هذا النهي منسوخ فيجوز التسمي أيضاً والتكتيني بكينته صلى الله

<sup>١</sup> ط: الأخيار. <sup>٢</sup> ق: الأساقل لدية ذلك. <sup>٣</sup> م: لأنّه. قارن مع النصّ في ابن عرفة، المختصر الفقهي (دي: مؤسسة خلف أحمد الخطور، ٢٠١٤)، ٣٦٧.

عليه وسلم. ودخل القاضي أبو القاسم بن زيتون على أمير بلده المنصر بالله فقال له لم تسميت بأبي القاسم؟ وقد صرحت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال تسموا بآسي ولا تكونوا بكيري. فقال القاضي إنما تسميت بكنته صلى الله عليه وسلم ولم أتكرر بها. وفي المسألة كلام باعتبار علة النهي وكون ذلك مع وجوده صلى الله عليه وسلم مشهور لا حاجة إلى بسطه. ومن المنهي عنه في الحديث أن يسمى الرجل غلامه رباحاً أو أفالح أو يساراً إِذْ قَالَ أَثْمَّ هُوَ؟ فيقال لا. ولا بأس بتكينية الصبي كما مر وأصله يا أبا عمير ما فعل التغير. تنبية: في الحديث إن أخْنَعَ الْأَسْمَاءِ رَجُلٌ تُسْمَى عِنْدَ اللَّهِ بِمَا لَكَ الْأَمْلَاكُ. ووقع فيه عضد الدولة حيث قال: [رمل]

مَا يَطِيبُ اللَّعِيشُ إِلَّا بِالسَّمَرِ<sup>١</sup> وَغَنَاءُ مِنْ جَوَارِ فِي سَحَرِ  
عَكَانِيَاتِ سَكَالِبَاتِ لِلنَّهِيِّ سَاقِيَاتِ الرَّاحِ مِنْ فَاقَ الْبَشَرِ  
عَصْدُ الدَّفَقَةِ وَابْنُ رَكِبَكَا مَلِكُ الْأَمْلَاكِ عَلَابَ الْقَدَرِ

فهذا من التغالي المنكر وإنما ذلك لأن ملك الأملالك هو الله تعالى وإطلاقه على غيره وإن كان يتأول بن دونه أي ملك أملاك البشر لكنه في غاية من الإيهام وال بشاعة فلا ينفي. وقد تردد العلماء في أنه هل يلتحق به قاضي القضاة ونحوه.

ومن البشيع الواقع في زماننا في الأوصاف أن بني السلطان رشيد بن الشريف جسر سبو فصنع له بعضهم أبياتاً كتبت فيه برسم الإعلام. أولها: [مجزوء الرمل]

صَاعَ الْخَلِيفَةُ ذَالْجَازَ مَلْكُ الْحَقِيقَةِ لَا الْجَازِ

فلمه اقتناص هذه السجعة والتغالي في المدح والاهتزال بالاسترضاء على أن جعل ممدوحه ملكاً حقيقياً لا مجازياً وإنما ذلك هو الله تعالى. وكل ملك دونه مجاز للمدح وغيره ونسبة الألوهية إلى غيره تعالى كفر صراح. وهذا مقتضى النقوض

<sup>١</sup> ق: جبارا. <sup>٢</sup> ق: بالسهر. <sup>٣</sup> ق: بني. <sup>٤</sup> ق: الخليفة.

وقائله يتأوله بحقيقة دون حقيقة لأنَّه موحد ولكنه في غاية الإيهام وغاية البشاعة والقبح. وقد انكر الإشباعي وغيره ممن أَلْفَ في لحن العامة ما هو أَحْقَفُ من هذا بكثير. للهِ الأمر من قبْلِ ومن بعْد.<sup>١</sup>

وأمَّا اليوسفي فأصله اليوسفي كما مرَّ من أنَّ يوسف هو أبو القبيلة ويسقطون الفاء ١٦ في لغتهم. وأمَّا ذُكْرِي لما ذُكرَ من النسب فلعلَّه منها أنَّ يقف عليه من ذوي القرابة للتوصُّل إلى صلة الرحم والموراثة والمعاقلة وغير ذلك من الأحكام وهذا مما لا بدَّ منه. وقد قال سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلَّموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم. وقد حُمِّلَ الأمْرُ في كلامه على الوجوب وذلك أصله. الثانية أنَّ يعلم انقطاع النسب عند انتهائه إلى القرى. فيظهر معنى قول مولانا عمر أيضًا رضي الله عنه فيما يؤثر عنده أنَّه قال تعلَّموا أنسابكم ولا تكونوا كالقبط ينتسبون إلى القرى. وليس هذا مخصوصاً بالقبط بل المدن كلها تتلف الأنساب كما قال العراقي رحمة الله:<sup>٢</sup> [رجن]

### وَضَاعَتِ الْأَنْسَابُ بِالْبُلْدَانِ فَسُبِّبَ الْأَكْثَرُ إِلَّا وَطَانِ

وسبب ذلك أنَّ الإنسان إنما احتاج إلى التقدُّم للقيام بالمتاجر والحرف وسائر الأنساب التي ينظم بها أمر المعاش والتعاون على المنافع الدينية والدنيوية. ولا يتَّأْتِي ذلك عادة إلَّا بكثرَة الناس لتحصيل عمارة الأسواق. ويحصل من كل حرف وصناعة وسبَّب وعمل عارف أو أكثر يقوم بها. ولا يكون ذلك عادة من عشيرة واحدة بل ولا من قبيلة وعمارة بل من أخْلاط شتَّى وأفواج جمَّة. وذلك لسبعين. أحدهما أنَّ هذا هو موضعَة الكثرة الكافية فيما ذُكر. الثاني أنَّ عادة الله تعالى لم تُجْرِ باختصاص رهط أو حيٍ واحد من الناس بالتفرد بالمعارف والاستقلال بالمصالح الدينية والدنيوية من دون سائر أصناف الخلق حتَّى ينْتَظِمُ بهم الأمْرُ وحدَهم وتحصيل لهم المزية بذلك والذكر

<sup>١</sup> سقطت الجملة من م.

فيه دون من سواهم. بل بث الله تعالى بطريق حكمته الخصائص والمنايا في الناس فيوجد في هذا الرهط عالم وفي آخر شاعر وفي آخر صاغ أو تاجر. وهكذا يتم التعاون ويحيطى الخلق كلهم من مائدة الله تعالى في باب الخصوصيات بنصيب.

٢٦ ولما كانت المدينة تجمع أخلاط الناس صار ساكنها في الغالب غريباً عن نسبه. فقد لا يكون بينه وبين جار بيته نسب ولا معرفة. فإذا نشأ نسله انتسبوا غالباً إلى البلد لا إلى قومهم من وجهين أحدهما أنه كثيراً ما ينقطع ما بينهم وبين قومهم فلا يعرفونهم. الثاني أن الإنسان يحب بيته ويتوجه به لثلاثة أوجه. أحدها أنه لا يعرف غالباً غيره. الثاني أن الله تعالى حب إلى الناس منازلهم ليلازموها فتنتظم عمارة الأرض على ما قدر الله تعالى. كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم حب إلينا المدينة كجناة مكة أو أشد. الثالث ألف الطبعي فإن كل واحد يألف تربته كإلهه لأمه وأبيه. ولذا لا يزال يحن إلى مسقط رأسه ومحظ لهوه وأنسه. وقالوا الكريم يحن إلى وطنه كما يحن النجيب إلى عطنه.

وقال الأعرابي: [طويل]

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعِ  
إِلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَصُوبَ سَحَابَهَا  
بِلَادِهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَكَّنَ  
وَأَوْلُ أَرْضٍ مَسَّ جَلْدِي تُرَاهَا

٤٦ وقال الآخر: [كامل]

بَلَدِي أَفِقْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ وَالصَّبَّا  
وَلِسْتُ ثَوْبَ الْعَيْشِ وَهُوَ جَدِيدٌ  
فِإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ أَثْوَابُ الشَّبَابِ تَمَيَّدُ

٦٦ وقال الآخر: [طويل]

وَجَبَ أَوْطَكَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ  
مَارِبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هَنَالِكَ  
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرُتُهُمْ  
عُهُودُ الصَّبَّا فِيهَا فَحْنُوا لِذَلِكَ

٧٦ وهذا المعنى كثير شهير. ومن الأسباب في ذلك أنها أول بقعة ذاق فيها النعمة وأول جهة ألف منها الرفق وآنس الإحسان. وفي الحديث جبت القلوب على حب من أحسن إليها. ولك في الحديث وجهان أحدهما لطيف وهو أن القلوب الطاهرة عن الهوى الصافية من رعونات النفس الزاهرة بأنوار المعرفة جبت على حب الله تعالى لأنها هو الحسن إليها لا غير. والثاني ظاهري وهو أن القلوب من حيث هي جبت على الميل إلى الحسن من حيث هو. ولا شك أن كل محسن دون الله تعالى لا أثر له وإنما هو وجهة يرد منها إحسان الله تعالى. ومع ذلك يجب فكدا تربة الإنسان أول جهة ورد منها عليه الإحسان الإلهي. فيجئها قبل غيرها من الترب حباً متتكاً. كما قيل: [طويل]

أَتَانِي هَوَا هَوَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًّا فَتَمَكَّنَ

٨٦ وقال الآخر: [كامل]

كُمَتَّلِّ فِي الْأَرْضِ يَأْفُهُ الْفَتَّةَ وَحَنِيتُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَتَّلِّ

٩٦ ومن أسباب الحبة والحبين حب من كان فيها من ذوي القرابة والأحباب وتذكارهم عند تذكاريها. وقد قيل إن قوله صلى الله عليه وسلم في أحد: جبل يمحنا ونجبه إن المراد من كان فيه من الأصحاب حكمة ومن معه رضي الله عنهم.

١٠٦ وقال المجنون: [وافر]

أَمْرُ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارَ لَيْلَى أَقْلُ ذَا الْجَدَارَ وَذَا الْجَدَارَا  
وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفَنَ قَلْبِي

وقال الآخر يخاطب وطنه: [طويل]

١١٦

**تَقَسَّمَ فِيْكَ الْرُّبُّ أَهْلِي وَجِيرِيٍّ فِي الظَّهَرِ أَخِيَّاً وَفِي الْبَطْنِ أَمْوَاتِيٍّ**

١٢٦ وهذا سبب ذكر الديار والمنازل والأوطان. ولا ينحصر ما قيل في ذلك وسنته بشيء منه إن شاء الله في هذا الكتاب.

١٣٦ ثم إذا انتسب إلى البلد ذهب قومه وتوسيط أسلافه. فصار النسب مجھولاً لا باعث على حفظه ولا حامل على تعرفه. وهذا بخلاف أهل البايدية فإنهم يحفظون أنسابهم إذ لا ملجأ لهم في الانساب غير قومهم. فيقي الأب الأول محفوظاً ويحفظه وذرك يتذكر ما بينه وبينهم من سلسلة النسب. وإنما كان ذلك فيهم لوجهين أحدهما أنه لا قرار لهم في باidiتهم فينتسبوا إليه بل منازلها عندهم سواء. الثاني أنهم خالصون غالباً من كثير الشوب فكل واحد غالباً ينمازىل قومه إذ لا حاجة بهم إلى التدّن في باidiتهم أكتفاء بالحاضرة فكل حي فيها يعيشون وحدهم. ومتى خالطتهم غيرهم لم ينزل معروفاً بكونه ملصقاً. وقد يكون من القرى ما يكون كذلك لانقطاعه عن الاختلاط وعدم التدّن فيمكنهم حفظ أنسابهم أيضاً.

١٤٦ ومن هذا حفظت قريش أنسابها مع كونها في قبة. وكذا الخزرج في طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكذا نجورها. وقد يكون في المداين من يحفظ نسبه أيضاً. ولا سيما من له نسب مخصوص كالغالوية<sup>١</sup> أو من يكون في محله منعزلة في مصر فيكون كالقرية السابقة.

الثالثة أن يعلم أن حفظ الأنساب ليس خصوصية للعرب وإن كان لهم مزيد اهتمام بها ومزيد ارتفاع الهمة. وكانت أنا قبل أن أخالط قوي أظن ذلك وأقول إن العجم إنما هم كملعربي ليس بين الأم وبين ولدها عهد إلا أن يرعى<sup>٢</sup> فيذهب حيث شاء. وإنما الأب فلا سؤال عنه. فلما باحثت قوي في هذا الفيت الأمر على خلاف ما كنت أظن ووجدتهم يحفظون أنسابهم كما مر فإذا فيهم نسابون يتحققون الفضائل والشعوب

١ ط: كالغالوية: ق: كالعربية. ٢ ق: يسن بها.

على نحو ما كانت العرب تفعل في أنسابها. والوهن وإن كان يمكن أن يداخل شيئاً من ذلك فليس بمحبٍ فإن غيرهم أيضاً ما كان يسلم من ذلك.

١٦٦ وقد قال صلى الله عليه وسلم: كذب النسابون. قال تعالى ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ وكون هؤلاء أيضاً يكتفون بالقرى ويضيّعون أنسابهم فذلك غير مختص بهم. فقد وقع أيضاً للعرب حين دخلت قرى الشام والعراق ومصر والمغرب وغيرها. فلا تزال تلقى حليبياً أو حمصياً أو كوفياً أو بصرياً أو قطبياً أو باجيماً وهو تمييّز أو قيسري أو أردي أو غيره. وكثير منهم لا يرفع نسبة. وإنما قال سيدنا عمر رضي الله عنه ما قال قبل أن يقع هذا الواقع أو قاله خوفاً منه ثم وقع كما ظن.

١٧٦ ويعتّق بأمر النسب أبحاث. الأول أعلم أن نسب الإنسان الأصلي هو الطين. قال تعالى ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم أنتم بنو آدم وآدم من تراب. ويقال لآدم عليه السلام عرق الثرى وأعراق الثرى. قال أمرؤ القيس: [وافر]

إِلَى عَرْقِ الْثَّرِيِّ وَبَثَحْتُ عُرُوقِيْ وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلِبِنِي شَبَابِيْ<sup>١</sup>

١٨٦ وهذا هو الأصل بملته ثم لكل فرد منه بعد آدم أصل آخر وهو النطفة. قال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسَلَةً مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ . فإذا استوى الإنسان كله في أنه من طين وأنه في الجلة من ماء مهين لم يمكن أن يكون له فضل في نفسه باعتبار أصله. ولا أن يكون لبعضه فضل على بعض بذلك لاستواء الجميع. ولهذا نبه صلى الله عليه وسلم على هذا فقال إن الله أذهب عنكم غيبة الجاهلية وفرّها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب. وبنه الله تعالى الإنسان على أصله في آيات كثيرة ليتبّه فيعرف نفسه ويعرف اقتدار مولاه. وقال مولانا علي كرم الله وجهه ما لأن آدم والثغر وأوله<sup>٢</sup> نطفة وأخره حيفة. وقد يقال أوله نطفة مذرة وأخره حيفة قدرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة. وعقد الشاعر الكلام الأول فقال: [سرير]

١: ثيابي. ٢: ق: وإنما أصله.

مَا بَأْلَ مَنْ أَوْلَهُ نُطْفَةً وَجِيفَةً أَخْرُهُ يَفْزِرُ

وقال آخر: [منسح]

١٩٦

عَجَبْتُ مِنْ مُجَبِّ بِصُورَتِهِ  
وَكَانَ مِنْ قَبْلُ نُطْفَةً مَدِرَّهُ  
وَفِي غَدِّ بَعْدِ حُسْنٍ صُورَتِهِ  
يَصِيرُ فِي التُّرْبَ حِيفَةً قَدِرَهُ  
وَهُوَ عَلَى عَجَبِهِ وَنَحْوِهِ  
مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ تَخْرُجُ الْعَذْرَهُ

٢٠٦

نعم يشرف الإنسان بخصوصية تزاد على جسمه الطيني كالعقل والعلم والدين مثلاً. فيثبت له الفضل ويثبت لبعضه على بعض ولما عمي إيليس اللعين عن الخصوصية ولم ير إلا الطينية السابقة لم يرض بأدم ولا بالسجود له. ولم يسلم الأمر لمولاه فأبى وصرح بأنه خير منه وعلل ذلك بالمنشأ المذكور. فأخذوا من جهات منها أنه إما أن يكون لا شعور له بالخصوصيات أصلًا وإنما منظره ذات الأجرام. وهذا جهل عظيم وإنما أن يشعر بها ولا يعرف أنها بها يقع التفاضل وهذا أيضًا جهل. وإنما أن يعرف ذلك ولكن لا يسلم بوجودها<sup>١</sup> في آدم. فيكون قد بادر إلى إنكار الشيء قبل تتحقق انتقامته بل قبل التأمل وهو أيضًا جهل وطيش وغفلة عن الإمكانيات العقلية وتصرف الفاعل المختار تعالى.

٢١٦

وإنما أن يكون ذلك محتملاً عنده فعمل على الانتقام لا على الثبوت. وهو أيضًا جهل وزلل في الرأي وتضييع لل الاحتياط وإهمال دلالة القرآن المفيدة للعلم. فإنه لو تأمل أدنى تأمل لاستفاد المقص من ترشيحه للخلافة. فإنه لا ينفي عليه قول الله تعالى «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» ومن سجد للجمهور ويد الله مع الجماعة. وإنما أن يكون قد علم بذلك ولكن غلبه ما يجد من الحسد والكبر فاشتغل بالتكبر والمغالطة وهذا أيضاً جهل. فإن العلم إذا لم ينفع كالعدم ومن لا يجري على علمه في حكم الماجاهل

<sup>١</sup> كذلك في ق: م وأوله. <sup>٢</sup> م، ط، ق: وجودها.

هذا مع غاية النقصان بعد التركة وعدم ملك زمام النفس نسأل الله تعالى العصمة . قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكِّبَهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا﴾ .

ومنها أنه لم يخلص إلى صحيح العلم وصريح التوحيد فيعلم حق يقين أو عين يقين أو علم يقين أن للفاعل سجنه أن يتصرف في مملكته كيف شاء فيرفع من شاء ويضع من شاء ويقدم من شاء ويؤخر من شاء . ولا سبب غير العناية الأزلية وكل شيء بقضاء وقدر ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ .

ومنها أن ما اعتمد من فضل جرم النار على جرم الطين ضعيف لا يسلم له . فإن فضل النار إن كان مجرد حسنها الصوري فهذه المزنة لا تكفي . فإن الأشياء خلقت للانتفاع بها فما ينبغي أن يكون تفاوتها إلا بالمنافع أكثرية وأهمية . والحسن الصوري من المنافع النظرية وغيره أهم منه . في النار منافع كالإحرار والإيقاد والإنضاج والتسخين والتحليل والتقطيد والتعذيب لمن أريد والتدبر ونحو ذلك . وفيها مفاسد كثيرة ومضار هائلة كالإحرار والإتلاف للنفوس والأموال والزرع والتنشيف والتيسير والإيلام والعذاب الأكبر . وحسبك منها أنها ضرة الجنة وضدّها حتى حصل بينهما من التقابل شبه ما بين النفع والضر . والعذاب وإن استعمل على غير النار لكن النار أعظمه ولذا صعّ إطلاقها عليه .

وأما التراب فهو مهاد الإنسان وفراشه حيًّا وكفاته ميتاً . ثم هو منبع الماء الذي به الحياة ومبني الزرع وجميع الأقوات للإنسان وغيره من الحيوانات . ومبني العقارب التي بها الاستسقاء والمعادن التي بها قوام العيش والتي بها التعامل . فمنافعه لا تُحصى وليس فيه من المفاسد والمضار إلا ما هو تابعه يضُمحل في جنب المصالح والمنافع . فهذا هو الشرف والفضل وقد ظهر ما في كلٍّ منهما في فرعه . فانظر إلى فرع التراب الذي هو الرحمة والمنفعة وهو الإنسان كيف ظهر فيه العلم والدين والرحمة . قال تعالى في بيته صلى الله عليه وسلم ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ . وانظر إلى فرع النار التي هي النعمة والمضرّة وهو إبليس كيف ظهر فيه الإفساد والإغواء والاستفزاز .

٢٥٦ والأمر يد الله على أن الإنسان مخلوق من الأسطقفات الأربع التراب والماء والنار والهواء. قال تعالى «من تراب». وقال أيضاً «من طين» كما مرّ وهو التراب والماء. وقال تعالى أيضاً «من صلصال» وهو الطين اليابس لما فيه من نارية. وقال أيضاً «من حمّا مسنون» وهو المثير الرائحة بما تحمله من الهواء. فقد استولى الإنسان في تركيه ما في النار وزاد ما في غيره. فاقتحار صاحب النار على صاحب النار والماء والترب والريح حمق عظيم.

٢٦٦ وهذا الحل يسع من الكلام أكثر من هذا بكثير ولكنه ليس من غرضنا. فلنرجع إلى ما نحن فيه فنقول إن ابن آدم متى افخر قيل له إن كان افخبارك بأصلك فلا فخر لك بل كما يقال ضعيف عاذ بقرملة. ثم لا فخر لك به على غيرك لأنك سيان وإن كان بمثابة فهاتها فمن ثبت له أو لأبيه منية<sup>١</sup> ثبت فخره بنفسه أو بنسبة وإلا فلا. الثاني أعلم أن ما أشرنا إليه من المزايا التي يتشرف بها الإنسان حتى يشرف بشرفه من انتسب إليه كثيرة منها دينية كالنبوءة وهي أجلها وكاملها والصلاح ومكارم الأخلاق وغير ذلك. ودنيوية كالمال وهو أعظمها وكالتجدة والكرم والقوية وكثرة العدد وكثرة المال وال المجال ونحو ذلك. وكثير منها يصلح أن يكون دينياً ودنيوياً كالقوة والعزّ والكرم وسائر مكارم الأخلاق وبعضها ديني ودنيوي معاً كالنبوءة والخلافة والعلم. وبعض ذلك حسي وبعضه معنوي وبعضه وجودي وبعضه عدي وشرح ذلك يطول فلنقتصر القول مع تمثيل وتمهيد.

٢٧٦ أما التمثيل فهو أنه لو اعتبر رجالان متساويان في الخلق والخلق والنسب وسائر الأحوال فلا منية لأحدهما على الآخر. وفي مثلهما قال علقة بن علاة للمتنافرين صرفاً كربكي البعير الآدم. ولو اخترض أحدهما بالفقه فهذه منية وجودية يفضل بها الآخر. ولو اخترض أحدهما بكونه ظلوماً فهذه منية مذمومة عند أهل الشرع وقد سلم منها الآخر فله الفضل بمثابة هي عدمية. وعند الجاهلية يعكس هذا ولذا تأتي لشاعرهم أن يأجو بقوله: [طويل]

<sup>١</sup> سقط من م.

**قُبِيلَةٌ لَا يَخْفِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَتَّىٰ خَرَدَلٌ**

فقد فهمت المزينة في الجلة.

وأَمَّا التهديد فاعلم أَنَّ الْأَجْرَامُ التَّرَايِّيَّةُ وَمَا تَوَالَدَ مِنْهَا مِتَّسِبَاهَةً فِي الْأَصْلِ. وَكَانَتْ  
الْمَزِينَةُ لِلنَّامِيَّاتِ الْثَّلَاثَةِ وَهِيَ الْمَعْدِنُ وَالنَّبَاتُ وَالحَيْوَانُ. أَمَّا الْمَعْدِنُ فَلَهُ الْفَضْلُ عَلَى  
سَائِرِ الْأَجْرَامِ التَّرَايِّيَّةِ بِالنَّفْوِ وَالنَّفَاسَةِ وَالْإِنْتَقَاعِ. وَأَمَّا النَّبَاتُ فَلَهُ الْفَضْلُ عَلَى مَا قَبْلَهُ  
بِالنَّفْوِ لِلِّإِثْمَارِ وَالْإِنْتَقَاعِ الْخَاصِّ وَوُجُودِ النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ حَتَّىٰ أَنَّ الْمَعْدِنَ جَزْءَهُ كُلُّهُ  
فَيَنْقُعُ بِمَا يَقْطَعُ مِنْهُ فَهُوَ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ النَّامِيُّ بِخَلَافِ الشَّجَرَةِ لَوْا قَطَعَتْ مِنْهَا قَطْعَةٌ  
لَمْ يَنْقُعْ بِهَا الْإِنْتَقَاعُ الْمَرَادُ مِنْهَا كَالِإِثْمَارِ فَأَشْبَهَتِ الْحَيْوَانَ وَرَبِّمَا تَوَتَّ بَعْطَمَ رَأْسَهَا  
كَالْخَلَةِ كَمَا يَوْمَتِ الْحَيْوَانَ. وَقَدْ ادْعَى بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ النَّبَاتَ حَيَّةٌ وَرَزَعُوهَا أَنَّ الْخَلَةَ  
يَعْشُقُ بَعْضَهَا بَعْضٌ فَيُمْلِئُ إِلَيْهِ. وَأَمَّا مَيْلُ عِرْوَقَهَا إِلَى الْمَاءِ فَمُشَاهَدٌ. وَرَزَعُوهَا أَنَّهُ  
إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الْإِشَارَةُ بِالْحَدِيثِ أَرْكَمُوا عَمْتَكُمُ الْخَلَةَ وَهُوَ حَدِيثُ غَرِيبٍ. وَالَّذِي فِي  
الصَّحِيحِ أَنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ. وَاحْتَلَفَ الْمُحَدِّثُونَ فِي وِجْهِ الشَّبَهِ عَلَى أَقْوَالٍ مَعْرُوفَةٍ. وَأَمَّا  
الْحَيْوَانُ فَلَهُ الْفَضْلُ بِمَا ذَكَرَ مِنْ زِيادةِ الْحَيَاةِ وَالْإِحْسَاسِ وَالْإِلَهَامِ. وَيَخْتَصُّ الْإِنْسَانُ  
عَنْ جُمْلَتِهِ بِزِيادةِ الْعُقْلِ الَّذِي هُوَ مُحَظَّ إِدْرَاكَ الْكَلِيَّاتِ وَالرَّأْيِ وَالتَّصْرِيفِ فَلِلْإِنْسَانِ  
الْفَضْلُ عَلَى الْجَمِيعِ.

وَالْإِنْسَانُ لَفَظَ وَاقِعَ عَلَى آدَمَ وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ أَبْدًا إِسْمًا لِلْقَدْرِ الْمُشَرِّكِ فِيهِ. وَهُوَ  
الْحَيْوَانُ النَّاطِقُ أَيُّ الْمُنْفَكِرُ بِالْقَوْةِ<sup>١</sup> وَالْأَدَمِيُّ كُلُّهُ مُشَرِّكٌ فِي هَذِهِ الْفَضْيَّةِ وَلَذَا  
سَخَّرَ لَهُ غَيْرُهُ وَابْتَلَيْهِ بِالْتَّكْلِيفِ بِعِرْفَةِ الْخَالِقِ تَعَالَى وَبِعِبَادَتِهِ. وَهَذِهِ مَزِينَةُ أُخْرَى  
لِجَمِيعِهِ وَلَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَرْزَاقِهِ وَفِي حَلْقَهِ وَفِي حُلْقَهِ وَفِي لِيَسِهِ وَرَكْوَبِهِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ بَكْثَرٌ. قَالَ تَعَالَى «وَلَقَدْ كَرِمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ  
الْأَطْيَابِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِنَا نَقْصِيَّالاً». وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى عَلَى كَثِيرٍ لِبَقاءِ  
الملائكةِ عَلَى مَا فِي ذَلِكَ مِنَ النِّزَاعِ الْمُشْهُورِ بَيْنِ الْجَمِيعِ.

١: تقصَّ بعد هذه الكلمة حوالي ٧ فقرات مع أنَّ أرقام أوراق المخطوط متواصلة.

- ٢٠٦ لطيفة: كان بعض المخارفين<sup>١</sup> يقولون نحن عشر المحروميين لسنا من ولد آدم لأنَّ الله تعالى قد قال فيهم ما تقدَّم يعني الآية وليس عندنا شيءٌ من ذلك. ويقول كأنَّ آدم عبد فهن جيئاً من ولده وليس بين آدم نسباً أصلًا. قلت وهذا دخل في أحاديث الזרافات والمخففات الباطلة. والإنسان كله ابن آدم كما قال صلى الله عليه وسلم أنت بـنـوـآـدـمـ. والآية صحيحة على الجملة وصحيحة أيضاً على التفصيل لأنَّ كلَّ آدمي ولو بلغ في حرمـانـ الرزقـ والـفـقـرـ المـدـعـقـ ما عـسـىـ أنـ يـلـغـ هوـأـفـضـلـ منـ سـائـرـ الحـيـوانـ وـمنـ الجـنـ بـعـقـلـهـ وـصـورـتـهـ الـحـسـنةـ وـانتـصـابـ قـامـتـهـ وأـكـلهـ بـيـدـيـهـ مـعـاـ وـسـائـرـ تـصـرـفـاتـهـ وـتـنـاوـلـهـ منـ الطـيـبـاتـ الـتـيـ لاـ تـصـلـ إـلـيـهاـ الـحـيـوانـاتـ وـمـتـكـنـ منـ الـرـكـوبـ فـيـ الـبـرـ وـالـبـحـرـ إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ. فهوـ مـكـرـمـ أـيـ تـكـرـيمـ وـمـفـضـلـ أـيـ تـقـضـيـلـ.
- ٢١٦ ثمَّ إنَّ أفرادَ الإنسـانـ مـتـفـاقـوـنـ فـيـماـ ذـكـرـ مـنـ مـرـيـةـ الـعـقـلـ كـثـرـةـ وـقـلـةـ تـفـاوـتـاـ عـظـيـماـ. وأـعـلـاهـ فـيـ ذـلـكـ الـأـبـيـاءـ ثـمـ الصـدـيقـونـ ثـمـ سـائـرـ الـرـاهـدـيـنـ فـيـ الـعـرـضـ الـفـانـيـ. وأـمـاـ أـقـلـهـمـ عـقـلاـ فـلـاـ يـنـضـبـطـ وـإـنـ وـقـعـ التـعـيـرـ عـنـهـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ كـلـامـ الـأـبـيـاءـ وـالـحـكـاءـ. فـقـدـ اـنـتـهـيـ بـعـضـ الـأـفـرـادـ إـلـىـ مـرـاحـمـ الـبـهـائـ وـمـاـ يـقـعـ مـنـ التـعـيـرـ عـنـهـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـإـضـافـةـ.
- ٢٢٦ ثـمـ إنَّ اللهـ تـعـالـىـ خـصـ آـدـمـ وـبـنـيـهـ بـرـبـاـيـاـ أـخـرـيـ دـيـنـيـةـ وـدـيـنـيـةـ يـمـتـازـ بـهـاـ الـبـعـضـ عـنـ الـبـعـضـ لـاـ مـشـرـكـةـ كـالـأـولـىـ. أـعـلـاهـ فـيـ الـدـيـنـيـةـ الـنـبـوـةـ ثـمـ الـخـلـافـةـ عـنـهـاـ فـيـ الـظـاهـرـأـوـ فـيـ الـبـاطـنـ أـوـ فـيـهـمـاـ أـوـ فـيـ السـيـاسـةـ. وـفـيـ الـدـيـنـيـةـ الـمـلـكـ ثـمـ الـبـيـانـةـ عـنـهـ وـمـنـهـ الـقـوـةـ وـكـثـرـةـ الـمـالـ وـكـثـرـةـ الـإـنـفـاقـ وـاصـطـنـاعـ الـصـنـاعـ وـابـتـنـاءـ الـمـاـشـ وـكـثـرـةـ الـعـدـدـ وـالـفـصـاحـةـ وـالـصـبـاحـةـ وـنـحـوـ ذـلـكـ مـنـ كـلـ وـصـفـ مـحـمـودـ فـيـ الدـيـنـ أـوـ فـيـ الدـنـيـاـ. مـنـ حـصـلـ لـهـ شـيـءـ مـنـ ذـلـكـ حـصـلـ لـهـ شـرـفـ عـلـىـ قـدـرـهـ وـبـثـ لـوـلـدـهـ عـذـلـكـ فـيـ مـفـاـخـرـ أـيـهـمـ. وـهـوـ الـمـرـادـ بـالـحـسـبـ فـيـ لـسـانـ الـعـربـ فـكـلـ وـاحـدـ عـنـهـمـ حـسـبـهـ هـوـ مـاـ يـعـدـ مـنـ مـفـاـخـرـ آـبـائـهـ فـهـوـ مـنـ الـحـسـابـ وـمـنـ لـيـسـ لـهـ مـاـ يـعـدـ فـلـاـ حـسـبـ لـهـ. فـاـلـخـلـصـةـ الـحـمـيدـةـ تـكـوـنـ مـغـرـةـ لـمـ اـتـصـفـ بـهـاـ وـلـمـ اـنـتـسـفـ إـلـىـ مـنـ اـتـصـفـ بـهـاـ فـيـشـرـفـ نـسـبـهـ بـذـلـكـ.

<sup>١</sup> م، ط، ق: مخارف.

إذا عُلم هذا فنقول إنَّ آدم أبا البشر على نبينا وعليه السلام قد حصل له الشرف بالنبوة وسائر الخصال الحميدة وسجدة الملائكة له وولادته للأبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وهذا كلُّه من المزايا مجتمع بينه شريفهم ومشروفهم ورشيدهم وغويهم يحصل لهم بالانساب إليه شرف من هذا الوجه يفضلون به غيرهم من ينتمي إلى جين أو بعيمه. فلا تظنْ أنَّ دابة لكونها لم تعص الله تعالى تكون أشرف من إنسان كافر أو فاسق إلا من هذا الوجه. وأمّا في النسب والحسب والصورة وغيرها فهو أشرف منها. ولذا يوارى إن مات ولا توارى هي غير أنَّ الافتخار بنسبة آدم قد شُنُوسي لطول العهد كثُنوسيت رحْمه.

ومن أطرف ما وقع لسيدنا معاوية رضي الله عنه أن جاءه إنسان فقال له أسلوك بالرحم التي يبني وبينك إلا ما رفدتني. فقال أنت من عبد مناف؟ قال لا. قال أنت من قريش؟ قال لا. قال أنت من العرب؟ قال لا. قال أي رحم يبني وبينك؟ قال رحم آدم. فقال رحْمٌ مجْفَوَّةً لا تكون أول من وصلها. فأعطاه.

ثم يمتازون بعد ذلك فنـ كان من ولد نوح عليه السلام فهو أفضل نسباً من بقية ولد آدم لأنَّ أولئك يعدون آدم وهو لاء يعدون آدم ونوح. فإنَّ كلَّ ما يعده الأعلى يعده الأسفل ويزيد فإنَّ الأخْصَّ فيه ما في الأعمَّ وزيادة. وهذا كما يقال في الحكمة في الأجناس المتوسطة والسافة والأنواع الحقيقة والفصوص إنَّ كلَّ ما يتقدّم به الأعلى يتقدّم به الأسفل ويزيد. فالله تعالى قد قال ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِي آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَأَنَّ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. فمن انتسب إلى آدم ونوح فقد انتسب إلى مصطفين ثمَّ من كان من ولد إبراهيم بعد ذلك فهو أفضل من بقية ولد نوح لأنَّه يعد آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام.

وإلى هذا أشار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله حين قيل له من أكرم الناس؟ الكَرِيمُ ابنُ الْكَرِيمِ ابنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعقوبٍ بْنُ إِسْحَاقٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِي ابْنِي ابْنِي ابْنِي. وكلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موافق لقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْرَأُكُمْ﴾. فإنَّ الأَبِيَاء هُم أَتْقَى النَّاسِ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ وَإِنَّمَا يَخْتَصُّ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

فهم أكمل الناس. فمن انتسب إليهم كرم بنسبه إليهم وإن لم يكن نبياً فكيف إذا كان هو أيضاًنبياً؟ فله الشرف الطارف والتلذذ ك يوسف عليه السلام فصدق نبينا صلى الله عليه وسلم. ثم أولاد إبراهيم عليه السلام يتفاوتون في الشرف أيضاً بقدر أنسابهم فمن ازداد بنبي أو نبيين أو أكثر ازداد درجة في الشرف. فأما أولاد إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام فلهم الشرف في الجملة غير أن الأسباط أولاد يعقوب بن إسحاق لهم الشرف الشامخ والجد الباذخ. فإنهم فازوا بثلاثة آنبياء على سقّ ثم جل الآنبياء بعد ذلك فيهم.

وقد قال الله تعالى لبني إسرائيل ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَكُمْ مَا لَمْ يُوتَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ . وقال تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَغْمَثْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلَّتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ إلى غير ذلك.  
 وأولاد العيسى بن إسحاق لهم شرف دونهم ولم يكن فيهمنبي فيما يقال غير أيوب<sup>١</sup> عليه السلام. وأما أولاد إسماعيل بن إبراهيم فلهم الشرف بإبراهيم وإسماعيل وأولاً ثم استطكوا شرفاً آخر بسيّد الوجود وسر الكائنات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. فإنه صلى الله عليه وسلم إليه يساق حديث الشرف العدد وباسمه يرسم عنوان صحيفة الجد فيه شرف من قبله كما به شرف من بعده. وقد كان آدم يكتفى به تشريفاً له بأشرف أولاده فيقال أبو محمد. وكما يشرف الولد بشرف الوالد قد يشرف الوالد بشرف الولد. والله در ابن الروي في قوله: [يسقط]

**وَمَكَّ أَبِ قَدْ عَلَا بَنْ ذُرَى حَسَبٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ**

وستزيد هذا بسطاً إن شاء الله تعالى. فمن اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعده وهم الفاطميون أشرف الناس نسباً لأنّ غيره كبني إسرائيل وإن عدّ بكثرة الأنبياء فهو يعده بأشرف الأنبياء والمتّصل إلى الأشرف يجب أن يكون أشرف. وهذا باعتبار النسب فقط. أما من حصلت له النبوة من بني إسرائيل فهو أشرف بذاته ممن ليس

١ يبدأ ق من جديد بعد هذه الكلمة.

بنيَ إِذَا يُعَدُّ النَّبِيَّةُ إِلَّا نَبِيَّةٌ أُخْرَىٰ . كَمَا أَنَّ مِنْ كُفَّارِهِمْ فَقَدْ اخْتَلَّ نَسْبَهُ وَاضْحَلَّ  
حَسْبَهُ بِالإِضَافَةِ إِلَىٰ مَنْ لَمْ يَكُفُّرْهُمْ .

٢٩٦ أَمَّا لَوْ قَيْسَ هَذَا الْكَافِرَ إِلَىٰ كَافِرَآخْرَ قَبْطِيًّا أَوْ نَبِيًّا أَوْ نَجْوَاهُمَا فَالواجبُ أَنْ  
يَكُونَ هَذَا أَشْرَفُ نَسْبًا وَلَوْ قَيْسَ إِلَىٰ مُؤْمِنٍ مِنْ هَؤُلَاءِ لِتَعْرِضُ الْوِجْهَانَ وَلَكِنْ  
الْإِسْلَامُ يَعْلُوُ وَلَا يَعْلُوُ عَلَيْهِ . وَفِي السِّيرَةِ قَالَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا أَبُو سَفِيَّانَ وَسَهِيلُ  
وَكَانَ أَبُو سَفِيَّانَ لَمَّا يُسْلِمَ وَقَدَّمُوهُ لِشَرْفِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا سَهِيلُ  
وَأَبُو سَفِيَّانَ الْإِسْلَامُ يَعْلُوُ وَلَا يَعْلُوُ عَلَيْهِ . فَاتَّبَعَهُ لَهُذَا الْفَصْلِ فَإِنَّ رِمْتَهُ وَلَمْ أَبْسِطْهُ  
لَأَنَّ بَعْضَهُ مَوْحِشٌ لِمَنْ لَا يَفْهَمُ لَهُ .

٤٠٦ وَإِذَا عُلِّمَ تَقْضِيلُ النَّسْبِ وَالْحَسْبِ فِي بَابِ النَّبِيَّةِ فَهُمْ فِي غَيْرِهَا كَذَلِكَ كَالْعَلْمُ  
وَالصَّلَاحُ وَالْهَدَايَةُ وَالزَّهْدُ وَالوَرْعُ وَالْمَلْكُ وَالنَّجْدَةُ وَالْجَبُودُ وَغَيْرُ ذَلِكِ مِنْ كُلِّ مَا  
يُحْتَسِبُ بِهِ . وَيُصِيرُ بِهِ مِنْ عُرْفٍ بِهِ عِينًا مِنْ أَعْيَانِ عِشِيرَتِهِ أَوْ قَيْلِتِهِ أَوْ عِمارَتِهِ أَوْ  
بِلَدِهِ أَوْ جِيلِهِ وَيُشَرِّفُ بِهِ مِنْ انتَسَبَ إِلَيْهِ . وَلَمْ يُخْلِلِ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا مِنْ سَيِّدِ كَلَمِ يُخْلِلُ  
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِ . وَبِسَادَةِ النَّاسِ تَنْتَظِمُ أَمْرُهُمْ فَهُمْ خَلْفَاءُ اللَّهِ فِي عِبَادَتِهِ بِالْحُكْمِ التَّصْرِيفِيِّ .  
وَلَذِكْ إِذَا فَقَدُوا أَوْ فَقَدُتِ الْأَهْلِيَّةُ مِنْهُمْ اخْتَلَّ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : [سَيِّط]

لَا يَصِلُّ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَّاءَ لَهُمْ وَلَا سَرَّاءٌ إِذَا جُهَّا لَهُمْ سَادُوا

٤١٦ الثَّالِثُ الْإِنْسَانُ قَدْ يَفْتَخِرُ بِنَسْبِهِ عَلَىٰ مَا مَرَّ وَقَدْ يَفْتَخِرُ بِنَفْسِهِ أَيِّ بِالْخَصَالِ الَّتِي  
اَتَّصَفُ بِهَا وَالدَّرَجَاتُ الَّتِي نَالَهَا مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا . وَالْأَوَّلُ هُوَ الْغَرْغَرُ الْعَظَامِيُّ لِأَنَّهُ اَفْتَخَرَ  
بِالْعَظَامِ وَالرُّفَاقَاتِ . وَالثَّانِي هُوَ الْغَرْغَرُ الْعَصَامِيُّ وَهُوَ مَأْخُوذُ مِنْ عَصَامِ صَاحِبِ النَّعْمَانِ .  
وَكَانَ يَقُولُ : [رِجَنْ]

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَّتْ عِصَامًا وَعَمَّتْهُ الْكَرَّ وَالْأَقْدَامَا

٤٢٦ فكل ما جاءه السؤدد من تلقاء نفسه فهو مثل عصام هذا فخره عصامي.  
والناس لم يزالوا مختلفين في هذا المنحى فقوم يعنون<sup>١</sup> في افتخارهم أو شائئهم بذكر  
الآباء كقوله: [وافر]

أَنَا أَبْنَاءُ مُرْتَقِيَا عَمْرَو وَجَدِيِّي أَبُوهُ مُسْنَدِرُ مَاءُ السَّمَاءِ

٤٣٦ وقول النابغة: [طويل]

لَئِنْ كَانَ لِلْقَبَرَيْنِ قَبْرٌ بِجَلَقٍ  
وَقَبْرٌ بِصَيْدَاءَ الَّذِي عِنْدَ حَارِبٍ  
لِيَبْتَغِيَنِ ۝ لِيَنْجِيَشِ دَارَ الْحَارِبِ

٤٤٦ وقول حسان رضي الله عنه: [كامل]

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

٤٥٦ وقول العرجي العثماني: [وافر]

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَقَّا أَضَاعُوا<sup>٣</sup> يَوْمٍ كَرِيمَةٍ وَسِدَادٍ ثَغَرٍ  
كَأَيِّ لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا فَلَمْ تَكُنْ سَبَّتِي فِي آلِ عَمْرٍو

٤٦٦ وقال الفرزدق: [طويل]

أُولَئِكَ آبَائِي فَخْيَنِي بِمَثَلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَحَاجِمُ

<sup>١</sup> ط، ق: يعيشون. <sup>٢</sup> ط: يلتمس. <sup>٣</sup> في الهاشم في ق: وقول العرجي العثماني ليس هو بأول شطر البيت وإن أول شطر البيت: أضاعوني وأي فقي أضاعوا.

وقال النابغة لحسان رضي الله عنه حين أنسد: [طويل]

٤٧٦

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَمْعِنْ بِالضُّحَىٰ  
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرُنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا  
وَلَدَنَا بَنِي الْعَنْكَاءِ وَبَنِي الْخَارِقِ فَأَكْرَمْ بَنَآ ابْنَمَا

٤٨٦

إِنَّكَ شَاعِرٌ لَوْلَا أَنَّكَ قَلْتَ الْجَفَنَاتَ فَقَلَّتِ الْعَدْدُ وَلَوْقَلْتَ الْجَفَنَانَ كَانَ أَلْبَغُ.  
وَقَلْتَ يَلْمَعُنَ بِالضُّحَىٰ وَلَوْقَلْتَ يَشْرُقُنَ بِالدَّجْجَى كَانَ أَلْبَغُ. وَقَلْتَ يَقْطُرُنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا  
وَلَوْقَلْتَ يَجْرِيْنَ كَانَ أَلْبَغُ. ثُمَّ افْتَحَرَتِ بَنَى وَلَدَتْ وَلَمْ تَفْتَحْ بَنَى وَلَدَكَ فَهَذَا مَذْهَبُ  
الْعَرَبِ وَهُوَ الْإِفْتَحَارُ بِالْأَبَاءِ. وَلَذَا نَبَهَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَهُ كَمَا مَرَّ.  
وَقَوْمٌ يَفْتَحُونَ بِأَنفُسِهِمْ وَهَذَا الْوَجْهُ كَثِيرٌ أَيْضًا جَدًّا لِأَنَّهُ طَبَ الْأَدَيْ لَا يَكَادُ يَسْلُمُ مِنْهُ  
وَلَا يَحْصُى مَا فِيهِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ نَظَمًا وَنَثَرًا وَلَا حَاجَةٌ إِلَى التَّطْوِيلِ.

٤٩٦

وَمِنْ أَفْصَحِ مَا وَرَدَ فِي هَذَا النَّحْوِ قَوْلُ السَّمْوَالِ فِي لَامِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ مِنْهَا: [طويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ الْلَّوْمِ عَرَضُهُ  
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ  
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الشَّاءِ سَيِّلُ  
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ<sup>١</sup>  
شَبَابُ شَائِئِ الْعَلَا وَكُهُولُ  
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السَّيُوفِ سَيِّلُ  
تَسِيلُ عَلَى حَدَّ الظُّبَابَاتِ تُقُوْسُنَا  
إِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى أَقْتَلَ سُبَّةً

٥٠٦

إِلَى أَنْ قَالَ: [مُخْلِعُ البَسِيطِ]

وَنَنْكِرُ إِنْ شِدَّنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ  
وَلَا يَنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ  
سَلِيٌّ إِنْ جَهَلْتَ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ  
فَإِنَّ بَنِي الْدَّيَانَ قُطْبٌ لِتَوْمَهِمْ

١ طَبِيزِيدُ فِي الْهَامِشِ: وَمَا ضَرَبَنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَازَنَا عَزِيزٌ وَجَازَ الْأَكْرَبِينَ ذَلِيلٌ. ٢ طَ: سَلِيل.

ومثل هذا النط من الكلام فيه افتخار بالنفس وبالآباء أيضاً لأن المقصود أنهم على  
٥١٦ هذا الوصف كباراً عن كابر. قوله الفرزدق: [طويل]

أَنَا الْمَذِيدُ الْحَكَمِيُّ الْمَذْمَارِ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

وغير ذلك. ثم كثير من الناس لا يلتقطون إلى النسب ولا يقيمون لمفترض به ورنا.  
٥٢٦ كما قال الحريري: [طويل]

لَعْنُوكَ مَا آتَى إِلَيْكَ إِلَّا أَبْنَى يَوْمَهُ  
عَلَى مَا بَدَأَ مِنْ حَالٍ لَا أَبْنُ أَمْسِهِ  
وَمَا لَفْخُرُ بِالْعَظَمِ الْرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَسْعَى الْخَنَارَ بِنَفْسِهِ

وقال الآخر: [منسج] ٥٣٦

كُنْ أَبْنَ مَنْ شِئْتَ وَلَا تَخْذُنْ أَدْبَا  
يُغْنِينِكَ مُحَمَّدَةً عَنِ التَّسَبِ  
إِنَّ الْفَقْتَيَ مَنْ يَقُولُ هَانَدَا  
لِيَسَ الْفَقْتَيَ مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

إلى غير ذلك مما لا يحصر.

والحق أنكم النسب فضيلة. قال تعالى «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا» وقال صلى الله  
عليه وسلم في بنت حاتم إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق. ووصف الإنسان  
وسعيه هو الشأن والنسب زيادة. فإلغاء النسب رأساً جور والاقتصار عليه عجز  
والصواب ما قال عامر بن الطفيلي: [طويل] ٥٤٦

وَفِي السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرْحُ الْمَهْذِبَ  
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَبْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ  
أَبِي اللَّهِ أَنَّ أَسْمُو بِأَمْ وَلَا أَبِ  
فَمَا سَوَدَتِنِي عَامِرٌ عَنِ وِرَاثَةِ  
وَلِكَثِنِي أَخِي حِمَاهَا وَأَتَقِي  
أَذَاهَا وَأَرِمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَتَكِي

١ ط: أكسب.

قوله وإن كُنْتَ ابْنَ سَيِّدِ الْعَامِرِ تَعْرِيْضٌ بِالنَّسْبِ وَإِعْلَامٌ بِمَكَانِهِ مِنْهُ . وَقَوْلُهُ أَبِي اللَّهِ أَنَّ أَسْمَوْ بَامْ وَلَا أَبْ أَيْ فَقْطَ دُونَ شَيْءٍ يَكُونُ مِنِّي لِيُواْفِقُ مَا قَبْلَهُ . فَرَادَهُ أَيْ لَا أَكُنْ بِالنَّسْبِ وَأَخْلُوْعَنِ اسْتِحْصَالِ الْمَحْدُ وَابْتِنَاءِ الْمَجْدُ .

ومثله: [كامل أضد]

٥٥٦

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرْمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَشَكُّلْ  
بَنِي كَمَا كَانَ أَوْتَلُنَا تَبَنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

٥٦٦

وقال الآخر: [طويل]

أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي حَقِيقَةً وَأَيْلِ كَمَا كَانَ يَحْجِي عَنْ حَقَائِقِهَا أَيْ

٥٧٦

وقال زهير: [طويل]

وَمَا يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ أَتُوهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُبْتَلُ الْحَاطِي إِلَّا وَشِيجُهُ وَتَعْرُسُ إِلَّا فِي مَنَابِهَا النَّخْلُ

٥٨٦

وقال الملك الراطي من ملوك بني العباس: [كامل]

لَا تَعْذِيْرِي كَرْمِي عَلَى الْإِسْرَافِ رَجُحُ الْحَامِدِ مُتَبَرُ الْأَشْرَافِ  
أَجْرِي كَبَائِي الْخَلَافَ سَايْقاً وَأَشِيدُ مَا قَدَّ أَسَسَتْ أَسْلَافِي  
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَكْفَهُمْ مُعْتَادَةُ الْإِخْلَافِ وَالْإِلَاقَافِ

٥٩٦

فهذا وأئيك الغر العلي البنيان المؤسس الأركان .

واعلم أن الناس في هذا الباب ثلاثة رجل كان أصلًا ثم قام هو أيضًا يشيد بنائه ويحيط بستانه كالذى قبله . فهذا أكرم الناس وأولاهم بكل مغفر . وفيه كان قوله صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم كما مر . والمذروة العليا في هذا الصنف هو نبينا صلى

الله عليه وسلم. فإنه كان أصيلاً بحسب النبوة من عهد إبراهيم وإسماعيل. ثم لم تزل أسلافة في شرف وسؤد ومجده مخلداً معروفاً ذلك لهم عند الناس. وأنهم أهل الحرم وجيران الله وسَدَّنَهُ بيته مع إكرام الضيف وإعمال السيف وغير ذلك من المفاخر العظام والماثر للجسم. وقد اختصهم الله بين العرب بالاحترام والتوقير وجعل لهم رحلة الشتاء والصيف آمنين لا يعرض لهم لص ولا مغير فأطعمهم من جوع وأمنهم من خوف كما أخبر به تعالى في كتابه. وذكر ذلك بعض بنى أسد فقال: [وافر]

رَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفُ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَفُ  
أُولَئِكَ أُمِنُوا جُوعًا وَحَرْقًا وَقَدْ جَاءَتْ بْنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

أي أخطاءً في هذا الرعم لأنكم لستم مثلهم. وقوله إلف مصدر على<sup>١</sup> فعال يقال آفتة مؤلفة إلهاً وتالهاً وليس من آفتة الشيء إيلهاً كالذى في القرآن.

٦٠٦ ثم لما جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم رد بدر شرفهم بغيراً وجدول كرمهم بحرًا. بل جعلهم قرار كل مجد ومركب كل حمد. وقد أكل به الله تعالى الدين فكذلك أكل به سائر المحامد والمحاسن. قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأنتم مكارم الأخلاق وهو صلى الله عليه وسلم لبنة التمام فشرفت به قريش خصوصاً والأمة كلها عموماً صلى الله عليه وسلم وبجد وعظيم. وقد بين صلى الله عليه وسلم هذا كله مع الإشارة إلى التدرج السابق بقوله إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كاتنة واصطفى من بنى كاتنة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفى من بنى هاشم.

٦١٦ ورجل لا أصل له ينتهي إليه ولا حسب يُرجَّح عليه ولكن انتهض في اقتناه الماثر واقتناص المفاخر حتى اشتهر بمحاسن الخلال وصار في عداد أهل الكمال وأنشد لسان حاله. فقال: [خفيف]

١. ق بزيد كمية وزن.

## وَسَفِي شَرُّ لَا يَحْدُودِي

فهذا أحرى أن يشرف بوصفه وحاله وأن يشرف به من بعده وأن يكون هو أساس بيته وعرق شجرته .

وكان بعض الملوك استدعى رجلاً ليستوزره . فقال له الرجل أيها الملك إنه ليس لي في هذا سلف . فقال له الملك إني أريد أن أجعلك سلفاً لغيرك . وأصحاب هذا الملك فإنه لو توقف كل بيت على بيت قبله لكان من التسلسل الباطل . فالله تعالى يخرج الحية من الميت ويحيي الأرض بعد موتها . ذلك تقدير العزيز العليم فلم يزل الشرف يتجدد ويحدث بالعلم والولاية والجود وسائر الأوصاف . وقد ارتفع الوضعاء بالشعر كما اتضاع الرفقاء به . ولذا قال صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحمة . وفي رواية لحمة . فن الأول الحلق وهو عبد العزيز بن حنم الكلابي وكان رجلاً خاماً مقللاً من المال . فلما مرت به الأعشى ذاهباً إلى سوق عكاظ قالت له أمّه إن أبا بصير رجل محدود في شعره وأنت رجل خامل مقلل ولك بنات فلو سبقت إليه وأكرمه رجيناً أن يكون لك منه خير . فبادر إليه وأذنه ونحر له وسقاوه الخمر . فلما أخذت منه الخمر اشتكي له حال وحال بناته . فقال له ستكون أمّ هن . فلما أصبح قصد إلى السوق فأنشد قصيدة التي أولها : [طويل]

أَرْقُتْ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمَوْرُقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشُقٌ

إلى أن انتهى فيها إلى قوله في الحلق :

نَقَى الدَّمَ عَنْ آلِ الْحَلْقِ جَفَنَةُ  
بِكَابِيَةِ السَّيِّعِ الْعِرَاقِيِّ تَهَقُّ  
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا شَارِيعَيْنِ وَبَيْنَهُمْ  
مَعَ الْقَوْمِ وِلَدَانِ مَعَ النَّاسِ دَرَدَقُ  
لَعْمَري لَقَدْ لَاحَتْ عَيْنُونِ كَثِيرَةُ  
إِلَى ضَوْءِ نَارِ فِي كَاعِ تَحْرَقُ

١ ط: اقتصرت.

تُشَبِّهُ لِمَقْرُورِينَ يَضْطَلِّيْكَا هَنَّا  
وَبَاتَ عَلَى الْمَسَارِ الْتَّدَى وَالْمَحَلَّقِ  
رَضِيعِي لِبَانِ ثَدَى أَمْ تَحَالَفَا  
يَأْسَمَهُ دَاجٌ عَوْضٌ لَا تَتَرَفَّ  
تَرَى آتِجُودٍ يَجْرِي سَائِرًا فَوْقَ جَمِيرٍ  
كَمَا رَأَى مَشْأَمَهُ شُدُّوا يَرِي رَوْقَ

فما أتمَ القصيدة إِلَّا والناس يسعون إلى الْحَلَقِ يهْنُونه والأشراف يتسابقون إلى بناهه.  
فما باتت واحدةً منهُن إِلَّا في عصمةِ رجلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَيِّهَا بَكِيرٍ.

ومن ذلك بنو أَنْف الناقَةِ كَانُوا يَتَأذَّونَ بِهَذَا الاسمِ ويَكْرِهُونَ ذَكْرَه حتَّى تعرَّضَ  
بعضُهُم للطَّيَّةِ فَأَكْرَمُهُمْ فَدَحْمُهُمْ وَقَبْ الاسمِ مدَحًا. وفي ذلك يقول: [يسيط]

سِيرِي أَمَامَ فَإِنَّ الْأَكْرَمَ حَصَّيِ  
وَالْأَكْرَمِينِ إِذَا مَا يُسَبِّجُونَ أَبَا  
قَوْمٍ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِجَارِهِمُ  
شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرِبَا  
أُولِئِكَ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ  
وَمَنْ يُسُوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الْذَّبَابَا

فصاروا يفتخرون به ويتَجَحَّونَ بِذَكْرِهِ. فهذا كله شرفٌ متعددٌ بسببِ من الأسباب. وقد  
يزداد الشَّرِيفُ شرفاً بذلك كَمَا وقع لِهرم بن سنان المريِّ فِيَنهُ كان من سادات قومه  
ولكن أخيه خارجة بن سنان أسود منه وأشهر. فلما وقع لزهير من المدائِح ما وقع  
في هرم ازداد شرفاً وشهرة حتى فاق أخيه في ذلك بل لا يكاد اليوم أخيه يذكر إلى  
غير هذا مما يكثُر.

ومن الثاني بن نمير كَانُوا من جمَّاتِ الْعَرَبِ الْمُسْتَغْنِينَ بِقوَّتِهِمْ وَعَدْدِهِمْ عَنْ طَلَبِ  
حَلْفٍ. وَكَانُوا يفتخرون بِهَذَا الاسمِ وَيَدْعُونَ بِهِ أَصْوَاتِهِمْ إِذَا سُئُلُوا إِلَى أَنْ هَجَّا جَرِيرٍ  
عَيْدَ بْنَ حَصِينَ الرَّاعِي<sup>١</sup> مِنْهُمْ بِقُصْدِتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا مُخَاطِبًا لَهُ: [وَافِ]

فَغُصَّ الطَّرْقَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعَمًا بَلَغْتَ<sup>٢</sup> وَلَا كَلَبًا  
وَلَوْ وُضَعَتْ شُيُوخُ بَنِي نَمِيرٍ عَلَى الْمِيزَانِ مَا عَدَلَتْ ذُبَابًا

١ ط: بن عيد حصين المراعي. ٢ ق: باقت.

فسقطوا ولم يرثوا بعد ذلك رأساً حتى كانوا لا يتسمون بهذا الاسم. فإذا قيل للواحد منهم من أنت؟ قال عامري.

٦٦٦ ومن أظرف ما وقع في ذلك أنَّ امرأة مرت بقوم منهم فجعلوا ينظرون إليها ويتوافقونها. فالتقت بهم. وقالت بحکم الله بنى نمير ما امثلكم أمر الله إذ يقول **﴿قُلْ لِّمُؤْمِنِينَ يَعْضُوُا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾**. ولا قول جير إذ يقول:

**فَغُضَّ الظَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ**

٦٧٦ ومن ذلك بنو العجلان كانوا يخترون بهذا الاسم لأنَّ جدهم إنما قيل له العجلان لتجليله القرى للضياف. حتى هجاهم التجاشي فقلب الاسم ذمًا. وفي ذلك يقول: [طويل]

فُبَيْلَةُ لَا يَخْفِرُونَ بِذِمَّةٍ  
وَلَا يَظْلَمُونَ الْثَّاسَ حَبَّةً خَرَدَلِ  
وَلَا يَرِدُونَ الْكَاءِ إِلَّا عَشِيَّةً  
إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ شَهَلٍ  
تَعَافُ الْكِلَابُ الْضَّارِيَاثُ تُحُومُهُمْ  
وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبَ بْنِ عَوْفٍ وَنَهَشَلِ  
وَمَا سُمِّيَ الْجَلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ  
خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيْمَانَ الْعَبْدِ وَأَجْلِ

فتذكروا من هذا الاسم وجعل الواحد منهم إذا سئل يقول كعبى مخافة أن يسخر منه. ولهم معه في ذلك قصة مشهورة بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٦٨٦ ثم قد يفيض شرف الإنسان حتى يستطيل على من قبله من سلفه فتحيا رسومهم بعدما كانت دائرة وقوعهم بعدهما كانت غامرة. والذروة العليا أيضًا فيمن عاد شرفه على من قبله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما مرّ شرحه. وقد أشار إليه ابن الرومي بقوله: [يسقط]

قَالُوا أَبُو الصَّفَرِ مِنْ شَيْبَانٍ قُلْتُ لَهُمْ كَلَّا لِعَمْرِي وَلِكُنْ مِنْهُ شَيْبَانُ  
 تَسْمُو أَرْجَالُ بَابَاءِ وَأَوْنَاتَةَ تَسْمُو الْرِّجَالُ بِأَبْنَاءِ وَتَزَادُ  
 وَكَمْ أَبَيْ قَدْ عَلَا بَنْ ذُرَى حَسَبٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولُ اللَّهِ عَدْنَانُ

وادعى هذا الوصف أبو الطيب فقال: [خفيف]

مَا يُقَوِّي شَرُوتَ بَلْ شَرُوفُّا بِي وَيَنْفِسِي أَفْخَرَثَ لَا يُجُدُودِي

أَمَا شرفه هو في بابه فلا ينكر وأمّا شرف قومه به فالشعر أعدبه أكذبه وإلا فالحكم  
 على الشيء فرع تصوّره فهم كان من عادة العرب أنه إذا نبغ شاعر في قوم اعتزوا به.  
 واحتموا عن الشعراء فلو تحقّق لأبي الطيب قوم لكانوا كذلك.

ورجل له أصل وقديم شرف ثم لم يبنه ولم يجددده وهو إما أن تخفي عوامله فلم يبن  
 ولم يهدم مع أنه بالحقيقة من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. والمراد أن يرجع إلى  
 غمار الناس فلا يحدد المآل ولا يخرج إلى المعایب. فهذا لا فضيلة له إلا مجرد النسب  
 والغرض العظامي كامر. وإنما أن يهدمه بملابس ضد ما كان أولاً. فهذا بمثابة من هدم  
 الدار ثم حفر البقعة أيضاً فأفسدتها فهذا مذموم بما جنى على نفسه وبما جنى على  
 حسبة ونسبة والذرورة العليا. في هذا الصنف اليهود والنصارى ونحوهم فقد هدموا  
 أنسابهم وأحسابه بشر الخصال وهو الكفر نسأل الله العافية.

ومن هذا النط من يخلف آباءه الصالحين بالفسق وكثرة الرغبة في الدنيا والكبر  
 والدعوى وغير ذلك من القبائح كما هو شأن كثير من أولاد الصالحين في زماننا نسأل  
 الله العافية. وفي هذا الصنف قيل: [يسيط]

لَئِنْ فَخَرَتْ بَابَاءِ لَهُمْ شَرَفٌ لَقَدْ فَخَرَتْ وَلِكُنْ بِسَّ مَا وَلَدُوا

٧٣٦

وقال لييد: [كامل]

**ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي حَلْفٍ بَجِيلَدِ الْأَجَرِبِ**

٧٤٦

وقال الآخر: [كامل]

**ذَهَبَ الْرَّجَالُ الْمُقْتَدَى بِفَعَالِهِمْ وَلَمْ نُكَرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ  
وَبَقِيتُ فِي حَلْفٍ يُزِينُ بَعْضَهُمُّ بَعْضًا لِيُسْكُنَ مُغَورٌ عَنْ مُغَورِ**

٧٥٦

الرابع قد يقال فيما ذكرناه من النسب إنه من النسب الطويل وهو عيب ويدم بضده  
وهو النسب القصير . قال الشاعر: [كامل]

**أَنْتُمْ بِنُونَسِ الْقَصِيرِ وَطَوْلُكُمْ بَادِعَى الْكُبَراءِ وَالْأَشْرَافِ**

والنسب القصير هو أن يقول أنا فلان ابن فلان فيعرف لكون أبيه أو جده الأدنى من  
الأعيان . والطويل هو لا يعرف إلى رأس القبيلة .

٧٦٦

والجواب أولاً إنما نذكر النسب افتخاراً حتى يعرض على هذا المقياس وإنما ذكرناه  
للحاجة إليه في المصالح الدينية والدنيوية عدد أهله وثانياً أن كون الإنسان من  
الأعيان أمر إضافي . كما مر أنه قد يكون من أعيان عشيرته أو قومه وهو الأغلب .  
وقد يكون من أعيان عمارته أو إقامته أو جيله وهو عزيز الوجود . ولا شك أن شرف  
الإنسان واشتهاره باعتبار عشيرته أو قومه إنما يعود عليهم ولا يضيره أن لا يعرفه  
غيرهم لأن سادات العرب لا يعرفون العجم ولا العكس . وكذا فيما بين العرب غالباً .

٧٧٦

وقال الشاعر: [متقارب]

**طَوْلِ الْجَحَادِ رَفِيعُ الْعِمَّا دِسَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا**

١ كذا في ط.ق؛ م: الا.

وقال الآخر: [كامل]

۷۸۶

**لَيْسَ الْغَيْرُ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمٍ** لِكَنَّ سَيِّدَ قَوْمٍ هُوَ الْمُتَعَبِّدُ

۷۹۶

ولم يخرج عن هذه الإضافة الملوك كما قال النابغة: [طويل]

وَالْحَارِثُ الْجَفْنِيُّ سَيِّدُ قَوْمٍ لَيَتَعَفَّنَ بِالْجَيْشِ دَارُ الْحَارِبِ

٨٠٦ وقالت هند بنت عتبة رضي الله عنها لمن قال لها في ابنتها معاوية رضي الله عنه أرجو أن يسود قومه شكته إن كان لا يسود إلا قومه . وذلك أنها سمعت قبل ذلك من الكهان أنها تلد ملكاً اسمه معاوية في قصة مشهورة .

٨١٦ إذا تقرر هذا فالمتنيب معروض النسب قصيره بحمد الله في قومه. وهو من  
صيهم وإنما رفعه ليعرف على ما تشتبه عنه من الفسائل والبطون ول يعرف اقتطاعه  
عند دخول القرى وغير ذلك من الفوائد التي مررت. وأمّا ذكرى لما مرّ من الكني  
فليربانها على ألسنة فضلاء مع التفاؤل ورجاء تحقق ما له معنى منها.

٨٢٦ أما أبو علي وهو كية الحسن المشهورة فكان بها شيخ الإسلام الإمام الهمام  
أستاذنا وقدوتنا أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه وعطا به.  
وكتب وردت عليه في أعوام الستين والألف بقصدأخذ العلم فامتدحته بقصيدة  
قدمتها بين يدي نجوي فانبسط إلى بجد الله وافتتحنا بكتاب التسهيل فلما قرأنا الخطبة  
دخل مسروراً فكتب إلى: [سيط]

أَبَا عَلِيٍّ جُرْنَتِ الْخَيْرِ وَالنَّعْمَا  
وَنَلَتْ كُلَّ الْمُنْتَهَى مِنْ رَبِّنَا قَسْمًا  
يَا مَرْحَبًا بِكَ كُلَّ الرَّحْبِ لَا بَرَحَ  
قَرَاعُ الْفَكِّ مِنْكُمْ تَجْنِي حِكْمَا

١ ط، ق يزيد لله الأمر من قبل ومن بعد.

ولم أزل بحمد الله أتعرف بركرة دعائه وإقبال قلبه إلى الآن. نسأل الله تعالى أن لا يزالنا فضله ورحمته حتى نلقاه آمين.

وقال ابن عمّنا الفاضل البارع أبو سعيد عثمان بن عليّ اليوسي رحمه الله من آيات:  
٨٣٦ [كامل]

**نَسْيِي عَشِيَّةً قِيلَ مَرَّ أَبُو عَلَيٍّ مِثْلُ الْيَاجِ إِذَا تَمَرُّ بِأَثَابِ**

ولم يزل الشيخ رضي الله عنه يكتيني بذلك إلى أن توفاه الله في رسائله<sup>١</sup> ومحاطيته وعند ذكري. وأما الباقي فكاني بها فضلاء من الإخوان في رسائلهم. ونحوت في ذلك منحي السيد خير النساج وكان اسمه محمد بن إسماعيل. فلما وقعت عليه المحبة وألقي عليه شبه خير مملوك لرجل نساج فقبض عليه وأدخله ينسج ويحاطبه بهذا الاسم. فلما كشفت عنه المحبة وخرج ترك هذا الاسم على نفسه. فقيل له ألا ترجع إلى اسمك؟ فقال ما كنت لأغير أو لأترك اسمًا سمااني به رجل مسلم.

٨٤٦ واعلم أن لهذا السيد في التزام الاسم المذكور أوجهًا. منها أنه تسلّم لأنّه شاهد فعل الله تعالى فلما ألقى الله تعالى عليه الاسم لم يبق له اختيار في التعرض له. ومنها أنه يستشعر من مولاه تعالى أنه أدبه بجعله عبدًا مملوكًا وتسميه باسمه وضربيه للحروب تستلذ. ومنها أنه يتذكر العبودية وذلتها وهذه الطائفة قد صارت الذلة شرابهم وغيمهم. ومنها أنه يذكر به العقوبة فيذكر الهفوة ليتحرر منها. ومنها أنه يبقى عليه الاسم ليقى عليه ذكر الهفوة والعقوبة هضماً لنفسه وإرغاماً لها. ومنها التفاؤل بهذا اللفظ فإنه على أصله وهو ضد الشّرّ وعلى أنه مخفف من التشديد فهو ذو الخير. وكيف أترك أنا كيّي كأني بها رجل من أفضل المسلمين ولا سيما إن تضمنت معنى حسناً. لله الأمر من قبل ومن بعد.

<sup>١</sup> ط، ق، يزيد إلى<sup>٢</sup>.

- ولما كان القصد في هذا الموضوع إلى ذكر المحاضرات بنوادر الفوائد مما اتفق لي  
١٠٧ خصوصاً أو لغيري عموماً وجب أن ينخرط في سلك ذلك ما وقع في شأنى حال  
الولادة لأنّ أول الرحلة إلى هذه الدار مع ما انصاف إليه مما يكون له مصداقاً أو  
يرجى خيره ويدرك على وجه التبرك والتفاؤل أو التحدث بالنعم. وفيه مسيرة الحب ومساءة  
البغض. فأقول إني أرجو أن تكون إن شاء الله تعالى رؤيا والمدي ودعوة أستاذى.  
أما رؤيا الوالد فاعلم أن أبي مع كونه رجلاً أمياً كان رجلاً متديناً مخالطاً لأهل الخير  
محباً للصالحين رواراً لهم. وكان أعطى الرؤيا الصادقة وأعطي عبارتها فيرى الرؤيا  
ويعبرها لنفسه فتجيء كلهي الصريح. وكان مما رأى وتواتر الحديث به عنه في العشيرة  
رحمه الله أن قال رأيت عيني ماء إحداها ماء الآخر لعلي بن عثمان وهو والد ابن  
عمنا الأديب البارع أبي سعيد عثمان بن علي رحمه الله غير أن عين علي كأن نسي بها  
في بلدنا وعنيي خرجت إلى ناحية أخرى.
- وزعموا أنه قال وكانت العين التي هي لي أقوى ماء وأكثر فوضاً ثم فسر ذلك بمولودين  
٢٠٧ ينتفع بهما. فولد أبو سعيد المذكور فانتفع ونفع حتى مات رحمه الله وظهر أنه العين  
المذكورة لأبيه. وولدت أنا أيضاً وقد كان لي أخوان أسن مني فلما أتيت رحمة الله  
فأرجو أن تكون تلك العين. وقد اتفق خروجي عن البلد كما قال رحمه الله وكت بعد  
ذلك حين ارتحلت في طلب العلم إلى ناحية السوس الأقصى غبت عن الوالد رحمه  
الله أعواماً لا يدرى أين أنا.
- فلما قلت حدثني رحمه الله فقال لما ضقتنا من غيبتك رأيت كأن الناس يتجارون  
٣٠٧ خلف فرس أسقر<sup>١</sup> ليقبضوه. فجئت إليه أنا فامسكته بحلامه فلما استيقظت قلت  
للناس إن الحسن ابني سيأتي وأجتمع به فكان ذلك. والفرس الأشهب عند المعبرين  
استهار بشرف ذكره. وقد حصل لي ذلك بحمد الله. نسأل الله سبحانه أن يكل  
ذلك لنا ولهم ولسائر الأحباب بالفوز يوم الحشر والرضوان الأكبر بجهة نبيه المصطفى  
المبعوث إلى الأسود والأحرار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الجليلين في كل مفتر.

<sup>١</sup> ط و ق: أشهب.

- وأَمَا دُعْوَةُ أَسْتَادِي وَهُوَ شِيخُ الْإِسْلَامِ وَعَلِ الْأَعْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سِيدِي مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ فَهِيَ تِلْكَ بَعْينَهَا وَكَانَ مِنْ حَدِيثِي مَعَهُ فِي ذَلِكَ.  
 أَنَّهُ لَمَّا تَهْيَأَ لِلتَّشْرِيقِ فِي جَهَنَّمَةِ الثَّانِيَةِ أُرْسِلَ إِلَيَّ فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَهُ مِمَّا يَعْلَقُ بِسَفْرِهِ  
 ذَلِكَ . وَأَنَا إِذَا ذَلِكَ بِالرَّاوِيَةِ الْبَكَرِيَّةِ قَضَيْتُ ذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَسَافَرْتُ بِهِ إِلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُهُ .  
 فَلَقِينِي بِتَرْحِيبٍ وَرَأَيْتُ مِنْهُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِقْبَالًا خَارِجًا عَنِ الْمَعْتَادِ حَتَّى إِنَّهُ مَتَّ ذَلِكَ ذَلِكَ  
 إِلَى الْيَوْمِ يَغْشَانِي خَجْلٌ وَإِشْفَاقٌ عَلَى نَفْسِي . وَأَفَقْتُ مَعَهُ حَتَّى شَيَعْتُهُ لِوَجْهِهِ إِلَى أَنَّ  
 جَاؤْنَا سِجْلَامَاسَةَ بِمَرْحَلَةِ فَرَجَعْتُ إِلَى دَارِي .
- وَلَمَّا كُنْتُ بِعُضُّ الطَّرِيقِ الْهُمَّتُ الدُّعَاءَ لَهُ فَلَخَذَتِ الدُّعَاءَ لَهُ بَعْدَ أُورَادِ الصَّبَحِ  
 وَرَدًا . فَلَمَّا قَفَلَ مِنْ الْمَحَجِّ ذَهَبْنَا إِلَيْهِ لِنَسْلَمَ عَلَيْهِ فَلَوْتُ بِهِ يَوْمًا وَجَعَلْتُ أَطْلَبَ مِنْهُ  
 وَأَطْلَبَ . فَقَالَ لِي رَحْمَةُ اللَّهِ أَمَّا الدُّعَاءُ فَإِنِّي فِي سَفْرِي هَذِهِ مَا دَخَلْتُ مَقَامًا وَلَا مَرَازَةً  
 وَلَا تَوَجَّهَتْ إِلَى الدُّعَاءِ لَأَحَدٍ إِلَّا جَاءَ بِكَ اللَّهُ تَعَالَى فِي لِسَانِي أَوْلَأَ . ثُمَّ لَمَّا أَدْعُوكَ  
 إِلَى بَهْذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ اجْعِلْهُ عِيْنَ يَسْتَقِي مِنْهَا أَهْلُ الْمَشْرُقِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ . قَالَ حَتَّى  
 كُنْتَ تَعْجَبُ فِي نَفْسِي وَأَقُولُ سَجَانَ اللَّهِ بِمَاذَا اسْتَحْقَ هَذَا الرَّجُلُ هَذَا؟
- وَلَمَّا صَنَقَتِ الْقَصِيْدَةُ الْمَدَالِيَّةُ فِي مَدْحِهِ وَتَهَنَّثَتْ بِالْمَحَجِّ أَدْخَلَهَا إِلَيْهِ وَلَدُهُ الْفَقِيْهُ  
 النَّاسُكُ الْفَاضِلُ أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَقَالَ يَقُولُ لَكَ الشِّيْخُ جَعْلُكَ  
 اللَّهُ عِيْنَ يَسْتَقِي مِنْهَا أَهْلُ الْمَشْرُقِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ وَشَمْسًا يَسْتَضِيءُ بِهَا أَهْلُ الْمَشْرُقِ  
 وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ . وَهَذَا الْفَظْوَ يَحْتَلُ الدُّعَاءَ وَالْخَيْرَ نَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْقِّقَ لَنَا نَحْنُ  
 وَالْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ . آمِينَ .
- وَمِنْ هَذَا مَا كَلَمَهُ جَمَاعَةً مِنْ قُرَاءِ الْغَربِ وَأَنَا حَاضِرٌ مَعَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ يَشِيرُ إِلَيْهِ  
 هَذَا شَمْسَكُمْ هَذَا ضَوْءُكُمْ . وَهَذَا كَلَمَهُ أَصْرَحَّ مَا حَكَى تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءِ اللَّهِ عَنْ  
 شِيْخِهِ الْقَطْبِ الْعَارِفِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَرْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ جَاءَ الشِّيْخُ مَرَّةً  
 مِنْ سَفَرِ فَلَقِينَاهُ فَدَعَا لِي وَقَالَ فَعَلَ اللَّهُ لَكَ وَفَعَلَ وَبِهَاكَ بَيْنَ خَلْقِهِ . قَالَ فَفَهَمْتُ  
 يَعْنِي مِنْ قَوْلِهِ وَبِهَاكَ بَيْنَ خَلْقِهِ أَيْ مَرَادُ بِالظَّهُورِ إِلَى الْخَلْقِ . وَاعْلَمُ أَنَّ مَوَاطِأَهُ

دعوة الشيخ رضي الله عنه لرؤيا الوالد<sup>١</sup> مع كونه لم يحضر لذلك ولم يُنقل إليه من عجيب الاتفاق. قد ذكرت هنا ما وقع في الحديث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له يا رسول الله<sup>٢</sup> أخبرنا عنك. فقال لهم أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام ورؤيا أمي.

١٨ تنبئه أيها الناظر. فإياك أن يختلط بهمك أو يخطر بهمك أيّ أذنع بهذه الحكاية قصدًا إلى المحاكاة معاذ الله فإن درجات الأنبياء لا تبنيغى لغيرهم. ولا يصل أحد إلى مراتحمتها فكيف بسيد الأنبياء؟ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وعلى آله وعلى آل كل ثم إياك أيضًا أن تتوهم أن لا نسبة ولا نسب ولا شبهة ولا شبهة فقوع في الغلو من الطرف الآخر. وقد قال صلى الله عليه وسلم خير الأمور أوسطها ولا بد لهذا من تقرير. فقول إن الله جل اسمه وهو الذي لا مثل له ولا نظير ولا شبه ولا وزير قد شرع لعباده التعلق بأسمائه الحسنى. ثم شرع لهم أيضًا التخلق بها في الجلة حتى إذا علمنا مثلاً أن الله تعالى حليم انتهض العبد في التخلق بالحلم فيكون حليماً.

٢٨ كما إذا علمنا أنه تعالى عالم أو وهاب أو صبور أو شكور انتهض العبد في الاتصاف بالعلم وبالجود وهكذا حتى يكون علينا وهاباً. وملعون أن حلم العبد ليس لكم الله وهكذا ولكن له به نسبة هي توجب قرب العبد من الله تعالى في المعنى ومن هذا حديث خلق الله آدم على صورته أي خلقه حيًّا عالماً قديراً وليس كالمجادات والحيوانات المجنوatas. وبهذا تأهل لأن يكون عبد الحضرة دونها.

٣٨ ثم إن العباد المختارين يرضون لرضى الله وينضبون لغضبه ويشتدون لأجله ويلينون لأجله وهكذا في سائر الأحوال والأفعال. قال تعالى في أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بِيَهُمْ﴾. وقال أيضًا ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهو مسايرة ومساعدة في الأفعال والأحوال.

١: رحم الله. ٢: مزيد عليه.

وذلك شأن عبيد الملك وإذا كان هذا في حق الله تعالى في حق الأنبياء أقرب وأيسر فلا إشكال في صحة تعاطي أوصافهم وأخلاقهم وأفعالهم وسائر أحوالهم وإن لم تكن في ذلك مشابهة ولا مزاحمة للنبوة بل اتباع واقتباس ونسبة<sup>١</sup> توجب لصاحبتها أيضاً القرب منهم.

ولهذا قيل في الوارد إنه من كان على قدم النبي صلى الله عليه وسلم أي متحققاً في الاقداء به قوله وفعلاً وحالاً. وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. فقد علم من لفظ الحديث أن الرؤيا الواقعة من غير النبي لعموم لفظ الصالح قد أخذت بنسبة من النبوة فهي منها غير أنه لقلة النسبة لا تقع بها مزاحمة.

وقال الشيخ أبو يزيد رضي الله عنه مثل ما أعطي الأنبياء مثل رزق مملوء ماء أو عسلاً. ومثال ما أعطي الأولياء كلهم مثال قطرات قطر من ذلك الرزق. فانظر في هذا المثل فإن قطرات هي من ماهية ما في الرزق قطعاً ولكن لقلتها جداً لا تقع بها مزاحمة. ولم ينزل أهل الدين من العلماء العاملين والمجاهدين السالكين والواصلين العارفين يأخذون أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من أحوال الأنبياء عموماً وحال نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصاً. وهذا هو الشأن كله.

وقد يقع لهم مما هو في معنى الاقتباس والإشارة والتلميح ما يزيد على هذا كما قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه لأبي عمران موسى بن يدراسن الحاجاج حين توجه إليه فإن من الغرب فأنت موسى وأنا شعيب وإن موسى لما بلغ شعيباً أمن. ومن هذا ما وقع له رضي الله عنه في القرآن وقد دخل عليه رجل من أهل الإنكار والمصحف بين يديه. فقال للرجل ارفع المصحف واقتحمه وانظر إلى أول ورقة منه فإذا فيها ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْمَخَاسِرُ﴾ . ومن هذا المنط كأن رضي الله عنه يقول لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد.

<sup>١</sup> م: شبه.

٧٨      وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه في شأن ابن عطاء الله الفقيه جد الشيخ تاج الدين إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم ثقيف جاءه ملك الجبال. فقال له ما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً. قال فكذلك صبرنا لجد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه يعني تاج الدين إلى غير هذا مما يكثر.

٨٨      فما وقع من الحكاية بعد أن يكون قد فُصِّدَ به اقتباس وضرب من المناسبة يكون كل شيء مما مرّ وإلا فهو استطراد للعلم وتذكرة بفائدة. وقد يقال على أنه مما مرّ فإن منزلتك؟ أي هذا المتشبع بما لم يعط من درجات الشیخین المذکورین ونحوهما حتى يصح منك ما صحّ منهم؟ فقول إذا اقتضينا من جانب النبوة بخير فقد خرجننا عن مضيق الممثـع إلى فضاء الجائز وهو رحب ومن شبهه بقوم فهو منهم. كما قيل:

[خفيف]

لَمْ أَكُنْ لِلْوِصَالِ أَهْلًا وَلِكَنْ أَنْتُمْ بِالْوِصَالِ أَطْمَعُ شُمُونِي

للأَمْرِ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ.

٩٩      كان الشيخ الصالح أبو محمد الحسين بن أبي بكر رحمه الله ينشدنا كثيراً تحريراً على جميل الصبر وتعريفاً بتقلبات الدهر ونحن إذ ذاك صبيان. قول الشاعر: [طويل]

ثَمَانِيَّةُ تَجْرِي عَلَى النَّاسِ كُلُّهُمْ وَلَا بُدَّ لِلإِنْسَانِ إِلَّا لَقِيَ الثَّمَانِيَّةَ  
سُرُورٌ وَحُزْنٌ وَجَمِيعٌ وَفُرْقَةٌ وَيُسْرٌ وَعُسْرٌ ثُمَّ سُقْمٌ وَعَافِيَّةٌ

١٠٠      ونحو قول أبي الطيب: [طويل]

عَلَى ذَمَّتِي النَّاسُ أَجْمَاعٌ وَرُوْفَةٌ وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٌ وَوَامِقٌ<sup>١</sup>

١: وافق

فهذه أحوال تعرض لابن آدم على التوارد لا يسلم منها في الجملة ولا تحصر لبقاء العز والذلة والقوة والضعف والحركة والسكنون وغير ذلك مملاً يُحصى . وكثير منها يصلح رده إلى ما ذُكر بضرب من التأويل . ولو اشتغلنا بتفصيل ذلك وشرحه لغةً واصطلاحاً لطال واحتاج إلى ديوان وحده أو أكثر فلنقتصر على الإجمال مع الإمام .

٤٩ فال الأول وهو السرور والحزن فقولهما متربنان على المحاب والمكاره ومن المحبوب فوات المكروه ومن المكروه فوات المحبوب والإنسان لا يخلو من أن يظفر بمحبوب فيسرّ به أو يفوت فيحزن . وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم يوماً في البيت يعلم عملاً فنظرت إلى وجهه صلى الله عليه وسلم وهو يتهلل . أو كما قالت فقلت يا رسول الله أنت والله أحق بقول أبي كير . تعني الهدى :

[كامل]

وَمُبَرِّأً مِنْ كُلِّ عُبُرٍ حَيْضَةٍ وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغَيِّلٍ  
إِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَى الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

قالت فطرح ما في يده وأخذني وقبل ما بين عيني وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ما سرت بشيء كسروري بك . وقد ذكر القصة في الإحياء . وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح خير وقد قدم عليه جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه فعافته لا أدري بم أسرّ أفتحت خيراً أم بقدوم جعفر . وقال صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه إبراهيم : العين تدمع والقلب يحزن ولا تقول إلا ما يرضي ربنا . وإنما بفارقك يا إبراهيم لحزرونون .

٥٩ ثم الإنسان في أيام دهره لا يكاد يخلو من سوء فإن الدنيا دار بلاء ومحنة . ولا سيما في حق المؤمن الذي هي في حقه سجن . فقد قال الله تعالى ﴿وَلَنَبْتُونُكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ . وقال الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ يُشْرِكُوا أَنَّ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ . وقال تعالى ﴿وَلَنَبْتُونُكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْحُكْمِ وَالْجُوعِ وَفَقْصٍ

مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ». وقال تعالى «لَتُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدْيَ كَثِيرًا» إلى غير ذلك.

٦٩ وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالآمثل. وقال الشيخ أبو القاسم الجنيدي رضي الله عنه أصلت لبني إسرائيل أصلاً فلا أبيالي بعده وهو أبي قدرت أن هذا العالم كله شر ولا يلقاني منه إلا الشر فإن لقيني الخير فنمة مستفادة والإلا الأصل هو الأول.

٧٩ ومن غريب ما اتفق في هذا المعنى أن بعض الملوك نظر في كتاب الحكمة فإذا فيه إن الدهر لا يخلو من المصائب وإنه لا يصفو فيه يوم من كدر. فقال لأذكيان هذا. وأعد ليلاً لسروره وأحضر فيها كل ما يحتاج. وكانت عنده جارية حظية هي جمع لذته ومنتهي أنسه. فأحضرها لذلك وأمر أن تصرف عنه الصوارف وتقطع عنه الأشغال ليترغف لمعته وأنسه ويقضي الأربع كله من هوئ نفسه. فحين أمسى كان أول ما قرب للجارية العنبر فأخذت حبة وجعلتها في فيها فقصبت بها. وكان ذلك آخر العهد بها. فلم ير الملك أمر من تلك الليلة ولا مصيبة ولا هماً ولا حرثاً أفعض مما فيها فسبحان القاهر فوق عباده الغالب على أمره «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

٨٩ هذا ومتى تأمل العبد أحواله واستقرأ عوارضه وجد لطف الله تعالى أغلب ونعمته عليه أوسع. قال تعالى «اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ». وقال تعالى «إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا». وفي الخبر يقول الله تعالى إن رحمتي سبقت غضبي. ولا يشك العاقل أن أيام البلاء أقل من أيام العافية وأوقات العسر أقل من أوقات اليسر وهكذا. وقد قال الله تعالى في قصة آل فرعون «فَإِذَا جَاءَهُمْ أَحْسَنَةً قَالُوا نَاهِيُهُنَّ هُنَّ هُنَّ الْأَمْمَانُ» الآية.

٩٩ ثم لا يخلو وقت من لطف. ولذا قال أمم التصوف رضوان الله عليهم العارف من عرف شدائد الزمان في الأنطاف الجارية. ثم المؤمن كما في الحديث كله بخير إن أصحابه الخير شكر الله تعالى فكان له خيراً. وإن أصحابه شر صبر فكان خيراً له. وقال

١: الخارجية.

بعض العارفين الناس كلهم في مقام الشكر وهم يحسبون أنهم في مقام الصبر.  
وبيان هذا من أوجه .

١٠٩ الأول أن موجب الشكر وهو النعمة أغلب والحكم للأغلب. الثاني أنه ما من شرّ  
وبلا يصيب العبد إلا وفي مقدور الله تعالى من البلاء ما هو أफظ منه قد صرفة  
الله تعالى. ف يجب الشكر على الاقتدار على ما وقع. الثالث ما يفيده البلاء من رياضة  
النفس و تشجيعها للنوايب وإخمام سُورَتها والتتجاه من طغianها وما يجرّ إليه من البلاء  
دينًا ودنيا وتربية العقل بتعريفه تقلبات الدهر وفتح البصيرة في الأمور. وهذه الأوجه  
عامة في المؤمن وغيره. الرابع ما يحصل بالبلاء في الدنيا من مزيد المعرفة بالله تعالى  
وقهره وقوته وبطشه وفي الآخرة من الأجر العظيم. الخامس ما يحصل للنفس من  
الخشوع لخالقها والافتکاك عن المعصية. السادس سلامه ثوابه من شوب الرياء  
وما يفسده إذ لاحظ النفس فيه فهو خير قد دخل عليها بلا تعلم فالشکر عليه أحق.  
إلى غير ذلك من الفوائد التي يطول تعدادها فمن علم ذلك كان البلاء عنده حمل الشکر  
فصار في مقام الشكر على كل حال. لله الأمر من قبل ومن بعد.

١١٠ كان بسجلماسة أيام ارتحلنا إليها للقراءة زمان الصبا شجرة يقال لها الشجرة  
الخضراء مشهورة في تلك البلاد وفي سائر بلاد القبلة. وهي قدر الزيونة أو  
السدرة الكثيرة وورقها يقرب من ورق السدر. وسبب شهرتها أنها غريبة  
الشكل دائمة الخضراء وغريبة في محلها لأنها في البلد وليس من شجر البلد. وهي  
منفردة ليس معها شجر أصلًا. وكانت نابتة خارج سور المدينة الخالية بينه وبين  
النهر قالة الرصيف الذي يُعبر عليه لناحية الزلاميط. ويقال إن ذلك باب من  
أبواب تلك المدينة والله أعلم.

٢١٠ ثم إن الأستاذ الفاضل أبي يزيد عبد الرحمن بن يوسف الشريف بعث إليها  
جماعة من الطلبة فقطعوها. وكان ذلك يوم الخميس وكت جئت من ناحية المراكة  
ذلك اليوم قصدًا إلى سوق الخميس. فلما بلغت إلى الشجرة وجدت الطلبة حين

بلغوا إليها بقصد قطعها فقعدت حولها أنظر . فلما انفصل أهل السافلة من السوق وكانت طريقتهم كان كل من يمرّ فيراها تقطع يصيح ويتأسف ويقول ما فعلت لكم المسكينة؟ وكان أهل سجلamasة لما استغربوا أمرها يزورونها ولا سيما النساء فيذكرن عليها من تعليق الحيوط ويطرحون الفلوس أسفلها . وربما تغالّ النساء في تعظيمها والتنيّه بشأنها حتّى يسمّينها باسم امرأة صالحـة كالسيدة فاطمة ونحو ذلك . فلهذا أمر الأستاذ المذكور بقطعها وكأنه يرى أنها صارت ذات أنواعاً كما قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه .

٢١٠ ذكرناها نحن للتبيه على ذلك . فإنّ عوام الناس أثثروا عليها منذ عقلنا حتّى كانوا ينسبون إليها من ترّهات الأراجف نحو قولهم قالت الشجرة الخضراء هذا زمان السكوت من قال الحق يموت . فيعلم الناظر أنها إنما هي شجرة لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ومثلها أحق أن يقطع . ومن هذا سُيّرت شجرة بيعة<sup>١</sup> الرضوان حتّى لم يثبت عليها الصحابة الذين كانوا تحتها فضلاً عن غيرهم وذلك مخافة أن تُعبد .

٤١٠ سمعت الفاضل الناسك البكري بن أحمد بن أبي القاسم بن مولود الجاوي رحمه الله يحدّث عن أسلافه أنّ شيخ المشائخ أبي القاسم الغازى رضي الله عنه وفينا به كان يقول لهم إنه نزلت عليه القطبانية تحت شجرة بيلد أجاور . فيقولون له يا سيدينا لم تُرنا تلك الشجرة؟ فيقول خفت أن تتركوا السبع وتعبدوا التغوره أي مغارته أي يتركوه فلا ينتقدون به ويشتغلون بالشجرة . وكانت بقرب تاغية مقام الشيخ أبي يعرى شجرة أخرى من هذا المعنى وكس من أحجار يقال له البقرة . وكل ذلك حقيق بالإزالـة غير أن العالم سيفه لسانه وما وراء ذلك إنما هو لأهل الأمر ومن له قدرة على الأمر .

٥١٠ نعم التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لا بأس به وله أصل في فعل الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان ابن عمر رضي الله عنـهما يدير راحـلـته حيث رأى النبي

<sup>١</sup> سقط من طـ.ق.

صلى الله عليه وسلم أدارها ويتحرج الآماكن التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم. وذلك مذكور في الصحيح. وفيه قيل: [طويل]

حَلِيلَيْ هَذَا يَعْرَفُ عَرَّةً فَأَعْقَلَاهُ قَلْوَصِينَكَاهُمْ أَبْكِيَاهُنَّ حَلَّتِ  
وَلَا تَيَسَّكَاهُ إِنَّ يَمْحُوا اللَّهُ عَنْكُمَا ذُنُوبًا إِذَا صَلَّيْتُمَا حَيْثُ صَلَّتِ

- ٦١٠ ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصاً بلاد رجراجة من هذا كثيراً يقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف. عندما يدورون على صلاتهم زائرين ولما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة التي بدأت فيها هذه الأوراق وذلك سنة خمس وستعين وألف لم أواقفهم في فعل كثير مما يفعلون من ذلك خافة أن يختذلي العوام جلة فيتغاللون في ذلك. ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمور قربة لا بأس فيها.
- ٧١٠ وفي بلاد المغرب مواضع اشتهرت بآثار الصالحين ووقع التغالي فيها. منها شالة في رباط سلا فلا يعرف لها إلا أنها مراة يزورها الناس ويتبذلون بن فيها. ولم يظهر فيها بهذا العهد إلا يحيى بن يونس وهو مشهور عند الناس ولا تعرف له ترجمة وملوك بني عبد الحق لهم معروفون ولا بأس بهم. وكل ما يذكر فيها مما سوى ذلك ويوجد في بعض الأوراق المجهولة من الأخبار فلا يعرف له أصل ولا يعول عليه. ومنها ميسرة في بلاد ملوية حيث مدفن الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري ويقال لها تامغرولات قد اشتهرت عند الناس. وتوجد فيها أخبار وأحاديث في الأوراق والسنن.
- ٨١٠ وسألت عن ذلك بعض أولاد الشيخ المذكور وهو الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي طاهر عند زلزلنا عليه. فقال ما ثبت عندنا في هذا الموضع إلا أنه كان رابطة لأسلامنا يتبعدون فيه. فقلت له نعم الوصف هذا فإن متبع الصالحين حقيق أن يتبرك به فهذا أيضاً غاية ما ثبت في هذا الموضع وما وراء ذلك لا يلتفت إليه.
- ٩١٠ ومنها رباط شاكر وهو مشهور وكان مجتمعًا للصالحين من قديم ولا سيما في رمضان يقدرون إليه من كل أوب. حتى حكى صاحب التشوف عن منية الدكالية رضي الله عنها أنها حضرت ذات مرة في رباط شاكر فقالت بعض من معها إنه حضر

هذا العام في هذا الرباط ألف امرأة من الأولياء. فانظر إلى عدد النساء فكيف بالرجال! فلاشك أن هذا الموضع موضع بركة ومحظى خير. ولكن لم تقف من أمره إلا على ماقع في التشوّف من أن شاكراً ذكر أنه من أصحاب عقبة بن نافع الفهري وأنه هنالك. وأن يعلى بن مصلين البرجاري بناه. وكان يقاتل كثار برغواطة وغراهم مرات وأن طبله هو الباقي هنالك إلى الآن والله أعلم. ولم يظهر فيه في العهد من مشاهد الصالحين إلا أبو زكريا المليحي والله أعلم. لله الأمر من قبل ومن بعد.

١١١ ممّا وقع ب粳لامة قياماً من هذه القصة أنه شاع في البلد ذات ليلة أنه قد ظهر رجل في المدينة الحالية. فأصبح الناس يهرونون إليه أفواجاً. وخرجنا مع الناس فقائل يقول ولي من أولياء الله. واخر يقول صاحب الوقت. فلما بلغنا المدينة وجدنا الخلق قد اجتمعوا من كل ناحية على ذلك الرجل حتى أن أمير البلد وهو محمد بن الشريف خرج في موكب حتى رآه. فلما كثر الناس اشتد الزحام عليه وتعذر رؤيته دخل في قبة هنالك في المقابر فأخرج كنه من طاق في القبة فجعل الناس يقبلون الكف وينصرفون. وكان كل من قبل الكف أكتفي ورأى أنه قضى الحاجة فقبلناه وانصرفنا. ثم بعد أيام سمعنا أنه ذهب إلى ناحية الغرفة وأنه سقط في بئر هنالك ومات. فظهر أنه رجل مصاب وكأنه يستغل باستخدام الجان ونحو ذلك فهلك. وإنما ذكرنا هذا لعلم وينتهي لمن هذا حاله فكم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجحون أو معتوه أو موسوس أو ملبس. فيقع به الاغترار للجهلة الأعمام. [سيط]

مَا أَنْتَ أَوَّلُ سَارِغَةُ قَرْرٍ وَرَائِدٌ أَعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدَّمَنِ

وقد يشاعره من هو على شاكلته من الحمقى ومن الفجار وشيبة الشيء محبذٌ إليه.  
إِنَّ الْطَّيُورَ عَلَى أَجْنَاسِهَا تَقْعُ . فيفتر الأغيباء بذلك إلا من عصمه الله.

١: خدعته.

- ٢٠١١ وقد صعدت في أعوام الستين وألف إلى جبل من جبال هسکورة فإذا برجل نزل عليهم من ناحية الغرب وأشتهر بالفقر. وبني خباء له وأقبل الناس عليه بالهدايا والضيافات. وكان من أهل البلد فتي مختلف إليه وبيت عنده. فاستراب من أمره بعض الطلبة فتاظف مساء ليلة حتى ولج الخباء فكمن في زاوية منه فلما عسعس الليل قام المرابط إلى الفتى فاشتغل معه بالفاحشة نسأل الله العافية. ثم علم أن قد علموا به فهرب وبلغ الخبر إلى أخوة الفتى فتبعوه. ولم أدر ما كان من أمره ومثله كثير.
- ٢٠١٢ ومن أغرب ما وقع من هذا أيضاً سجل ماسة ما حدث به أخونا في الله الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الشريف المعروف بابن علي رضي الله عنه. قال مالعب إخواننا يعني أشراف سجل ماسة إلا رجل جاءهم في البلد وأشّم باسم الصلاح ووقع الإقبال عليه. فكان يأتيه الرجل فيعده بأن يبلغه إلى مكة ويخرج به طرفة عين واستمر على ذلك مدة. ثم قام نفر من الأشراف اتفقوا على اختباره فكمنوا قريباً منه. وتقدم إليه أحدهم وعنده نحو خمسين مقالاً فقال له يا سيدي إن هذه الصلاة تقل على فصي أن ترفعها عني؟ وأرفع تلك الدرارم بين يديه وكأنه هش لذلك. فبادره الآخرون قبل أن يستوفي كلامه وأوجعواه ضرباً وطردوه. ثم بعد مدة سافر بعضهم إلى الغرب فرأى عين ماء هناك. فإذا الرجل عندها يستقي قربة له منها فإذا هو يهودي من يهود معروفي هناك نسأل الله العافية.
- ٤٠١١ فالحذر مطلوب ولا سيما فيما نحن فيه من آخر الزمان الذي استولى فيه الفساد على الصلاح والهوى على الحق والبدعة على السنة إل من خصه الله وقليل ما هم وفيه قيل: [يسقط]

**هَذَا الْزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَادِرُهُ** في قول عَبْرٍ وفي قول ابن مَسْعُودٍ  
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ غَيْرٌ لَمْ يُنْتَكْ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْحَى بِمَوْلُودٍ

- ٥٠١١ بل نقول ليته يدوم فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرّ منه كما في الحديث الـکـرمـ .  
نعم لا بد للناس من تنقيس فنسأـلـ اللهـ تـعـالـىـ أنـ يـرـزـقـنـاـ تـنـقـيـسـاـ نـقـضـيـ فـيهـ مـاـ بـقـيـ منـ

أعمارنا في خير ونستعبد مما مضى إله الْكَرِيمُ الْمَتَانُ. هذا ولا بد مع الحذر من حسن الظن بعباد الله ولا سيما من ظهر عليه الخير والتغافل عن عيوب الناس.

٦١١ وفي الخبر خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس. وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس ومن تتبع عيوب الناس تتبع الله عيوبه حتى يفضحه في قبر بيته. فالاعتراض بلا موجب جنائية وابتاع كل ناقع غواية.

٧٠١١ وفي كلام مولانا عليّ كرم الله وجهه الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهو حرج رعاع أتباع كل ناقع. فمن ثبتت استقامته وصحّ علمه وورعه وجوب اتباعه ومن أقسم بالخير وجوب احترامه على قدره والتسليم له في حاله. ومن ألقى جباب الحياة عن وجهه وجوب لومه. فإذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله. ولا بد من مراعاة السلامة. وهذا باب واسع لا يكفيه إلا ديوان وحده وإنما ذكرنا هذه الإشارة استطراداً. الله الأمر من قبل ومن بعد.

١٠١٢ من الشعر المستخلص في باب التكريم قول المتنع الكدي أنسدَه القالي في النوادر: [طويل]

يُكَاتِبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِيْ وَإِمَّا  
دُؤُوبِيْ فِي أَشْيَاءِ تُكَسِّبُهُمْ حَمَدًا  
أَسْدِبِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضَيَعُوا  
ثُورَ حُقُوقِ مَا أَصَابُوا لَهَا سَدَا  
وَفِي جَفَنَةِ مَا يُغْلِقُ الْبَابُ دُونَهَا  
مُكَلَّهَ لَهُمَا مُدَفَّقَةٌ شَرَدا  
وَفِي فَرَسٍ نَهَدِ عَتِيقَ جَعْلَتُهُ  
جِبَابًا لَيْتَنِي شَمَّ أَخْدَمَتُهُ عَبْدًا  
وَفِينَ بَنِي عَيَّ لِخُتَلْفُ جَدًا  
وَفِيَنَ يَهَدُمُوا مَجَدِي وَفَرَّتُ لَهُمْ مَجَدًا  
وَفِيَنَ هُمْ هَوْرَا عَيَّ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشَدا  
وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

لَهُمْ جُلُّ مَا لِي إِنْ شَاتَعَ لِي غَنِّيٌّ  
وَإِنْ قَلَّ مَا لِي لَمْ أَكْفُمْ رِفْدًا  
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا  
وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرُهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدًا

٢٠١٢

ونحوه قول عروبة بن الورد: [طويل]

وَيَا بُنْتَ ذِي الْبُرْدَينَ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ  
أَكِلًا فِيَّ لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي  
أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي  
خَفِيفُ الْمَعْنَى بِاِدِي الْخَصَاصَةِ وَالْجُهْدِ  
يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمَدِ  
وَمَا فِي إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ الْعَبْدِ  
أَيَا بُنْتَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَكَالِكِ  
إِذَا مَا صَعَّتِ الرَّازِدَ فَالْتَّحِسِي لَهُ  
أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ فَائِنِي  
وَكَيْفَ يُسِيقُ الْمَرْءَ رَازِدًا وَجَارُهُ  
وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ باخِرِلِ  
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا

وقول الآخر: [طويل]

لَعَمْرُ أَيُّكَ الْخَيْرِ إِلَيْ لَحَادِمٍ لِضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِنْتُ لَفَارِسُ

للـ الأمر من قبل ومن بعد.

قال معاوية رضي الله عنه يوماً لصعصعة بن صوحان وكان من البلغاء صفت  
لي الناس. فقال حلق الناس أحياناً فطائفة للعبادة وطائفة للتجارة وطائفة خطباء  
وطائفة للباس والنجدة ورجحة فيما بين ذلك يكترون الماء ويغلون السعر ويضيقون  
الطريق.

٢٠١٣

وقال الآخر في نحو هذا: [مجزوء الرجز]

النَّاسُ هُمْ ثَلَاثَةٌ فَوَاحِدٌ ذُو دَرَقَةٍ  
وَذُو عُلُومٍ دَارِسٌ كُثُبَهُ وَوَرَقَهُ

وَمُنْقِقٌ فِي وَاجِبٍ ذَهَبَهُ وَوَرَقَهُ  
وَمَنْ سِوَاهُمْ هُمْ جُ لَا وَدْكُ لَا مَرَقَهُ

٢٠١٣ وفي كلام مولانا عليٰ كرم الله وجهه لكميل بن زياد الناس ثلاثة عالم رباني وتعلم على  
سبيل النجاة وهو رعاع أتباع كل ناعق .  
٤٠١٣ وقال الآخر : [كامل]

مَا النَّاسُ إِلَّا عَارِفُونَ بِرَبِّهِمْ وَسِوَاهُمْ مُسْتَطْفَلُونَ فِي النَّاسِ

٥٠١٣ وهذا المعنى له تفصيل وتحقيق والاشغال به يطيل ويكيي الليب فيه ما مر عند  
ذكر الحسب وتفصيل المزايا في الناس . لله الأمر من قبل ومن بعد .

١٠١٤ كان شيخنا الأستاذ المشارك الفاضل الناسك أبو بكر بن الحسن التطافي ينشدنا  
كثيراً في التنويه بالعلم قول القائل : [طويل]

وَمَا عَرَفَ الْأَرْجَاءُ إِلَّا رِجَالُهَا وَإِلَّا فَلَا فَضْلٌ لِثُرْبٍ عَلَى تُرْبٍ

٢٠١٤ والمعنى أن القطر من الأرض وكذا المدينة والقرية تعرف وتشرف بنسبة المعروف  
إليها كأبي عثمان المغربي وابن عامر الشامي والحسن البصري وأبي الحسن الحرالي  
وغيرهم . واعلم أن بقاع الأرض كأفراد الإنسان هي كلها مشتركة في كونها أرضاً وتربة  
ثم تتقاوت في المزايا الاختصاصية إما من ذاتها بأن يجعلها الله منها للعشب وهي  
أفضل من السجنة أو مزرعة وهي أفضل من الكنود أو سهلة وهي أفضل من الحزن  
وقد ينعكس الأمر أو معيناً وتتقاوت بحسب الجواهر المودعة فيها أو منبعاً للماء .  
وتتقاوت بحسب المياه إلى غير ذلك من مختلفات الفواكه والأشجار والأزهار وسائر  
المنافع . وإنما من عارض كان يختص بها الله تعالى بكونها حلالاً لغير إنما نبوءة بيته مكة .  
 فهي أشرف البقاع ما خلا المدينة من ثلاثة أوجه الأول كونها حلالاً ليته وقبلة عباده .

والثاني كونها عمارة خليله إبراهيم عليه السلام. الثالث كونها مولد ومبئث أشرف الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

٢٠١٤ إلى وجوه أخرى ككونها وسط الأرض أو أرفع الأرض أو من تحتها دُحيت الأرض وكونها حراماً وغير ذلك. ولبيت المقدس قسط من هذا الفضل لأنها مأوى الأنبياء وكانت قبلة. واحتضنت المدينة طيبة بكونها مهاجر أشرف الخلق ومدفنه مع أكابر أصحابه رضي الله عنهم فصارت خير البقاع حتى مكة عند عالمائنا. أما التربة التي تضمنت شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم فلامثل لها في الأرض ولا في السماء قطعاً. وأما نبوءة فُشرِّفَ كل بلدة ولد فيهانبي أو بعث أو أقام أو دفن وتشتهِر بذلك وتعرف كما قال صلى الله عليه وسلم يوم الطائف للغلام وقد قال له إنه من ينبوء قريه أخي يونس عليه السلام. وإنما علم بكل قريه أيضاً أو بلدة كان فيها عالم أو كان منها فهي تشرف بذلك وتعرف كما في البيت المذكور وإنما زهد أو عبادة أو نحو ذلك أو ملك أو جود أو نجدة أو جمال أو خلق حسن أو غير ذلك حتى رخاء العيش وصحّة الهواء. فكل ذلك ونحوه يكون به الشرف والاشتهر كـما يكون الاشتهر في النصان<sup>١</sup> والمذمة بأضداد ذلك.

٤٠١٤ وإنما علم كل قريه أيضاً أو بلدة كان فيها عالم أو كان منها فهي تشرف بذلك وتعرف كما في البيت المذكور وإنما زهد أو عبادة أو نحو ذلك أو ملك أو جود أو نجدة أو جمال أو خلق حسن أو غير ذلك حتى رخاء العيش وصحّة الهواء. فكل ذلك ونحوه يكون به الشرف والاشتهر كـما يكون الاشتهر في النصان<sup>١</sup> والمذمة بأضداد ذلك.

٥٠١٤ وإنما علم كل قريه أيضاً أو بلدة كان فيها عالم أو كان منها فهي تشرف بذلك وتعرف كما في البيت المذكور وإنما زهد أو عبادة أو نحو ذلك أو ملك أو جود أو نجدة أو جمال أو خلق حسن أو غير ذلك حتى رخاء العيش وصحّة الهواء. فكل ذلك ونحوه يكون به الشرف والاشتهر كـما يكون الاشتهر في النصان<sup>١</sup> والمذمة بأضداد ذلك.

واعلم أنّ المولى تبارك وتعالى من لطيف حكمه وسابع منته كـما لم يدخل عباده من فضل عاجل أو آجل ظاهر أو باطن كثير أو قليل كذلك لم يدخل بقعة من بقاع الأرض من فضل. ولم يعر بلدة من مرنية يتعلّل بها عمارها حتى لا يتركوها وقد جعل الله تعالى الأهواء مختلفة والطابع متفاوتة وحجب لكل أحد ما اختص به ذلك تقدير العزيز العليم الحكيم. فتجده هذا يمدح أرضه بكثرة المياه للاتساع في الشرب والطهارة والقاوة ونحو ذلك. وهذا يمدح أرضه بالبعد عن كثرة المياه لجودة منابتها وصحّة هوائها وذهب الوخم عنها. وهذا يمدح أرضه بالسهولة لوجود المزارع فيها وكثرة ريفها واسع خيرها. وهذا يمدح أرضه بكونها جبالاً لتنعها وعزّة أهلها وحسن مائتها وهوائها وقناعتها وغير ذلك.

<sup>١</sup> ق: العصيان.

٦١٤ وللشعراء قديماً وحديثاً في هذا ما يحسن ترداده ويطول إيراده. فمن ذلك لأبي بكر ابن جعفة الحموي يسوق إلى بلده قوله: [طويل]

بَوَادِي حَمَاءَ الشَّامِ عَنْ أَمِينِ الشَّطَّ  
وَحَقْكَ تُطَوِّي شَفَةَ الْهَمِ بِالْبَسْطِ  
بِلَادٌ إِذَا مَا دُقْتُ كَوَثَرَ مَاهِهَا  
أَهِيمٌ كَائِيْ قَدْ ثَمَّتُ يَاسِفِنْطِ  
فَمَنْ يَجْهَدُ فِي أَنَّ فِي الْأَرْضِ بُعْدَهُ  
تُمَاثِلُهَا قُلْ أَنَّ مُجَهَّدٌ مُخْطِي  
وَصَوْبٌ حَدِيثٌ مَاهِهَا وَهَوَاهَا  
فَإِنَّ أَحَادِيثَ الصَّحِيحَيْنِ مَا تُخْطِي

٧١٤

وللآخر في تلمسان مثل هذا: [كامل]

بَلْدُ الْجَدَارِ مَا أَمَرَ نَوَاهَا  
كَلِفَ الْفَوَادُ بِحُبُّهَا وَهَوَاهَا  
يَكْنِيْكَ مِنْهَا مَأْوَهَا وَهَوَاهَا  
يَا عَادِلِيْ فِي حُبَّهَا كُنْ عَادِرِيْ

٨١٤

ولابن حمديس الصقلي في بلده: [منقارب]

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى  
ذِيْجَمَ لِلنَّفْسِ تَذَكَّرَهَا  
فَإِنْ كُنْتُ أَخْرَجْتُ مِنْ جَنَّةَ  
حَسِبْتُ دُمُوعِيْ أَنْهَارَهَا

٩١٤

وللأعرابي: [وافر]

أَوْلُ الصَّاحِيْ وَالْعَيْسُ تَخْدِي  
بِنَا بَيْنَ الْمَنِيَّةَ فَالْأَصْمَارِ  
تَمَشَّعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ بَجْدِ  
فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةَ مِنْ عَرَارِ  
أَلَا يَا حَبَّذَا لَقَّا ثُبَّتُ بَجْدِ  
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحْلُّ الْجَيْ بَجْدَا  
وَأَنَّتَ عَلَى رَمَانِكَ غَيْرُ رَارِ  
شَهُورٌ يَنْصَبِيْنَ وَمَا شَعَرْنَا

١٠٤٦

وللآخر في تونس: [مقارب]

لِتُوَدِّعْ نُونُسْ مَنْ جَاءَهَا  
وَتُوَدِّعُهُ لَوْعَةً حَيْثُ سَارَ  
فَيَقْدُو وَلَوْحَلَ أَرْضَ الْعَرَاقِ  
يَجْنُ إِلَيْهَا حَبِّينَ الْمُحَارِ  
تِيَاقَ الْفَرَرَدِقَ عَوْدَ الْمَزَارِ  
وَيَأْمُلُ عَوْدًا وَيَشْتَاقُهُ أَشَ

١١٤٦

وللآخر في مدينة فاس: [كامل]

يَا فَاسُ حَيَا اللَّهُ أَرْضَكِ مِنْ شَرِّي  
وَسَقَاكِ مِنْ صَوبِ الْعَمَامِ السَّبِيلِ  
يَا جَنَّةَ الدُّنْيَا الَّتِي أَرْبَثَ عَلَى  
عَدْنِ بِمَنْظَرِهَا الْبَهِيِّ الْأَجْمَلِ  
غَرَفُ عَلَى عُرْفٍ وَيَجْرِي تَحْتَهَا  
مَاءُ الدَّمِنِ الْرَّحِيقِ الْسَّلَسِلِ

وكثيراً ما يقع الحين إلى المنازل والبلدان من أجل من فيها من الإخوان والأخдан  
١٢٤٤ كا قال القاتل: [طويل]

١٣٤٤

وقال المجنون: [وافر]

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفَنَ قَلْيِ  
وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

وهي خصوصية في البقعة عارضة من سكانها كالذى في اليت. فإن الميل إليها  
يقتضي فضلها على غيرها بالنسبة إليه ومن هذا المعنى أكثر العرب ذكر الحمى كقوله:  
١٤٤٤ [طويل]

فَإِنْ كَانَ لَمْ يَفْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقِي  
يَجْنُرِ إِلَى أَهْلِ الْحَمِيِّ غَرِضَانِ  
وَأَخْفِي الَّذِي لَوْلَا أَلَّا سَيِّ لَقَضَانِي  
تَحِنُّ فَتُبَدِّي مَا هَمَّ مِنْ صَبَابَةَ

الغرض المشتاق.

وَكُولُ الْآخِرِ: [طويل]

١٥،١٤

وَإِنَّ الْكَيْبَ الْفَرَدَ مِنْ جَانِبِ الْحَمِيمِ  
إِلَيْهِ وَإِنَّمَا تَأْتِيهِ الْحَمِيمِ بُ

وَكُولُ الْآخِرِ: [طويل]

١٦،١٤

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرَدَ الْبَكَّا  
فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا  
خَلِيلِيَّ مَا بِالْعِيشِ عَتَبْ لَوْأَنَّا  
وَجَدْنَا لِأَيَامِ الْحَمِيمِ مَنْ يُعِدُهَا

وَكُولُ الْآخِرِ: [طويل]

١٧،١٤

أَلَا أَئِمَّا الْرَّبُّ الْمُخْبُونَ هَلْ لَكُمْ  
إِسَاكِنْ أَجْرَاعَ الْحَمِيمِ بَعْدَنَا خُبْرُ?  
فَقَالُوا قَطَعْنَا ذَاكَ لَيْلًا وَإِنْ يَكُنْ  
بِهِ بَعْضٌ مَنْ تَهَوَى فَمَا شَعَرَ السَّفَرُ

وَكُولُ الْآخِرِ: [طويل]

١٨،١٤

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا رَجَرَتْهَا  
عَنِ الْأَنْيَ بَعْدَ الْشَّيْبِ أَسْبَلَتَا مَعًا  
إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيَكَ تَدْمَعَ  
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمِيمِ بِرَوَاجِعٍ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ.

ويكثرون أيضاً ذكر اللوى كوله: [طويل]

١٩،١٤

شَيْبَ أَيَامُ الْفُرَاقِ مَفَارِقِي  
وَأَنْشَرْنَ نَفْسِي فَوَقَ حَيْثُ تَكُونُ  
مِنْ الْعِيشِ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ  
وَقَدْ لَانَ أَيَامُ الْلَّوَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ

وَكُولُ جَرِيرِ: [كامل]

٢٠،١٤

لَوْلَا مُرَاقِبَةُ الْعَيْوَنِ أَرَيْنَا  
مُقْلَلَ الْهَمَّا وَسَوْالِفَ الْأَرَامِ  
هَلْ يَنْهَاكَ أَنْ قَتَلَنَ مُرْقَشًا  
أَوْ مَا فَعَلَنِ بِعُزْرَوَةَ بْنِ حَزَامَ  
ذُمُّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ الْلَّوَى  
وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ

إلى غير ذلك.

٢١٠١٤ وأما نجد وهو ما ارتفع من الأرض من بلادهم فأكثر من ذلك كله قوله: [طويل]

سَقَى اللَّهُ بَحْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى بَحْدٍ  
وَيَا بَحْدًا بَحْدًا عَلَى الْتَّايِ وَالْبَعْدِ

٢٢٠١٤

وقول الآخر: [وافر]

أَشَاقَتِكَ الْبَوَارِقُ وَالْجَنُوبُ  
أَشَاقَ بِنَخْفَةٍ مِنْ شَيْءٍ بَحْدٍ  
وَسَمِّتَ الْبَارِقَاتِ فَقُلْتَ جِيدَثُ  
وَمِنْ بُسْتَانِ إِبْرَاهِيمَ غَنَثُ  
فَقُلْتَ لَهَا وَقِيتِ سَهَامَ رَامِ  
كَاهِيجَتِ ذَاهِرِنَ غَرِيبًا  
وَمِنْ عَلَوِ١ الْرِيَاحِ لَهَا هُبُوبُ  
ثُصُوبُ وَالْعَرَارُهَا مَشُوبُ  
جِبَالُ الشَّيْرِ٢ أَوْ مَطْرُ الْقَلِيبِ  
حَمَائِمُ يَئِنَّهَا فَنِّ رَطِيبُ  
وَرُقُطُ الْرَّيْشِ مَظْعَمُهَا الْجَنُوبُ  
عَلَى أَشْجَانِهِ فَبَكَى الْغَرِيبُ

٢٣٠١٤

وقول الآخر: [طويل]

وَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَّةٍ قَدْفَتْهَا  
مَمَنَتْ أَحَالِيبَ الْرِعَاءِ وَخَيْمَةَ  
إِذَا ذَكَرْتَ مَاءَ الْعَضَاءِ وَطِبَهُ  
بِأَعْظَمَ مِنْ وَجْدِ بَلِينَلِي وَجَدْتَهُ  
وَكَائِتْ رِيَاحُ تَحْمِلُ الْحَاجَ يَيَّنَّا  
صُرُوفُ الْنَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ  
بَحْدٍ فَلَمْ يُقْدِرْ لَهَا مَا مَمَنَتِ  
وَرِيحَ الْصَّبَابِ مِنْ تَحْوِي بَحْدٍ أَرَبَّتِ  
غَدَاهَا غَدَوْنَا بُكَرَةً وَأَطْمَاثَتِ  
فَقَدْ بَخَلَتْ تِلَكَ الْرِيَاحُ وَضَنَّتِ<sup>٣</sup>

١: علوى. ٢: البر. ٣: سقط من م.

وتقديم شيء من ذلك وهو كثير وذلك في الغالب لحسنـه في نفسه هواء وماء ٢٤،١٤ ومنابت ومسارح . والناس كلهـم مجموعـن على ذكر ديار الأحبـاب ومعاهـد الشـباب ولا خـصوصـية للـعرب وإن كان لهم مزيد رقة . اللـه الأمرـمن قبل ومن بـعد .

أنـشـدـ فيـ النـوادرـ لـمـحرـزـ العـكـليـ: [طـوـيلـ] ٢٥،١٤

يَظْلِمُ فُؤَادِي شَاصِـاً مِـنْ مَكَانِهِ لِذِكْرِ الْقَوَافِـي مُـسْتَهَـامـاً مُـتَـيَـماً  
إِذَا قُـلـتْ مَـاتَ الـشـوقُ مِـنِّـ تَـسـمـتَ بِـهِ أَـيـحـيـاـتُ الـهـوـي فـتـسـمـاـ

وفيـ البـيتـ فـائـدةـ وـهـيـ أـنـ لـفـظـ الـأـيـحـيـةـ هـوـ بـسـكـونـ الرـاءـ وـقـعـ الـيـاءـ .  
وـوـقـعـ فـيـ شـعـرـ الـمـولـدـينـ أـيـضاـ مـاـ يـوـافـقـ ذـلـكـ ١ـ مـاـ عـلـقـ بـحـفـظـيـ مـنـ أـسـعـارـ الـمـاعـيـ  
عـنـ الـعـربـ قـولـ الشـاعـرـ: [وـافـ] ٢٦،١٤

**فَجَبَّـتَ الْجـيـوشـ أـبـا رـبـيـبـ ٢ـ وـجـادـ عـلـى مـسـارـيـحـ السـحـابـ**

يمـحـتمـلـ أـنـ يـكـونـ دـعـاءـ لـهـ بـالـعـافـيـةـ وـالـحـصـبـ . وـيـحـتمـلـ أـنـ يـكـونـ دـعـاءـ عـلـيـهـ بـالـإـفـلاـسـ حـتـّـيـ لـاـ  
تـقـصـدـهـ الـجـيـوشـ ثـمـ بـالـحـصـبـ مـعـ ذـلـكـ لـأـنـ أـوـجـعـ لـقـلـبـهـ حـيـثـ يـرـىـ الرـعـيـةـ وـلـاـ رـاعـيـةـ .

كـاـقـالـ الـراـجـزـ: [رـجزـ] ٢٧،١٤

أَمْرَعَتِ الْأَرْضُ لَوْأَنَّ مَالَـاـ  
لَوْأَنَّ نُوقَـاـ لَكَ أَوْ جَمَـاـ  
أَوْ ثُلَـةـ مِـنْ غَنَـمـ إـمـاـ ٣ـ لـاـ

أـيـ إـنـ كـنـتـ لـاـ تـجـدـ غـيرـهـاـ .

وـقـالـ الـآـخـرـ: [طـوـيلـ] ٢٨،١٤

١ـ يـزـيدـ قـ، طـ: اللـهـ الـأـمـرـمـ قـبـلـ وـمـنـ بـعـدـ . ٢ـ مـ: زـينـبـ . ٣ـ كـداـقـاتـ وـفـيـ مـ، قـ، طـ: أـمـاـ .

**سَيِّنِي الْخَاصُ الْجَرْبُ أَنْ مَاتَ هَيْمَرٌ وَكُلُّ الْبَوَاكِي عَيْرُهُنَّ جُمُودٌ**

أي إنّه كان يستحييها بخلاؤه ولا يخرها للضيغان. فهي تبكي عليه ولا يبكي عليه أحد من الناس إدلاً خير فيه. وهذا هجو وقد استعمل الجمود في مجرد عدم البكاء. وكأنه لاحظ فيه المبالغة فإنّ الناس لعدم اكتراشهم بالهالك أصبحوا في حقه لا يتّصور منهم البكاء ولا انحدار دمع كمثل الأنجار ونحوها. ويستعمل الجمود حيث يراد البكاء ولا تسمح العين بالدموع كقوله: [طويل]

**أَلَا إِنَّ عَيْنَاهُ لَمْ تَجْدُ يَوْمًا وَاسِطِي عَلَيْكَ بِحَارِي دَمَعَهَا لَجَمُودٌ**

٢٩٠١٤

ولذا اعتبا قول القائل: [طويل]

**سَأَظْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَائِي الدَّمْوَعَ لِتَجْدُدا**

٣٠٠١٤

ومتي اعتبر<sup>١</sup> بالمعنى الأول فلا عيب. وقول الآخر: [طويل]

**قَتِيلَانِ لَا تَبَيِّنِي الْخَاصُ عَلَيْهِمَا إِذَا شَبَعَتْ مِنْ قَرْمَلٍ وَفَانِ**

وهذا مدح ضدّ الأول أي إنّهما كانا يهلكانها بالحر. فإذا ما تا استراحت وشبعت فلم تبك عليهما. والقرمل واحده قملة وهي شجرة ضعيفة تتضخم إذا وطئت. ومنه قولهم في المثل إذا التجأ الضعيف إلى مثله ضعيف عاذ بقرملة.

٣١٠١٤

والآفاني واحده فانية وهي شجرة أخرى وقول الآخر وهو حميد بن ثور: [كامل]

**وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَغْرَرَ مُشَهَّرٍ بِكَرِ تَوَسَّنَ بِالْحَمِيلَةِ عُونَا  
مُتَسَمِّ سَمَّاكَاهَا مُسْتَجَسٍ<sup>٢</sup> بِالْهَدْرِ يَمْلَأُ أَنْفُسًا وَعُيُونًا  
لَقَ الْبَحَافُ لَهُ لِسَابِعَ سَبَعَةٍ وَشَرِبَنْ بَعْدَ تَحَلُّ فَرَوِينَا**

<sup>١</sup> م: اعتبرنا. <sup>٢</sup> م: متتجس.

يصف السحاب و فعله و انتفاع الأرض به على طريق التمثيل قوله أَغْرَى إِي سَحَابٍ فِي  
بَرَقٍ أَوْ أَيْضًا . قوله بَكَرَأَيْ لَمْ يُطْرِقْ قَبْلَ ذَلِكَ . قوله تُوَسَّنْ بِالْحَمِيلَةِ عَوْنَانَ أَيْ طَرْقَهَا  
لِيَلًا وَقْتَ الْوَسْنِ أَيْ النَّعَاصِ . الْحَمِيلَةُ رَمْلَةُ لَيْنَةُ ذَاتُ شَجَرٍ . وَالْعَوْنَانُ جَمْعُ عَوْنَانٍ وَهِيَ  
فِي النَّسَاءِ الَّتِي كَانَ لَهَا زَوْجٌ وَهُنَّا هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَصَابَهَا الْمَطَرُ قَبْلَ عَلَى التَّشْبِيهِ .  
وَقَوْلُهُمْ تَسْمَى سَمَّاتُهَا أَيْ طَالَعُ عَلَى الْأَكْامِ وَالْتَّلَالِ وَأَصْلَهُ فِي الْبَجْلِ يَتَسَمَّى النَّاقَةُ أَيْ  
يَعْلُو عَلَيْهَا وَهِيَ سَمَّةُ أَيْ عَظِيمَةِ السَّنَامِ مَرْقُوعَتِهِ . قَوْلُهُ مُتَجَسِّسٌ أَيْ مُتَكَبِّرٌ بِالْهَدْرِ  
أَيْ رَعْدُهُ يَمْلأُ أَنْفُسًا وَعَيْنَانِ عَجَبًا بِهِ أَوْ رَعْبًا مِنْهُ . قَوْلُهُ لِغَةُ الْجَافِ أَيْ الْأَرْضُونُ الْمَجْدِبَةُ  
حَمَلَتْ بِهِ الْمَاءُ فَأَنْبَتَتِ الْعَشَبَ . وَذَلِكَ بَعْدَ تَحْلُؤِ أَيْ امْتِنَاعٍ مِنَ السُّقْيِ لِعدَمِ الْمَطَرِ  
فَهَذَا كَلَهُ تمثيل .

وقول الآخر: [سيط]

٣٢٠١٤

**حَلُوا عَنِ الْنَّاقَةِ الْحَمَرَاءِ أَرْحَلُكُمْ وَالْبَازَلَ الْأَصْهَبَ الْمَعْقُولَ فَأَصْطَنُوكُمْ  
إِنَّ الدَّيَابَ قَدِ أَخْضَرَتْ بَرَائِشَهَا وَالثَّاسُ كُلُّهُمْ بَكَرٌ إِذَا شَبَعُوكُمْ**

أراد بالناقة الحمراء الدهماء وبالبازل الأصهاب الصمآن كأنه يقول ارتحلوا عن السهل  
وأجلعوا إلى الجبال مخافة الغارات . والسائل كان أسيراً فكتب إلى قومه ينذرهم وكانت  
بكر لهم عدواً فهو يقول الناس كلهم إذا شبعوا أعداء لكم بكم أحذروهم . وهذا  
المعنى مذكور في قصة أخرى يحكى أن رجلاً من بني العبر كان أسيراً في بكر بن  
وائل فسألهم رسولاً إلى قومه . فقالوا له لا ترسل إلا بحضرتنا وكأنوا أزمعوا غزو  
قومه فتحجفوا أن ينذرهم وذلك هو ما أراد هو أيضاً فأنوه بعد أسود . فقال له أبلغ قومي  
التحية وقل لهم ليكرموا فلان يعني أسيراً من بكر كان عندهم فإن قومه لي مكرمون .  
وقل لهم إن العرف قد أديبي وقد شكت النساء . وأمّرهم أن يعرروا ناقتي الحمراء فقد  
أطالوا ركبها وأن يركبوا جميـلـيـ الأصهـابـ بـآيـةـ ماـ أـكـلـتـ معـهـمـ حـيـساـ . واسـأـلـواـ الـحـارـثـ  
عـنـ خـبـرـيـ . فـلـمـاـ أـبـلـغـهـمـ العـبدـ الرـسـالـةـ قـالـواـ جـنـ الـأـعـورـ وـالـلـهـ مـاـ نـعـرـفـ لـهـ نـاقـةـ حـمـراءـ  
وـلـاـ جـمـلـاـ أـصـهـابـ . ثـمـ سـرـحـواـ العـبدـ وـدـعـواـ الـحـارـثـ فـخـدـثـوهـ بـالـحـدـيـثـ . فـقـالـ قدـ أـنـذـرـكـ

أما قوله العريفي قد أدي فكاكية عن الرجال وأنهم استلاموا أي لبسوا الدروع للغزو .  
وقوله شكت النساء أي اخْتَذَن الشِّكَاء لسفر وهي جمع شكوة معروفة . والجليس  
أراد به الأخلاط من الناس المُجتمعون للغزو لأنَّ الحَيْسَ يجمع الأقط و السمن والتمر .  
لله الأمر من قبل ومن بعد .

١٠١٥ كُتُب في أعوام الستين وألف مرتاحاً في طلب العلم فدخلت قبة في أرض دكالة .  
فرأيت فيها رجلاً مسنًا قد لازم المسجد منقطعًا عن الناس فلست إليه مستحسناً  
حاله . وفي الحديث: إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدًا في الدنيا وقلة منطق فادنو منه  
فإنه يلقن الحكمة . فلما دنوت منه إذا هو يعظم العلم وأهله تعظيمًا بالغاً فازدلت به عجباً .  
فكنت أجلس بين يديه ويحذثني على الغربة ويحضني على العلم رحمة الله  
عليه . وأنشدني في شأن الغربة ملحاً:

أَنَا الْغَرِيبُ الْمُتَوَحِّ صَارِئٌ عَلَى كُلِّ هَانَا  
إِلَى تَخْرُجِ مَا تَقْلِيْحٍ فِي قَلْبِ مَنْ قَطَعْتُ أَنَا

٢٠١٥ وفي نحو هذا يقول الشاعر: [طويل]

إِذَا كُتُبْتِ فِي قَوْمٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَيْرٍ وَطَيْبٍ  
وَإِنْ حَدَّثْتَ النَّفْسَ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا حَوَّتْ أَيْدِيَ الْرِّجَالِ فَكَذَّبْ

٢٠١٦ وقال الآخر: [بسيط]

لَا يَعْدُمُ الْمَرءُ كَنَا يَسْتَقِرُ بِهِ وَلِغَةً بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَخْبَابِهِ  
وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابُّهُ كَالْلَّيْثِ يُحَقِّرُ لَمَّا غَابَ عَنْ عَابِهِ

وقال الحبرري: [يسقط]

٤، ١٥

إِنَّ الْغَرِيبَ الظَّوِيلَ الْدَّيْلِ مُمْتَهِنٌ فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوَّةٌ

٥، ١٥

وأنشدي في مدح العلم ملحوظاً:

الْعِلْمُ شَمِعًا مُنِيرًا يَتَسَاوِهُ الْأَكْيَاسُ  
مَا فَوْقَ مُؤْذِنَخِيرًا يَرُولُ عَنِ الْقَلْبِ الْإِحْسَاسُ<sup>١</sup>

وفضل العلم وشرفه أمه وأشهر من أن يذكر وأوضح من أن يذكر ويكتفي في ذلك النظر .  
 ومن غريب ما حكي أنه التقى للفقيه الخليل الإمام ابن عرفة رضي الله عنه وكان  
 قد مرض فأصابه غشي . قال فجأته طائفة من إحداهم عن يميني وجعلوا يرجحون  
 الإسلام والأخرى عن يساره وجعلوا يرجحون الكفر عياذاً بالله تعالى . قال فأخذ  
 هؤلاء يلقون شبه الكهار ويلهمي الله تعالى الجواب عنها بما كانت عرفت من قواعد  
 العقائد . فلملت أن العلم ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة . الله الأمر من قبل ومن بعد .  
 خرجت في أعوام التسعين وألف من حضرة مراكش حرستها الله وكانت إذ ذاك  
 متزوجاً عن الوطن مبایاً للقطبين والسكن . فلقيت أعرابياً من هوارة وهم حي من شبابه  
 فإذا هو قد ازوج عن وطنه في السوس الأقصى . فخذلني عن أحمد بن عبد الله بن  
 مبارك الوقاوي أنه كان هبت له يبح فسده قوله . وقالوا عنه وهو في غربته حتى  
 خرج عن وطنه إلى وادي السوس . قال جئته ذات مرة وهو في غربته فقال لي أين  
 العرب وأين القوالون؟ قال فقلت لهم بحالهم لم يزالوا يقولون . قال ثم أشد هو ملحوظاً :

إِلَى بَرَكَ لِي الْرَّمَانُ أَرْبَكُ عَلَيْهِ وَلَى دَارَ الْمُولَى تَلَقَّاهُ عِرَاضًا  
 بَرَكَ لِي مَرْكُوبٌ فَإِلَيْيِ ضَارِي بِهِ مَا نَحْسَبِنَسْ إِيَّا يِ عَلَيَّ مُعْتَاضًا  
 نَصِيرٌ لِأَحْكَامِ الْمُولَى حَتَّى شَقَّاصِي

١: ق: الأدناس.

في قوله مغتاضاً من الغيظ وأبدل من الظاء هنا ضاداً.

وكان هذا من عجيب الاتفاق فإن هذا القول مناسب لأحوالنا عشر الثلاثاء  
٨١٥ أعني القائل والراوي والسامع. قوله نصبر لاحكام المولى حتى تقاضا هذا هو  
أدب العبد. وهو الصبر لاحكام الله تعالى والسكنون تحت مجاري الأقدار. قال  
تعالى ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ونحوه من نصوص الكتاب والسنّة وأقوال أمته الدين  
لا يمحضى. الله الأمّ من قبل ومن بعد.<sup>١</sup>

واعلم أن الحكم حكم تكليفي وحكم تصريفي وكلاهما يجب الإذعان له والتسليم.  
٩١٦ أما التكليفي فهو الوجوب والندب والحرّم والكره والإباحة التي وردت بها الشريعة  
المطهّرة. وأما التصريفي فهو ما قدر على العبد من غير ذلك مما يرد عليه كالغنى والفقير  
والعز والذل والصحّة والمرض والسرور والحزن وغير ذلك. ومورد الأول كلام الله  
تعالى أمراً ونهياً. ومورد الثاني قدرته تعالى إيجاداً وإعداماً على وفق مشيئته وعلمه.  
وكالا بد من قبول الأول وامتثاله فعلاً وتركاً وتلقّيه بالصبر على ما فيه من المشقة على  
النفس وقد تضخّل أيضاً دواعي النفس فيرتقي العبد إلى الرضى والاستلذاذ.

كذلك لا بد في الثاني من تلقي محبوبه بالشك ومحرومته بالصبر وقد تضخّل أيضاً  
٢٠١٦ دواعي النفس فيرتقي العبد إلى الرضى. ثم إن كل شيء قدر على العبد فلا محالة يُقدر  
له وقت يقع فيه لا يتقدّمه ولا يتأخّر عنه. فتى حان وقت شيء فهو بارز لا محالة  
خيراً كان أو شرّاً لا يمكن أن لا يبرز ولا أن يبرز غيره في موضعه. فال بصير يستكئن  
حتى ينقضى بانتفاء وقته فيجتمع بين راحة قلبه والأدب مع ربّه. والجاهل يقلق منه أو  
يروم ظهور غيره دونه فيصير أحقّ الحمقاء ولا يحصل إلا على الشقاء.

وقال صاحب الحكم العطائية ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت  
٢٠١٦ غير ما أظهر الله فيه. وقالوا الوقت سيف وأنشدوا: [طويل]

<sup>١</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

وَكَلَسِيفٌ إِنْ لَآتَيْتَهُ لَآنَ مَسْهُ وَحْدَاهُ إِنْ خَاسَتَهُ حَشْتَانٍ

ولله الأمر من قبل وبعد.<sup>١</sup>

وأشددي أبو القاسم بن بوعتل الشباعي ثم الزاري بعض الأعراب ملحوظاً:

٤٠٦

يَا رَأْسِي عَيْنَ بُكِ بَانَ  
وَإِلَى عَيْبُو فِي وَجْهُو مَا يَصِيبُ اِيدُسُو  
قَالُوا عِلَّةُ أَبْنَ آدِمٍ شَيْطَانٌ  
فَإِنَّا نَقُولُ عِلَّةً أَبْنَ آدِمٍ تَقْسُو  
قَبْلَ لَا يَكُونُ إِلَيْسِ اِشْ يَكُونُ إِلَيْسِ سُو

فانظر إلى هذا الأعرابي كيف غاص على معنى كبير وهو أن نفس الإنسان سبب هلاكه بإذن الله تعالى إلا من عصمه الله. وكيف وقع على حجة برهانية وقياس منظوم في النفس وتقريره أن يقول لو كان كل زانع إنما يرعن بشيطان لكان إبليس حين زانع بإليس آخر. وبالتالي باطل للزوم التسلسل فالمقدم مثله. ونحو هذا في الاستدلال ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أبطل العدوى بمعنى أنه لا تأثير فيها الغير والله تعالى. فقتل له الأعرابي ما بالنا نرى الإبل تكون في الرمل لأنها الضباء فيدخلها جمل أجيوب فتجرب كلها؟ فقال له صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول؟ أي لو كان جمل إنما يأتيه هذا البلاء من آخر قبله لزن التسلسل وهو باطل. فلا بد أن ينتهي الأمر إلى بغير يصيبه البلاء من عند الله بلا سبب هذه العدوى. فيعلم عند ذلك أن الله تعالى هو الفاعل المختار يفعل الشيء عند الشيء وهو قادر أن يفعله بلا شيء ولا عند شيء. سبحانه عما يشركون.

واعلم أن ما ذكره هذا الأعرابي في ملحوظته من أن علة الإنسان نفسه صحيح وعلمه الشيطان عن ذلك غير صحيح إن أراد أنه لا مدخل له وإن أراد أنه غير مستقل بالإضرار لمشاركة النفس له أو أن ضرر النفس هو الأعظم لأنها المباشرة والشيطان متسبب صحيح. وتقرير هذه الجملة باختصار إن كلاً من النفس والشيطان مضر

٦٠٦

<sup>١</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

بالعبد فهما متظاهران على العبد كـما قال بعضهم وقد ضم إليهما الدنيا والهوى:  
[كامل]

إِنِّي لَيْسَ بِأَبَجٍ يَرْمِينِي  
بِالْتَّبْلُ عَنْ قَوْسٍ لَهَا تَوَيِّرٌ  
إِلَيْلِسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوْيٰ يَا رَبَّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرٌ

وبسبب ذلك أن الآدي لما أبدعه الله تعالى بقدرته موتلاً من الأخلال ذا مناج جعله سجحانه بياهر حكمته وسابق مشيته مفترقاً عادة فيبقاء وجوده الشخصي إلى القوام. وهو الغذاء بالطعام والشراب وفي بقاء وجوده النوعي إلى التوالد بواسطة النكاح. فطبع فيه عند ذلك شهوة الأكل وشهوة النكاح. ولو لم يكن ذلك طبعاً لافتقر إلى داع آخر فيتسلسل أو يقي فاتراً عن ذلك فيهلك شخصاً أو نوعاً فسجحان المدبر الحكيم.

ثم لما كان الشهوان أعني الأكل والنكاح لا تحصلان إلا من مادة وهي المال ٧١٦ وبه يحصل للأكل والنساء وبهنه يحصل النكاح المؤدي إلى التنازل المذكور والنساء لا يحصلن إلا بالمال أيضاً. طبع الله فيه حب المال وحب النساء وكل ما يستعن به في ذلك الباب من صحة وقدرة وجاه. وذلك هو مجموع الدنيا فكانت الدنيا محبوبة طبعاً للحكمة المذكورة. وكان ميل النفس إلى شيء من هذه المحبوبات بمقدضي الشهوانين المذكورتين وهو المغبر عنه بالهوى طبعاً في الإنسان. وكل ذلك في أصله رحمة من الله تعالى للإنسان كما ترى إذ لو لا ذلك لم يستمر له وجود.

ثم جعل الله تعالى العبد متاثراً بالعوارض في بدنـه وفي مالـه وفي حـريـمه ونحوـذلك. ٨١٦ فافتقر إلى احتـماء عن ذلك ودفعـه فطبعـ فيـه الغـضـبـ. وهو أيضـاً رحـمةـ منهـ تعـالـىـ إذـ لوـلاـ هوـ لمـ يـنـهـضـ لـ الدـفـعـ عنـ نـفـسـهـ ولاـ حـريـمهـ ولاـ مـالـهـ ولاـ جـارـهـ ولاـ غـيرـ ذلكـ ولاـ لـ تـغـيـرـ منـكـرـ ولاـ نـحـوـذلكـ. ثمـ إنـ النفسـ لـمـ كـانـ فيهاـ ذلكـ طـبعـاً استـعـدـتـ لأنـ تـقاـضاـهـ منـ كلـ وجهـ طـلبـاً لـ حـصـولـ المرـامـ عـلـيـ القـامـ. فـتـأـكـلـ مـثـلاًـ وـتـبـالـعـ ولاـ تـقـنـصـ عـلـيـ الـقـدـرـ الـمـحـاجـ

ولا تنزه عن الزائد المضر. وتشرب كذلك وتتكرث ثم لا تبالي من أي وجه حصل ذلك  
أمن ماذون فيه أم محرم لأن سعيها طبعي لا شرعي.

وكذا في غضبها ودفعها. فمتي ثركت وذلك أضرت بالعبد عاجلاً بمحصول  
الأمراض وإتلاف الأموال في الشهوات وانتهاك الأعراض والمرءات وكثرة الحاج  
والعدوان والهلاك والبوار. وأجلأ بالتعريض لطول الحساب وأليم العقاب عند  
وجوب التكليف. وهذه هي المضرة المنسوبة للنفس فخلق الله تعالى العقل ليكون  
محتسباً عليها حتى تكون فيما ذكر من الشهوة والغضب تابعة لإشارة العقل أخذها وتركاً.  
وأودع الله تعالى في العقل إدراك المصالح والمفاسد والمنافع والمضار حتى يعلم ما  
يشير به أمراً ونهياً ليجري الأمر على السداد فلا يقع قصور عن المراد ولا التعدي إلى  
ما يوجب الفساد.

ثم لما كان العقل أيضاً معرضًا للخطأ وللقصور عن كثير من المصالح ولله جهل بكثير  
من المدارك ولا سيما الغيبات لأن النقصان شأن المخلوق افقر هو أيضاً إلى مؤيد إما  
إلهام من الله تعالى وإما عقل آخر أكل كا في حال التربية وتلقين الحكمة. وإنما وحي  
ساوي وهو أكل فأنزلت الأحكام وشرعت الشائع وانتسبت الأحكام إليها عند أهل  
الحق لا إلى العقل فصار العقل مؤيداً للشرع ومتائداً به.

ثم إن إبليس اللعين عندما وقع له من الخزي والطرد مع صني الله آدم عليه السلام  
ما وقع صار عدوًّا له حسوداً حقدواً وكذا الذيته إلى يوم القيمة. قال تعالى ﴿يَا آدُمْ  
إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِرَوْجَكَ﴾ . وقال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ . وقال  
 تعالى ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ . وقال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ إلى  
غير ذلك. فكان دأبه السعي في مضره الآدمي كما يسعى كل عدو في مضره عدوه.  
ولم يجد إلى مضرته سبيلاً أيسراً ولا سبيلاً أبغى من أن يأتيه من قبل النفس وطريق  
الطبع فيزين له ما طبع من الشهوات ويسلّم له كل قبح. قال تعالى ﴿الشَّيْطَانُ  
يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْخُنَاحَ﴾ .

ففصل اتفاق بين النفس والشيطان على مرضية الآدمي غير أن المقصود مختلف ١٢٠٦  
فإن النفس لم تكن منها المرضية عن قصد وعداوة. كيف ولا أحب إلى كل أحد من نفسه بل جهلاً وغطأً وذلك أنها أدركت ما في طبعها من الشهوات الحاضرة فاستحسنها وظلت أن ذلك هو كمال صاحبها إذا ناله. بخاء الشيطان فأغراها مما استحسن وزين لها ما ظلت فاعتقده نصيحاً واتخذته خليلاً تلبي دعوته وتحب رغبته فائي الإنسان منها وتمكّن منه عدوه من طريقها فصارت من هذه الوجه عدوة بل أكبر الأعداء.

وأما الشيطان لعن الله فهو يفعل ما يفعل عن عداوة وقدد إضرار. فإنه لما ١٣٠٦  
خاب من رحمة الله وطرد عن بابه نسأل الله العافية أراد أن يسعى في خيبة الآدمي وبعده عن الله وحرمانه من نعيم الجنة باتباع الدنيا وغورها والإكاب على شهواتها. وأعلم أن الشيطان لشدة عداوه للإنسان ليس له غرض في اتباع الإنسان للشهوات وتمتعه باللذات.

بل لو أمكنه أن يسعى في حرمانه دائمًا فلا ينال لذة عاجلة ولا آجلة. ولا يحصل على منفعة في الدنيا ولا في الآخرة لكن ذلك هو مئيته ورغبته. وهو مقتضى العداوة وثمرة الحسد إلا أنه لما يمكّنه ذلك لفيضان رحمة الله على عباده وسبوغ نعمه عليهم رأى أن يرتكب به أعظم الضرر فيستزله عن أعظم الحظين بل الحظ الذي هو الحظ وهو الأخرى. ويستهويه إلى الحظ الدنيوي ورأى أنه إذا خاب عن النفيض الباقى واستبدل به الخسيس الفاني فقد خاب والأمر كذلك. فإن ما في الدنيا لو كان نقيساً وهو بقصد الانقطاع لم يلتفت إليه فكيف وهو مع ذلك خسيس مشوب متذكر؟ بل لو كان نعيم الآخرة النفيض ينقطع لوجب أن يلتفت إليه إذ النفس إنما تجده النجمة ما دامت متزاولة لها فإذا انقطعت عنها تكدرت كالصبي الراضع متى صرف الثدي عن فيه صاح.

وما مثال النفس في ذلك إلا مثال المرأة في قوله صلى الله عليه وسلم إنهن يكفرن ١٤٠٦  
العشير وإنك لو أحسنت إلى إحداهن الدهركله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت

منك خيراً قط . فقد تحصل من هذا أنّ النفس مُضرة بالإنسان من وجهين . أحدهما أنها تميل طبعاً إلى الشهوات وتحلّد إلى الرعونات . الثاني أنها مسلك الشيطان إلى الإنسان كما مرّ وإنّ الشيطان مضرّ للإنسان أبداً بوسوسته وتزيينه للنفس .

وهذه كلّها أسباب جعلية اقتصتها الحكمة والنافع والضار بالحقيقة هو الله تعالى ١٨٠٦ وتبين أنّ النفس تابعة للشيطان في مضرّة الإنسان سفهًا منها وغاطاً لا عداوة . ولسان حالها ينشد قول القائل: [وافر]

**وَخَلَّتْهُمْ سِهَاماً صَابَاتٍ فَكَانُوا هَا وَلَكُنْ فِي فُؤَادِي**

ومن أجل ما ذكرنا بين النفس والشيطان من اختلاف الوجه وبيان المقصود ١٨٠٧ فرق أمّة التصوف رضوان الله عليهم بين الخاطر النسائي والخاطر الشيطاني بعد اشتراكهما في الحض على السوء في الجلة . وهو أنّ الخاطر إذا تقاضى معصية مثلاً بعينها فإنّ أصرّ على ذلك فهو نسائي . وإنّ جعل يتحول من معصية إلى أخرى فهو شيطاني . ووجه ذلك أنّ النفس إنما تطلب المعصية بمقتضى طبعها فيها من حيث أنها شهوة لا غير فلا تزيد أن تنفك عنها حتى تناهياً بعينها .

وأما الشيطان فليس طلبه من الإنسان أن ينال شهوة ومتعة من حيث الشعم بها ١٩٠٦ فإنه عدو بل من حيث إنّها معصية موجبة للعقاب . فمتي دعاه إلى واحدة وتعسرت أو تلّكاً عليه فيها دعاه إلى أخرى لقيامها مقامها في المقصود . وهو حصول الإثم واستحقاق النار نعوذ بالله تعالى من شره . الله الأمر من قبل ومن بعد .

خطر لي ذات ليلة بيت للملك الضليل امرئ القيس بن حجر . فوجده قد احتوى ١٩٠٧ على مقتضى الشريعة الظاهرة والباطنة وتضمّن كلّ ما تحصل عن دواوين أمّة الدين وأقاويل الصوفية فقضت العجب من ذلك وعلمت أنّ الله تعالى من باهر قدرته وعجيب حكمته يُرزّ الحكمة على لسان من شاء وإن لم يكن من أهلها . كما قال بعض السلف حين سمع بعض الولاة نطق بحكمة خذوها من قلب حرب . وتبينت إشارة

قوله صلى الله عليه وسلم: الحكمة ضالة المؤمن. أي<sup>١</sup> فقه أن يتلقفها من وجدها عنده وإن يكن مريضياً كيأخذ ضالته من الدنيا كذلك وتبين صدق قوله صلى الله عليه وسلم إنَّ من الشَّعْر لِحَكْمَةً. قوله الحكمة<sup>٢</sup> الأولين: أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد على قلوب اليونان وأيدي أهل الصين وألسنة العرب.

والبيت المذكور هو قوله: [كامل أضد]

٢٠١٧

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبَتِ بِهِ وَالْبَرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ

فالشطر الأول قد احتوى على الحقيقة كلها وهي باطن الشريعة. فإنَّ معناه أنَّ ما طلبه بالله فأنت منجح فيه.

٢٠١٧

وهو كما قال في الحكم العطائية ما تعرَّض مطلب أنت طالبه بربك وما تيسَّر مطلب أنت طالبه بنفسك. ومعلوم أنك لست تروم ذلك إلا وأنَّ تعرف الله تعالى وأنَّه حق لا شريك له وأنَّه هو الفاعل المدبر النافع الضار. ثم تبني عن نفسك وعن حولها وقوتها وتدبرها و اختيارها وتbegي بربك. وهذا هو سر العبودية وهو الكنز الذي يحوم حول المریدون ويعنِّ إليه السالكون. وهو المشار إليه في قوله صلى الله عليه وسلم: لا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كُنْزٌ مِّنْ كُنْزِ الْجَنَّةِ.

٤٠١٧

وهذا هو كليَّة الأمر ولا حاجة إلى التطويل. والشطر الثاني قد تضمن الشريعة كلها وهي أنَّ البر خير ما تحمله العبد وادخره أي والفحور شر ما تحمله. ويدخل في البر<sup>٣</sup> العبد مع ربِّه بطاعتِه له قوله وفعلاً واعتقاداً. وكذا مع من أوجب الله تعالى طاعته من نبيٍّ وأميرٍ ومالكٍ ووالدٍ ونحوهم. وبره مع الناس بالإحسان فعلاً وقولاً وخلفاً وهو بمجموع ما يطلب شرعاً ولا حاجة إلى التطويل. الله الأمر من قبل ومن بعد.

٥٠١٧

واعلم أنَّ البيت قد اشتمل على مثيلتين مستقلتين كما رأيت فرأيت أنَّ أستطرد هنا من آيات الحكمة والتثليل نبذة صالحة يقع بها الإمتاع ويحصل الانتفاع. فمن ذلك

قول لييد: [طويل]

<sup>١</sup> سقط من ط. <sup>٢</sup> ط: الشعراة. <sup>٣</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

أَلْأَكْلُ شَيْءٌ مَا خَلَّ اللَّهُ بِاطِلٌ وَكُلُّ شَيْءٍ لَا حَالَةَ رَائِلٌ

واعلم أن هذا البيت مع كونه في غاية الحكمة وكونه قد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك كما ورد في الحديث أصدق كلمة قالها المشاعر قول لي<sup>يد</sup> أَلَّا كُلُّ شيءٍ  
ما خلا الـبـيت يـسـأـلـ عـنـهـ.

فـيـقـالـ مـثـلـاـ فـيـ المـصـرـاعـ الـأـوـلـ إـنـ مـعـرـفـةـ الـلـهـ تـعـالـىـ وـشـرـعـهـ وـدـيـنـهـ وـأـنـبـيـاءـهـ وـنـحـوـ  
ذـلـكـ دـاـخـلـ فـيـهـ جـعـلـهـ بـاطـلـاـ وـلـيـسـ بـيـاطـلـ.ـ وـفـيـ الثـانـيـ إـنـ نـعـيمـ الـآـخـرـ غـيرـ زـائـلـ فـيـلـزـمـ  
انتـقـاطـ الـكـلـيـتـيـنـ.ـ وـالـجـوـابـ عـنـ الـأـوـلـ مـنـ وـجـهـيـنـ أـحـدـهـاـ أـنـ الـمـرـادـ مـاـ سـوـيـ الـلـهـ تـعـالـىـ  
وـمـاـ اـنـضـافـ إـلـيـهـ كـاـوـقـعـ فـيـ الـحـدـيـثـ الـدـنـيـاـ مـلـعـونـ مـاـ فـيـهـ إـلـاـ ذـكـرـ الـلـهـ وـمـاـ وـالـهـ  
وـعـلـمـ أـوـمـتـعـمـ وـهـذـاـ وـاضـحـ.ـ فـإـنـ صـفـاتـ الـلـهـ تـعـالـىـ لـاـ تـدـخـلـ فـيـ الـبـاطـلـ لـاـنـضـيـافـهـ إـلـىـ  
الـذـاتـ وـشـمـولـ الـاسـمـ لـهـ فـكـذـلـكـ كـلـ مـنـضـافـ.

الـثـانـيـ إـنـ هـذـاـ كـلـامـ فـيـ الـحـقـائقـ وـلـاـ شـكـ أـنـ الـلـهـ تـعـالـىـ هوـقـدـيمـ وـاجـبـ الـوـجـودـ فـهـوـ  
حقـ ثـابـتـ وـالـعـالـمـ كـلـهـ مـحـدـثـ فـهـوـ بـاطـلـ لـاـ ثـبـوتـ لـهـ مـنـ ذـاتـهـ لـكـنـ بـيـاثـاتـ الـلـهـ تـعـالـىـ.  
وـهـذـاـ الـوـجـهـ أـيـضـاـ وـاضـحـ لـاـ شـبـهـةـ فـيـهـ وـالـمـوـجـودـاتـ كـلـهـاـ مـتـىـ أـعـتـبـرـ إـضـافـهـاـ وـعـلـقـهاـ  
بـالـلـهـ تـعـالـىـ كـاـتـ حـقـاـًـ بـهـ وـهـيـ بـاطـلـةـ بـحـسـبـ ذـاتـهـ وـمـنـهـ مـاـ هـوـ حقـ باـعـتـبـارـينـ أـعـنـيـ  
بـهـذـاـ التـعـلـقـ وـبـيـاثـاتـ الـلـهـ لـهـ شـرـعـاـ كـاـمـاـ فـيـ الـوـجـهـ الـأـوـلـ.

وـهـوـمـعـ ذـلـكـ باـعـتـبـارـ ذـاتـهـ وـلـاـ تـنـافـيـ فـيـ شـيـءـ مـنـ ذـلـكـ فـاـفـهـمـ.ـ وـالـجـوـابـ عـنـ الـثـانـيـ  
ثـلـاثـةـ أـوـجـهـ الـأـوـلـ أـنـ الـمـرـادـ نـعـيمـ الـدـنـيـاـ لـأـنـهـ هـوـ الـمـعـرـفـ الـمـشـاهـدـ لـاـ سـيـماـ فـيـ حـقـ هـذـاـ  
الـقـائـلـ.ـ فـإـنـهـ كـانـ حـيـنـ قـوـلـهـ ذـلـكـ جـاهـلـيـاـ لـاـ ذـكـرـ لـلـآـخـرـةـ عـنـهـ.ـ فـإـنـ قـيلـ مـنـ لـكـ بـأـنـهـ إـذـ  
ذـلـكـ جـاهـلـيـ؟ـ وـلـعـلـهـ قـالـ هـذـاـ بـعـدـ الـإـسـلـامـ.ـ قـلتـ قـدـ اـسـتـفـاضـ فـيـ شـأـنـهـ أـنـهـ لـمـ يـقـلـ  
بـعـدـ الـإـسـلـامـ إـلـاـ بـيـتاـًـ وـاحـدـاـًـ وـهـوـ قـوـلـهـ:ـ [ـبـيـسـيـطـ]

أَكـحـمـدـ لـلـهـ إـذـ لـمـ يـأـتـنـيـ أـجـلـيـ حـتـىـ لـبـسـتـ مـنـ الـإـسـلـامـ سـرـبـاـلـ

على أنه لو كان بعد الإسلام لكان إرادة الدنيوي في غاية الوضوح . إذ المراد تهون أمر الدنيا والتغافل عنها والتزهد فيها كما وقع ذلك في كلام كثير من أهل الإسلام .  
 الثاني أن يكون أيضاً كلاماً في الحقائق فإن النعم كلها ممكن حدوث فهو بصدق الزوال والفناء فعلاً أو قوة وما يتيح منه إنما يتيح بإبقاء الله تعالى لا بذاته . الثالث أن يراد أن كل نعيم ناله العبد وتعم به فهو زائل عنه قطعاً بالشخص وإنما تجدد أمثاله وهذا قدر مشترك بين الدنيوي والأخروي .

قال النبي صلى الله عليه وسلم في متع الدنيا وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت . وقال تعالى في نعيم الآخرة ﴿ كُلُّمَا رُرِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُرِقَنَا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ .

وقول الحطيئة: [يسقط]

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمْ جَوَازِهِ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقول طرفة بن العبد: [طويل]

سَتُبَدِّي لَكَ الْأَيَامُ مَا كُثِّتْ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوَّدْ

وكان صلى الله عليه وسلم ينشده أحياناً استحساناً فيقول: ويأريك من لم تزوجه بالأخبار ويقول: هُمَا سَوَاءٌ أي التركيان يعني في المعنى . فيقول أبو بكر رضي الله عنه أشهد أنك رسول الله قال تعالى ﴿ وَمَا عَلِمْنَاهُ أَشَدُّهُمْ شَرًّا ﴾ .

وقول النابغة: [طويل]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبِقٍ أَخَّا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ أَيْ أَرْجَالِ الْمُهُذْبِ؟

الحاضرات

وقول امرئ القيس: [طويل]

١٥٠١٧

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْهَرْ عَلَيْكَ كَاحِرٌ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَعْلَمْكَ مِثْلُ مُعْلَمٍ

وأخذه أبو تمام فقال: [كامل]

١٦٠١٧

وَضَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ قُدْرَةً قَاتَلَتْ كَذِلِكَ قُدْرَةُ الْمُضَعَّفَاءِ

وقول زهير: [طويل]

١٧٠١٧

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَقْنُو الشَّمْ يُشَتَّمُ

وأخوات هذا البيت في مimitته مثله وهي مشهورة لا نطيل بها.

غيره: [طويل]

١٨٠١٧

لِذِي الْحَمْ بَلْ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَمَا وَمَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا

وقوله: [وافر]

١٩٠١٧

قِلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى وَلَا يَقْنُى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

غيره: [مجموع الكامل]

٢٠٠١٧

الْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَمَا وَالْحَرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَه

وقول عبد الله بن معاوية: [طويل]

٢١٠١٧

فَعَيْنُ الرَّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَهُ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ ثَبِيِّ الْمَسَاوِيَا

وقول القطامي: [طويل]

٢٢٠١٧

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَّابِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَجِيلِ الْزَّلْ

وقوله: [طويل]

٢٣٠١٧

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلِأَمْرِ الْخَاطِئِ الْهَبَلُ

وسبقه إلى الأول عدي بن زيد في قوله: [سريع]

٢٤٠١٧

قَدْ يُدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حَظِّهِ وَأَخْيَرُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الْحَرِيصِ

وقول عمرو بن براقة: [بسيط]

٢٥٠١٧

مَا هَدَاكَ إِلَى أَرْضِ كَالِمَهَا وَلَا أَعَانَكَ فِي عَزِّمِ كَفَرَامِ

وقول عبد الله بن همام: [طويل]

٢٦٠١٧

وَسَاعٍ مَعَ الْسُّلْطَانِ لَيْسَ بِحَارِسٍ وَمُحْتَرَسٍ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسُ

وقول عبيد بن الأبرص: [بسيط]

٢٧٠١٧

الْخَيْرُ يَسْقَى وَإِنْ طَالَ الْرَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَحْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ فِي رَادِ

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه: [خفيف]

٢٨٠١٧

رُبَّ حَلِمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَلَأِ لِوَجَهِلٍ عَظِيْلٍ عَلَيْهِ الْغَيْمُ

وزعموا أنَّ حسان بينما هو في أطْمِه وذلك في الجاهلية إذ قام في جوف الليل  
٢٩،١٧ فصاح يا للزرج. فجاءوا وقد فزعوا فقالوا مالك يا ابن الفريعة؟ قال بيت قلته ففت  
أنَّ أموت قبل أنْ أصبح فيذهب ضيًعه خذوه عني. فقالوا وما قلت؟ فأنسد اليت  
المذكور.

٣٠،١٧ وقول أبي ذؤيب: [كامل]

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا      وَإِذَا تَرَدَّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

٣١،١٧ وقول زهير: [طويل]

وَهَلْ يُبْتَحِثُ الْخَطَّيِّ إِلَّا وَشِيجُهُ      وَتُقْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا الْخَلُ

٣٢،١٧ غيره: [طويل]

أَرَى كُلَّ عُودٍ تَابِتاً فِي أَرْوَمَةٍ      أَبَى مَنِينُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَ

٣٣،١٧ وقول بشار: [كامل]

تَأْتِي الْمُكْيَمَ وَمَا سَعَى حَاجَاتُهُ      عَدَدَ الْحَصَى وَيَخِبُّ سَعِيُ الْطَّالِبِ

٣٤،١٧ غيره: [طويل]

مَتَّى مَا شَقَدَ بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ يَأْبَهُ      وَإِنْ قُدِّثَ بِالْحَقِّ الْرَّوَاسِيَ شَقَدِ

٣٥،١٧ وقول عبيد: [ملحق البسيط]

مَنْ يَسَأِلُ النَّاسَ يَحْرُمُهُ      وَسَائِلُ اللهِ لَا يَخِبِّ

٣٦٠١٧

غيره: [طويل]

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ أُمَّ نَفْسِهِ وَيَحْجِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مِنْ لَا يُنَاسِبُهُ  
وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ وَيُخْرَمُ مَعْرُوفَ الْخَيْلِ أَقْارِبُهُ

فهذا كله ونحوه مشتمل على مثلين كيت امرئ القيس وقد يكون مثلاً واحداً كقول

طرفه: [طويل]

رَأَيْتُ الْقَوَافِيَ يَشَلِّجُ مَوَابِحًا تَضَائِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَاجِهَ الْإِبَرَ

وهو معنى قول الأخطل والقول يقدُّم ما لا يقدُّم الإبر.

٣٨٠١٧

وقول علامة: [طويل]

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءَ أَوْ قَلَ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وِدْهَنٍ نَصِيبٌ

٣٩٠١٧

وهو لامرئ القيس في قوله: [طويل]

أَرَاهُنَّ لَا يُحِبِّنَ مَنْ قَلَ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوْسَا

٤٠٠١٧

ومنه قول الأعشى: [كامل]

وَأَرَى الْفَوَابِيَ لَا يُؤَاصِلُنَّ أَمْرًا فَقَدْ أَشَبَّهَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُّنَّ الْأَمْرَ دَا

٤١٠١٧

وقول أبي تمام: [كامل]

أَشَهِي الْرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كَانَ أَشَبَّهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

٤٢٠١٧

وقول علقة بن عبدة: [سيط]

وَكُلُّ قَوْمٍ وَإِنْ عَرَّوْا وَإِنْ كَثَرُوا  
عَدِيدُهُمْ بِأَنَّ فِي الْدَّهْرِ مَرْجُومٌ  
وَكُلُّ حِصْنٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ  
عَلَى دَعَائِيهِ لَا بُدَّ مَهْدُومٌ

٤٣٠١٧

وقول الآخر: [طويل]

وَمَا رُزِقَ الْإِنْسَانُ مِثْلَ مَيْنَةَ أَرَاحَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ تُخْزِنِ فِي الْقَبْرِ

٤٤٠١٧

وقول ابن حارم: [طويل]

لَا تَكُنْ ذِينَ فَمَا الدُّنْيَا إِلَّا جَمِيعُهَا  
مِنَ الشَّبَابِ يَوْمٌ وَاحِدٌ بَدَلُ

٤٥٠١٧

ومثله قول منصور المنزي: [سيط]

مَا كُنْتُ أُوْفِي شَبَابِي حَقَّ عَرَّةٍ حَقَّ  
مَضِي فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ

٤٦٠١٧

وقول امرئ القيس: [طويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْرُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سُوَاهُ بِخَرَانِ

٤٧٠١٧

ونحوه: [طويل]

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ كُثْرِ سِرَّهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدِعُ آسِرَ أَضْيَقُ

٤٨٠١٧

وقوله: [طويل]

إِذَا جَاءَ زَوْجَ الْإِشْتَيْنَ سِرَّ فِيَّهُ يُبَثُّ وَإِفْشَاءُ الْحَدِيثِ قَمِينُ

وقد قيل الاثنان هنا الشفتان.

وقول طرفة: [طويل]

٤٩،١٧

إِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَصَّةً عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٍ

الحصاة العقل وهو إشارة إلى قول الحكاء لسان العاقل من وراء عقله ولسان الأحمق على العكس.

٥٠،١٧

وقول النساء رحمها الله: [وافر]

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْرَانِهِمْ لَقَتَّلْتُ نَفْسِي

٥١،١٧

وقول الآخر: [طويل]

إِذَا أَنْصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبَلُ

٥٢،١٧

وغيره: [طويل]

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمَهَنَدِ

٥٣،١٧

غيره: [طويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِ وَالْخَنَّا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

٥٤،١٧

غيره: [بساط]

كُلُّ أَمْرِيٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِيمَتِهِ إِنَّ تَحْلَقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ

ونحوه: [طويل]

٥٥،١٧

وَمَنْ يَتَدَبَّرْ مَا لِيَسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى الْأَنْفُسِ حِيمُهَا

السوس والخيم الطبيعة.

ونحوه: [بساط]

٥٦،١٧

إِنَّ الْخَلْقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخَلْقُ

٥٧،١٧

وقد يكون المثل جزءاً ليت كهذا. ونحوه للنابغة: [طويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتُرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَّهُ وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَظَلْبُ

٥٨،١٧

وقوله: [طويل]

لَمْ يُلْغِكَ آلَوَاشِي أَعْشُ وَلَذْبُ

٥٩،١٧

وقول دريد: [كامل]

مُتَبَدِّلًا تَبَدُّلُ مَحَاسِنُهُ يَضْعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقُبِ

٦٠،١٧

وقول الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيِّ: [متقارب]

نَرُوحُ وَنَقْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَاتُ مَنْ عَاشَ لَا تَقْضِي

٦١،٦٧

وقول الآخر: [طويل]

تَدْسُّ إِلَى الْعَطَّارِ سِلْعَةَ يَبْتَهَا  
وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ

٦٢،٦٧

وقول زهير: [وافر]

لَمْ فِي الْذَاهِينَ أَرُومُ صِدْقٍ  
وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرُومُ

٦٣،٦٧

وقوله: [وافر]

كَذِلِكَ خِيمُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ  
إِذَا مَسَتُهُمُ الظَّرَاءُ خِيمٌ

٦٤،٦٧

وقول الآخر: [وافر]

سُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَجَبٍ  
وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ

٦٥،٦٧

وهذه الأنواع لا يأتي عليها الحصر وإنما أردنا بعضاً من مختار ذلك ومشهوره وما  
تركته أكثر. وقد يشتمل البيت على ثلاثة أمثال أو أربعة وهو قليل بالنسبة إلى غيره  
فن ذلك قول زهير: [طويل]

وَفِي الْحَلَمِ إِذْعَانٌ وَفِي الْعَفْوِ دُرْبَةٌ  
وَفِي الصَّدْقِ مِنْجَاهٌ مِنَ الشَّرِّ فَاصْدُقُ

٦٦،٦٧

غيره: [بسيط]

الْعِلْمُ يَجْنُلُ الْغَمَى وَالْجَهَنُ مَهْلَكَةٌ  
وَاللَّاعِبُ الرَّفْلُ الْأَذَنَى مَكْذُوبٌ

١: السابقين. وط: الصادقين.

وقول صالح: [خفيف]

٦٧،٦٧

كُلُّ آتٍ لَا بُدَّ آتٍ وَدُوْلَجَهُ مِلْ مُعَنٌّ وَالْهَمُّ وَالْعَمُّ فَضْلٌ

وقولي من قصيدة: [طويل]

٦٨،٦٧

فَلَا تَهْتَسِلْ لِلْحَادِثَاتِ وَلَا تُشْقِ  
بِمَا وَهَبَتْ يَوْمًا فَمَوْهُبُهَا مُعْرِي  
مُقَرِّبُهَا مُقْصِي وَمَرْفُوعُهَا مُعْرِي

وقولي فيها: [طويل]

٦٩،٦٧

وَإِنْ بَصِرُوا بِالْمُسْمِلِيْقِ أَهْتَرُوا بِهِ  
وَمَدُوا إِلَيْهِ طَرَفَهُمْ نَظَرًا شَزِرًا  
وَقَالُوا بِغِيَضٍ إِنْ تَأْتِي وَمَتَى دَنَا  
يَقُولُوا ثَقِيلٌ مُبِيرٌ أَذْبَرَ الْفَقَرَا  
فَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْقَدْ وَإِنْ عَلَّ لَمْ يُعْدْ  
وَإِنْ مَاتَ لَمْ يُشَهِّدْ وَإِنْ ضَافَ لَمْ يُقْرَا

وهذا الباب لا يخسر وقد أودعنا منه كتاب الأمثال والحكم قدرًا صالحًا. ولنقصر على هذا القدر هنا خوفاً من الملل. لله الأمر من قبل ومن بعد.

حدّثني الرئيس الأجل أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي رحمه الله .  
قال لما نزلنا في طلعتنا إلى المجاز بمصر المحرورة خرج للقاءنا الفقيه النبي أبو العباس  
أحمد بن محمد المقربي . قال وكنت أعرفه عند والدي لم يشب فوجده قد شاب . فقلت  
له شبٌ يا سيدي . فاستضحك ثم قال: [خفيف]

شَيَّئْتِي غَرَنَدَلُ وَيَحَارُ وَبِحَارٍ فِيهَا الْلَّيْبُ يَحَارُ

قال وحدث أنهم كانوا ركبوا بحر سويس فهال بهم مدة من نحو ستة أشهر وهم  
يدورون دورانًا . وأنه ألف في تلك المدة موضوعاً في علم الهيئة وسارت به الركاب .

فلمّا خرج من البحر وتصفحه وجد فيه الخطأ الفاحش وقد فات تداركه وذلك مما وقع له من الهول. قال فإذا هو قد خرج معه برجل ضرير البصر. فقال هذا الضرير من أعجيب الزمان في بديهيّة الشعر فألق عليه أيّ بيت شئت يأت عليه ارتجالاً بما شئت من الشعر. ثمّ عهده به أن يقوله فلا يق شيء منه في حفظه. فأتيتكم به لتشاهدوا من عجائب هذه البلاد ونواودها وتذهبا بخبر ذلك إلى بلادكم. قال فاقترحوا مني بيتاً يقول عليه فحضر في لساني بيت ابن الفارض: [رمل]

سَائِقَ الْأَطْعَانِ يَطْوِي الْبِيدَ طَيْ  
مُسْرِعاً عَرِّجَ عَلَى كُثْبَانِ طَيْ

قال فذكّره فاندفع على هذا الروي مع صعوبته حتى أتى بنحو مائة بيت ارتجالاً.  
 ٣١٨  
 قلت وهذا غريب فإنّ هذا القدر كله يعزّ وقوعه من العرب المطبوعين فكيف بالمولدين؟ فكيف بأخر الزمان الذي غلبت فيه الجنة على الألسن؟ ولكن رب الأولين والآخرين واحد تبارك الله أحسن الحالين! وحدّثني أنّ الفقيه أبي العباس المذكور كان أيام مقامه بمصر قد اتّخذ رجلاً عنده بنفقة وكسوة وما يحتاج على أن يكون كلما أصبح ذهب يقتري البلد أسوافاً ومساجد ورحاباً وأزقة وكل ما رأى من أمر واقع أو سمع يُرْجُحُه عليه بالليل فيقصه عليه. قلت وهذا اعتماء الأخبار والنواود والتواريخ.

وقد كان نحو هذا لشيخ مشايخنا أبي عبد الله محمد العربي ابن أبي المحسن يوسف الفاسي. فكان من دأبه أنه متى لقي إنساناً يسأله من أي بلد هو. فإذا أخبره قال من عندكم من أهل العلم ومن من عندكم من أهل الصلاح ومن الأعيان؟ فإذا أخبره بشيء من ذلك كله سجله. وهذا الاعتناء بالأخبار والوقائع والمساند ضعيف جداً في المغاربة فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدرية دون الرواية وفيما سوى ذلك لا همة لهم.  
 ٤١٨  
 وكان أبو عبد الله المذكور يذكر في كتابه مرآة المحسن أنه كم في المغرب من فاضل ضاع من قلة اعتمائهم وهو كذلك. وقد سألت شيخنا الأستاذ أبي عبد الله

١ سقط من مدقق.

ابن ناصر رحمه الله ورضي عنه يوماً عن السندي في بعض ما كتبت آخذه عنه. فقال لي إنما تكن لنا رواية في هذا وما كان غني بذلك. قال وقد قضيت العجب من المشارقة واعتئاتهم بأمثال هذا حتى إني لما دخلت مصر كان كل من يأخذ عني عهد الشاذلة يكتب الورز والرواية والزمان والمكان الذي وقع فيه ذلك.

رجعنا إلى الحديث الأول. قال ووجدت الفقيه أبا العباس المذكور قد وقع بيته وبين طلبة العلم من أهل مصر شخنا عظيمة وحدث أن سبها اتفاق غريب وهو أنه حضر ذات يوم سوق الكتب وهو إذ ذاك لم يعرف. فوقع في يده سفر من تفسير غريب ففتح على تفسير سورة النور. فإذا هو قد تعرض لمسألة فقهية غريبة وذكر فيها اختلافاً وفصيلاً وتحقيقاً حفظ ذلك كله على الفور وكان رجلاً حافظاً. ثم اتفق عن قبيل أن اجتمع علماء البلد في دعوة وحضر معهم فلما استقر بهم المجلس إذا سائل في يده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها. فدُفعت للأول من أكبر أهل المجلس فنظر فكانه لم يحضره فيها ما يقول. فدفعها لمن يليه ثم دفعها الآخر للآخر وهكذا حتى بلغت أبا العباس المذكور.

فلما تناولها استدعى الدوحة فكتب عليها الجواب بخواص حفظ فعلوا ينظرون إليه متعجبين. فلما فرغ تعاطوها فقالوا من ذكر هذا؟ فقال لهم ذكره فلان في تفسير سورة النور فالتسووا التفسير فإذا الأمر كما ذكر. فدخلتهم من ذلك ما هو شأن النفوس. قلت وليس هذا بداع فما زال هذا الجنس يتحاملون على من توسموا فيه شفوفاً عليهم أو مراحمة في رتبة أو حظ إلا من عصمه الله وقليل ما هم. [كامل]

كَضَرَ إِنِّي أَحْسَنَأَهُ فُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبُغْضًا أَنَّهُ لَدَمِيمٌ

وقد أفتى بعض الفقهاء أنه لا تقبل شهادة بعضهم على بعض لهذا المعنى ولا شك أنه ليس على العموم ولكن شائع معلوم. فمن ذلك ما وقع للإمام سيسيوي مع أهل الكوفة وقصته مشهورة. وما وقع لسيف الدين الأ müdّي مع أهل مصر فإنه لما برع عليهم في العلوم أنكروه ونسبوه إلى الأهواء وكتبوا عليه رسماً بذلك. فكانوا يدفعونه بعضهم

لبعض ليوقعوا فيه الشهادة على ذلك فكانوا يشهدون حتى انتهى إلى بعض من وفته  
الله وعصمته فوق تحت الشهادات. [كامل]

**حَسَدُوا النَّقْيَ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ**

٩٠١٨ وقد تناهى به ذلك حتى خرج من مصر . وما وقع للفقيه محمد بن تومرت المعروف  
بالمهدي إمام الموحدين فإنه دخل مدينة مراكش مـقـفلـه من المـشـرقـ خـرـكـ العـلـومـ العـقـلـيـةـ  
وكانوا أهل بادـيةـ لا يـعـرـفـونـ ذـلـكـ فـقـالـواـ هـذـاـ أـدـخـلـ عـلـيـنـاـ عـلـوـمـ الـفـلـاسـفـةـ وـوـشـواـ بـهـ إـلـىـ  
الـمـتـوـنـيـ حـتـىـ كـانـ مـنـ أـمـرـهـ مـاـ كـانـ.

٩٠١٨ ومثله ما وقع للإمام أبي الفضل بن النحوي حين دخل سجلماسة بفعل يـدـرـسـ  
أـصـولـ الدـيـنـ وـأـصـولـ الـفـقـهـ فـرـزـ بـهـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ بـسـامـ أـحـدـ رـؤـسـاءـ الـبـلـدـ . فـقـالـ ماـ  
الـعـلـمـ الـذـيـ يـدـرـسـ هـذـاـ؟ فـأـخـبـرـوـهـ وـكـانـواـ قـدـ اـقـتـصـرـواـ عـلـىـ عـلـمـ الرـأـيـ . فـقـالـ هـذـاـ يـرـيدـ  
أـنـ يـدـخـلـ عـلـيـنـاـ عـلـوـمـاـ لـاـ نـعـرـفـهـاـ وـأـمـرـ بـإـخـرـاجـهـ . فـقـامـ أـبـوـ الـفـضـلـ ثـمـ قـالـ لـهـ أـمـتـ الـعـلـمـ  
أـمـاتـكـ اللـهـ هـهـنـاـ .

٩٠١٨ قالوا وكانت عادة أهل البلد أن يعقدوا الأئمة في المسجد . فاستحضروا ابن بسام  
لعقد نكاح صبيحة اليوم الثاني من ذلك اليوم . فخرج سـحـراـ وـقـدـ فـيـ المـكـانـ المـذـكـورـ  
فـرـزـ عـلـيـهـ جـمـاعـةـ مـنـ مـلـوـانـةـ إـحـدـىـ قـبـائـلـ صـنـهاـجـةـ فـقـتـلـوهـ بـرـماـحـهـمـ . وـارـتـحلـ أـبـوـ  
الـفـضـلـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ فـاسـ قـسـطـاطـ عـلـيـهـ القـاضـيـ اـبـنـ دـبـوسـ وـلـقـيـ مـنـ مـاـ لـقـيـ مـنـ اـبـنـ  
بسـامـ فـدـعـاـ عـلـيـهـ أـيـضاـ فـهـلـكـ . وـلـمـ رـجـعـ إـلـىـ وـطـنـهـ الـقـلـعـةـ وـاشـتـغـلـ بـالـتـقـشـفـ تـسـطـاطـ  
عـلـيـهـ اـبـنـ عـصـمـةـ أـيـضاـ فـقـيـهـ الـبـلـدـ بـالـإـذـاـيـةـ .

٩٠١٨ وهذا النوع أعني الفقهاء ولا سيما أرباب المناصب منهم كالقضاة لم يـرـالـواـ  
مـتـسـلـطـينـ عـلـىـ أـهـلـ الدـيـنـ كـاـوـقـعـ لـهـذـاـ وـكـاـوـقـعـ لـلـقـاضـيـ اـبـنـ الـأـسـوـدـ معـ الـإـمـامـ الـعـارـفـ.  
أـبـيـ الـعـابـسـ بـنـ الـعـرـيفـ وـلـبـنـ أـبـيـ الـبرـاءـ مـعـ الـقـطـبـ الـجـامـعـ أـبـيـ الـحـسـنـ الشـاذـيـ.  
وـكـلـهـمـ قـدـ أـخـذـهـمـ اللـهـ بـذـنـوبـهـمـ فـيـ الـدـنـيـاـ قـبـلـ الـآـخـرـةـ نـسـأـلـ اللـهـ تـعـالـىـ الـعـصـمـةـ مـنـ اـتـابـعـ  
الـهـوـىـ وـنـعـوذـ بـالـلـهـ أـنـ نـظـلـمـ أـوـ نـظلمـ إـنـهـ الـحـفـيـظـ الرـحـيمـ .

١٣١٨ وحدثني الحاج المذكور أيضًا قال دخلنا مكة شرفها الله فدخلت ذات يوم المسجد الحرام فإذا هو غاص بأهله والناس مزدحمن فقلت ما هذا؟ فقالوا جنازة ولد توفي للشيخ يوسف الوفاين وكان حاضرًا في تلك الجنة. قال وكنت أعرفه بفتن إلينه لأعترفه في مصيبيته فاستأذنت عليه فاذن لي فدخلت عليه وهو مع أصحابه فإذا هو يتحدث وهو في غاية ما يكون من البسط والسرور. قال بخلست أمامه وقلت أعظم الله أجرك. فنكر عليّ غاية الإنكار وقال أمثلك يقول هذا؟ وقد طلماكنت أتمت أن يجعل الله جسدي في هذه البقاع المشرفة واليوم قد جعل الله بعضي فيها فله الحمد له الشكر أو كلاماً هذا معناه رحمة الله ورضي عنه.

١٤١٨ وإنما أذكر مثل هذه القصة للاعتبار والاشارة. وحدثنا أيضًا قال بتنا عند الفقيه الشيخ علي الأجهوري برسم زيارة. فبات ليه على النظر في كتب العلم وهو يشرب الدخان فكان له صاحب يعمره الدوحة حتى إذ فرغت عمر أخرى ويرى حلاته. قال وكان الشيخ إبراهيم القاني معاصره وبليده يفي بحرمتة. لله الأمر من قبل ومن بعد.

١٥١٩ وكان يحدثنا عن أسلافه أن ثلاثة من صلحاء الغرب قد جرب عندهم قضاء الحاجات الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ أبو يعزى يلنور والشيخ أبو سليمان. غير أنهم اختلفوا فال الأول في أمور الآخرة والثالث في أمور الدنيا وأبو يعزى في الكل نفعنا الله بهم وبآمنتهم. وقد ذكر غيره كالشيخ زروق أن هؤلاء الثلاثة أبي يعزى وأبا العباس السبتي وأبا مدين قد وقع الانقطاع بهم بعد الموت. وهذا بحسب ما أُشتهر وانتشر وإلا فالانقطاع واقع بأولياء الله كثيراً في كل أرض.

٢٠١٩ وقد شاهدت المولى أدریس بن إدريس رضي الله عنه أيام مقامه بمدينة فاس ترتياً مجرياً في كل ما أُنزل به من حاجة. وحدثونا في درعة عن الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم أنه كان يقول لهم إنَّ سيدي أبا القاسم الشيخ وهو معروف هنالك يقضى عنده ما يقضى عند الشيخ أبي يعزى.

- ٢١٩ وحدّثني بمدينة مراكش الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر الهمشري. قال رأيت ذات ليلة فمَا يرى النائم أتى دخلت مقام الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزوئي فإذا هو جالس وهو يقول من كانت له إلى الله حاجة فليأتنا. قال فلما أصبحت وكان أمير الوقت قد بعث إلى أهل المدينة أن يعطوا الرماة وشق عليهم ذلك كثيراً. وكان قوم قد ذهبا إليه وعزموا أن يسعوا في إذائي. فجئت إليه فقلت إنك قلت كذا وهذا أنا إذا قد جئت في هاتين الحاجتين. قال فقضى الله الحاجتين معاً.
- ٤١٩ وحدّثني أيضاً الأخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد الهمشري. قال بلغني عن الفقيه سيدي عبد الواحد الشيرفي أنه حدث أصحابه فقال لهم كذا خرجنا ونحن نقرئ ثلاثة لزيارة الشيخ عبد الخالق بن ياسين الدغوغى. فلما كنا بعض الطريق قلنا تعالوا فلينذكر كل واحد منكم حاجته التي يريد لها. قال فأما أنا فقلت لهم إني أريد كسي جامع الموسين. وأما الثاني فقال أريد أن أتوئ الحكومة في البلد. وأما الثالث فقال أريد محبة الله تعالى. قال فزنا فأما أنا وصاحبى فقد تولينا ما طلبنا. وأما الآخر فخرج من مقام الشيخ تحرك وفراوه واستقبل البرية فكان ذاك آخر العهد به وقد قضى الله الحاجات كلها
- ٥١٩ وكانت أهلي أيامها بالزاوية البكرية قد تراخت عنها الولادة فدخلتها من ذلك غم عظيم. فأصبحت ذات يوم فأخبرت أنها رأت أنها ذهبت إلى مقام سيدي أبي علي الغنائي. فقالت فوجدهه جالساً وأنا في غاية العطش. فإذا حوله عين يرش منها ماء قليل لا يغنى. فقلت يا سيدي ما هذا؟ جئت إليك عطشى رجاء أن أشرب فأرجع كما جئت؟ قال لا إن الماء ثم أنسني يخرج. فقالت فنبشت بيدي خرج الماء وشربت حتى رويت. وطلبت مني أن نزوره وأن نطعم عنده طعاماً. ففعلنا فؤلاً ولدنا محمد الكبير أصلحه الله وأمتع به.
- ٦١٩ ولما نزلنا بالزاوية المرة الثانية مَقْفَلَا من حضرة مراكش كانت لنا بُيَّنة عجرت عن النهوض وهي في سن من يمشي فظنناها مقعدة. فذهب بها الخدم إليه وزوروها فقامت بالفور على رجلها تمشي. وأمثال هذه الأمور لو تتبّعنا منها ما رأينا وما سمعنا

لملأنا بها الدواوين. نعم رأيت لبعضهم أنَّ الولي إذا مات أقطع تصرفه من الكون. وما يحصل لزائره مثلاً إنما يحصل له على يد قطب الوقت بحسب درجة ذلك الولي. والله تعالى أعلم. اللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِهِ<sup>١</sup>.

وكان أيضًا رحمة الله كثيراً ما ينشدنا لبعضهم: [طويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حَرَةٌ تُدَبِّرُ أَمْرًا نَابَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ

وقوله في البيت حرة يحمل أن يريدها ضد الأمة لأنَّ الحرائر مظنة العقل والتجربة والغباء والكفاية. والظاهر أنَّ المراد أخص من ذلك وهي الكاملة الحرية كما يقال لـكامل الرجلية فلان رجل وذلك أنَّ ليس كلَّ حرة تكفي وتعني بل ربَّ أمة ليبة أقوم من حرة. فالمرأة الصالحة الكيسة الصينة هي التي تراد.

٢٠٢٠ وفي الحديث تنكر المرأة لديها وجمالها ومالها فاظفر بذات الدين. وفي الحديث أيضاً الدنيا كلها متعة وخير متعة الدنيا المرأة الصالحة. وفي الحديث إنَّ المرأة الصالحة بين النساء كالغراب الأعصم بين الغربان. وذلك لعزة من تستكمل المعتبر من الأوصاف أو لعزة الدين فيهنْ فإنهنَّ ناقصات عقل ودين. وروي عن النبي الله داود أنه قال لابنه سليمان عليهما السلام يا بني إنَّ المرأة الصالحة كمثل الثاج على رأس الملك وإنَّ المرأة السوء كالمثلث الشقيل على الشيخ الكبير.

٢٠٢٠ نَ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه النساء ثلثاً. امرأة عاقلة مسلمة عفيفة هينة لينة ودود ولود تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها. وقليلًا ما تجدها. وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك. وأخرى عَلَ قَلْ قَلْ تمثيل وأصله أنَّ الأسير مثلاً يجعل عليه الغل فيقي حتى إذا طال قَلْ أي دخله القمل فياكله القمل في عنقه. ولا يمكنه أن

<sup>١</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

يزيل القمل منه ولا أن ينحرج الفُلَّ من محله ما لم يحصل من أصله فيلق من ذلك  
عذاباً لازماً.

٤٢٠ وكذلك المرأة إذا كانت سيئة الأخلاق أو ذميمة المخلقة أو جمعتها فالرجل يتاذى  
منها أذى عظيماً لازماً ما لم يطلقها. فلمرأة إذا كانت جميلة حسنة الشباب مليحة ألفها  
الطبع وشربتها النفس فكان سيئها حسناً وذنبها مغفوراً. كما قال أبو فراس: [طويل]

يَعْدُ عَلَيَّ الْوَاسِيَاتُ ذُنُوبَهُ وَمِنْ أَيْنَ إِلَوْجَهُ الْمَلِيجُ ذُنُوبُ

ولا بد مع ذلك من كفاية بيتها. فإذا جمعت الحسن والدين والكفاية فهي الحرة  
المعدودة والضالة المنشودة. وفي أمر النساء كلام يكثر لا يفي به إلا تصنيف مستقل  
وهذا القدر يكفي في هذا محل.

٥٢٠ وكان يقول كثيراً لا توأكل من لا يواكل ولا تجالس من لا يجانس. وكان يقول في  
حديثه بما سمع من لقي إن الولي الصالح سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار  
المعروف باليتاء كان يقول لأصحابه وهم سيدي سعيد بن عبد المنعم المناني الحاجي  
 وسيدي علي بن إبراهيم البوزيدي تادلاوي وسيدي رحال المعروف بالكوش سعيد  
فقيهمك وعلي عابدكم ورحال مجدوبكم والغزواني سلطانكم نفعنا الله بجمعهم آمين.

٦٢٠ وسمعته يحدث عن والده سيدي محمد بن أبي بكرأن شيخه سيدي محمد ابن أبي  
القاسم المعروف بالشريقي التادلاوي كان وقع بينه وبين ولده سيدي الغزواني كلام  
وعتاب إلى أن قال الولد أنت ترزقي؟ فقال الشيخ نعم أنا أرزقك فأعظم الناس هذا  
الكلام. قال فقتل الوالد لا شيء في هذا فإن الشيخ هو القطب في الوقت والقطب  
تجري الأرزاق على يده فصح بهذه الإضافة أن يكون رارقاً. لله الأمر من قبل  
ومن بعد.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

١٠٢١ وحدث عنه أيضاً قال قدمت على الوالي الصالح سيدي عبد الله بن حسون دفين سلا. فقعدت إلى جنبه وقد مد رجليه والأعراب يتلقون عليه يقبلون يديه ورجليه. قال فخطر بالي أنه كيف أطلق هذا الرجل نفسه للناس هكذا؟ فلم يتم لخاطر إلا وقد قال أيها الناس رجل قيل له من مس لمحك لم تمسه النار أو لم تأكله النار أو نحو هذا فيدخل بهم على المسلمين؟

٢٠٢١ قال فلما سمعت كلامه وعلمت أنه على خاطري تكلمت إلى الله تعالى في نفسي. فعلت إذا مد إليه أحد كاغد وكان يكتب الحروز تلتفت منه يده وناولته الشيخ وقبلت يده فإذا كتبه أخذته منه وقبلت يده فيحصل لي في كل حز تقيلتان. قال ورأيت عنده أموراً أشككت علي منها أنه يؤتي بالثياب هدية وصدقه فيامر بها فترمى في بيت وتبقي كذلك يأكلها السوس. ومنها أنه كل يوم يصبح عليه أهل الآلات فيضربون عليه.

٣٠٢١ قلت أما الثياب فالذى يظهر فى أمرها أنه إما غيبة حصلت للشيخ عنها وليس ذلك يستنكر في أمثاله من المستهرين في ذكره. وإما خارج مخرج القلسنة التي رمى بها الإمام الشبلي في النار ومائة الدينار التي رمى بها في دجلة. وتأويل ذلك معروف عند أهل الطريق لا نطيل به. وأما أمر الآلات فاما أنه كان يستفيد من تلك الأصوات أسراراً ومعانى.

٤٠٢١ ونظيره ما حكى الإمام أبو بكر بن العربي في سراج المريدين عن الشيخ أبي الفضل الجوهري أنه بات بجواره ذات ليلة أصحاب الآلات. فشغلوه عن ورده بما هم عليه من لهوهم وباطلهم فلما أصبح وجلس في مجلسه قال إنه بات بجوارنا البارحة قوم ملؤوا مسامعنا علماً وحكمة. قال أولئهم لي لي لي. فقال الآخر لي ولك لي ولك. فقال الآخر كذا. ومثل ذلك بمتناظرين يجعل يقر بذلك حتى قضى المجلس كله بأنواع من الحكم واللطائف والأسرار.

٦٠٢١ وهذا من أعجب ما يخفف الله به أولياءه فقد غيَّرَ الله عن صورتها الباطلة وأشهده سره الباطن فيها. [متقارب]

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

٧.٢١ وإنما أن ذلك يوافق حالة له جمالية تحضر في الوقت. ومن هذا المنبع يقع الطرف وما يشهد من حالات أهل الوجد. وإنما أنه يكون قطعاً فتناسبه النوبة الملوكة. [طويل]

وَقُلْ لِمَلُوكِ الْأَرْضِ تَجْهَدُ جُهْدَهَا فَذَا الْمَلْكُ مُلْكٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُهَدَى

للله الأمر من قبل ومن بعد<sup>١</sup>

٨.٢١ ونحو هذا ما يحكى عن سيدى محمد الشرقي التادلاوي. وأنه لما وقع له الظهور بعث إليه السلطان أحمد المنصور نفرًا من خواصه يختبرون أمره. فأمض كل واحد منهم حاجة. فأحدهم قال تركت جارية لي مريضة وأريد أن يخبرني بأمرها. وقال الآخر أشتفي خبراً خالصاً ولداعة وذلك في غير مكان وغير إبان. فلما انتهوا إليه خرج إليهم في لباس رفيع. فقال بعضهم هذا لباس الملك كيف يكون هذا ولیاً؟ فلما استقر المجلس بهم قال للمتكلم أنا قطب وقتي وهذا هو اللباس اللائق بي أو نحو هذا. وأخبر الآخر عن جاريته وأنها عوفيت. وكان رجل قد خبأ له دلاعة من الصيف فأتاه بها ذلك اليوم واستحضر خبراً على الوصف. فقال للمتشفي تطلب ما لا يكون فيها هوذا قد جاء الله به.

٩.٢١ وحدث أيضاً أن بعض الناس من كان مملقاً دوام حياته ذهب إلى سيدى محمد الشرقي المذكور فاشترى إليه الفقر. فقال له اذهب فقد رفع الله عنك الفقر. قال فذكر ذلك للوالد رحمة الله يعني سيدى محمد بن أبي بكر. فقال كلام الشيخ لا مطعن فيه ولكن يا عجباً أين يذهب الفرعون فلان؟ فهذا لا بد له من مخرج. قال فلم يلبث ذلك الرجل أن مات عاجلاً فكان ذلك هو ارتقاء الفقر عنه واستراحته منه.

<sup>١</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

قلت: ومن معنى هذه ما حدثوا عن بعض الصالحة مراكش القراء العهد أنه جاءه  
إنسان فقال له يا سيدي إن الصلاة تقل على فعلى أن ترفعها عني. فقال له على الفور  
قم قدر رفعها الله عنك فلم يقم إلا بمحوناً خارجاً عن التكليف والله على كل شيء قادر.  
وقد شهدت أنا بعض الناس متى كان ذا رياضة ودنيا فشكب وذهب ماله كتب  
معي كتاباً إلى أستاذنا الإمام ابن ناصر رضي الله عنه يشكوك عليه بما نابه وما تخوف  
من العيلة والضياعة. فأجابه الأستاذ بكتاب وفيه فلا تخشي الفقر فاتفق أن مات ذلك  
الرجل عن قريب فكان ذلك راحته مما خاف. الله الأمر من قبل ومن بعد.

١٠٢٢ حدثني الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن المرابط الدلائلي. قال كنت مع والدي  
رحمه الله وأظنه قال في درب المجاز نزولاً فإذا بجوز أغربية مررت بها وقد رفت  
عقيرتها وهي تقول: [كامل]

حجَّ الْجَحِيجَ وَنَاقِيٍّ مَعْكُولَةٌ<sup>١</sup> يَا رَبَّ يَا مَوْلَايَ حُلَّ عِكَالَهَا<sup>٢</sup>

بقاف معقودة على ما هو لغة العرب اليوم. قال فقام أبي يهروول وراءها عجبًا بما سمع  
من كلام العرب في غير زمانه. والظاهر أنها أرادت بالناقة نفسها وأنها لم تنشرح لهذا  
الأمر. أو أرادت تمثيل حالها في عدم التحرك بحال الناقة المعقولة أو حال من ناقة معقولة.  
ومثل هذه اللغة ما حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري.  
قال حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام  
قال: [مخلع البسيط]

إِنْ گِيلَ رُرْثِمِ بِمَا رَجَعْمُ<sup>٣</sup> يَا أَكْمَ الرُّسُلِ مَا نَكْلُولُ<sup>٤</sup>؟

بالقاف المعقودة. فسمع من الروضة بتلك اللغة:

<sup>١</sup> ط: معقولة. <sup>٢</sup> ط: عقالها. <sup>٣</sup> م: (ب) زيادة. <sup>٤</sup> ط: نقول.

كُلُّوا رَجَعْنَا بِكُلِّ خَيْرٍ وَاجْتَمَعَ الْفَرَغُ وَالْأَصْوَلُ

للله الأم من قبل ومن بعد.

١٠٢٣ وجدت في بعض التقييد لبعضهم ما معناه لو رأى أرسطو قدر البُرْئُس في اللباس والكسكسون في الطعام والحقن بالموسي لاعترف للبربر بحكمة التدبير الديني وأن لهم قصَبَ السبق في ذلك. انتهى . وقد كتب الكسكسون بالنون على ما وجدته مكتوبًا خلاف ما يطبق به الناس . وبالنون حدثنا الرئيس الأجل أبو عبد الله محمد الحاج المتقدم الذكر . قال ذهب رجالن فاضلان من بلاد المغرب وأظنه قال أخوان . فدخلان بلاد الشام فرض أحدهما وطال به المرض حتى يسوا منه فرأى الآخر النبي صلَّى الله عليه وسلم . فقال له أطعموه الكسكسون بهذه العبارة . قال فاستصنعوا له فأكله فبرئ وهذا إنما خصوصية لهذا الطعام أو بذلك صلَّى الله عليه وسلم فيثبت له الشرف . ويستدرك بذلك ما فاته من كونه لم يأكله صلَّى الله عليه وسلم في حياته وإنما من باب ما تقرر من أن دواء الجسم عادته .

٢٠٢٤ وقد دخلنا مدينة فاس حرسها الله عام تسعة وسبعين ألف فأصابني إسهال مفرط وطال بي . وكان الطبيب يعني بأمرى فلم يترك دواء يستحسن إلا صنعه لي فلما لم يفدى ذلك أرسل في عيَّة ميَّ إلى عمالي يقول لهم انظروا إن كان ثمَّ من الطعام ما يعتاده في بلده فأطعموه . فذكروا الأقطَّ واصطنعوا عليه طعاماً فأكلته فعافاني الله تعالى . وقد أصابني مرة أخرى ذلك فدخلت على السلطان رشيد ابن الشريف وكان يكرمني وبجلبني . فرأى تغيراً في وجهي فسألني فأخبرته . فقال وماذا صنعت من علاج؟ فقلت له إنَّ الطبيب يصنع لي شراب الريحان . فتضاحك ثمَّ قال سجان الله! ما لنا ولشرب الريحان؟ وأين عهدهناه؟ خذ سوق الشعير واخليبه بالماء فذلك دواوه . ثمَّ ضحك . فقال هذه مثل قصة العمري الشريف بات في ملوية عندبني فلان فعل

١ ط: قولوا.

يقول أعندهكم شيء من شراب رمانتين؟ وهذا يعني التداوي بالشيء المعتمد ولو في الأعراق أمر شهير واضح.

وقد ذكره ابن الحاج رضي الله عنه في المدخل وذكر قصة الملك النصري الذي مرض فأعيا الأطباء علاجه حتى جاء بعض أهل الخبرة. فسأل أمه وقال إن أردت أن يعاي ابنك فاصدقني عنه. فقالت نعم كان أبوه عقيماً فلما خفت ذهاب ملتهم مكتأ أعياً كان عندنا من تفسي فهو أبو الملك. فقال الرجل على الفور علي بمحوار بجيء به وذبح وشوي قدامه وهو يشم رائحته. فكان ذلك بإذن الله تعالى سبب برئه. وهذا من العجب فإن هذا الملك الظاهر أنه ما أكل قط لم الجل وإنما العروق نزعته. فكيف بن اعتاد أكل الطعام وربما عليه جسمه.

ومن أظرف ما وقع في هذا ما حديثي به الطيب المذكور وهو الفاضل أبو عبد الله محمد الدرار الفاسي. قال كت دخلت طنجة بقصد ملاقاة الأطباء ورؤبة الشخص الذي صوروه تعلم التشريح معاينةً. قال فكان بعض أطباء الروم هنالك يحب من أكلنا الكسكسون المذكور ويضحك منا ويقول إنما تأكلون العجين في بطونكم. قال فيما نحن كذلك إذ دخلت عليه يوماً فوجدهه عند رأس مريض محبوم شديد الحمى وهو يسقيه الخمر. قال فقلت له ما هذا الذي تصنع أنت؟ وأي مناسبة بين الخمر والحمى والكل في غاية الحرارة؟ فقال إنها لن تضره لاعتياده لها فإنه كان يرضعها من ثدي أمه وهو طفل صغير. قال فقلت له سبحان الله! ونحن هكذا كما نرضع ما شئمنا الكسكسون من ثدي أمهاتنا ونحن صغاري فائي شيء يضرنا؟ فقال صدقت ولم يجد ما يقول. ومن هذا المعنى اختلفت طبائع الناس في الطعام باختلاف الإلfs والعادة فكل يسمى ما يألفه من الطعام ويشهيه ويعاف الآخر. قال صلى الله عليه وسلم في الصبّ إنه ليس بأرض قومي فتجدني أعاشه. فعل ذلك بكونه ليس في أرضه.

ودخلت في أعوام السبعين وألف مدينة مراكش عند رحلتي في طلب العلم وأنا إذ ذاك صغير السن. فخرجت يوماً إلى الرحبة أنظر إلى المذاهين. فوفقت على رجل

مسنٌ عليه حلقة عظيمة فإذا هو مشتغل بحكاية الأمور المضحكة للناس. فكان أول ما قرع سمعي منه أن قال أجمع الفاسي والمراكشي والعربى والبربى والدرابى. فقالوا تعالوا فليذكّر كلّ مثاً ما يشتهي من الطعام ثم ذكر ما تمناه كلّ واحد بلغة بلده وما يناسب بلده ولا أدرى كان ذلك في الوجود أم شيءٍ قدره وهو كذلك يكون.

٦٠٢٣ وحاصله أنَّ الفاسي تمنَّى مرق المام ولا يغى الزحام والمراكشي تمنَّى الخالص واللم الغني والعربي تمنَّى البروكش بالحليب والزبد والبربى تمنَّى عصيدة الني وهو صنف من الذرة بالزيت والدرابى تمنَّى تمُّر الفقوس في تجدرت وهو موضع بدرعة يكون فيه تمُّر فاخر مع حيرة أمّه زهاء. وحاصله تمُّر جيد وحريرة. ولو عُرضت هذه الحريرة على العربي لم يشربها إلا من فاقه إذ لا يعتادها مع الاختيار ولو عُرضت العصيدة على الفاسي لارتعت فرائصه من رؤيتها وهكذا.

٧٠٢٣ وأغرب شيءٍ وقع في أمر الاعتياد ما حكي في جارية الملك الهندي مع الإسكندر. فإنَّ الإسكندر لما دَوَّخ الملوك واستولى على الأقاليم احتال بعض ملوك الهند في هلاكه وكانت عنده جارية بدبعة الحسن كاملة الأوصاف فجعل يغذيها بالسموم ويتناظف لها حتى اعتادت ذلك ثم تناهت إلى أنْ تطبعت بذلك وصارت مسمومة. فأهداها للإسكندر وقصد بذلك أن يمسها فيهمك وهذا غريب. وقد ذكر الأطباء هذه الحكاية فاستغربوا شأنها. وقد ذكرنا في اختلاف البلدان مع اختلاف طبائع الناس بها فيما مرَّ ما يقرب من هذا المعنى ويرثمه. الله الأمر من قبل ومن بعد.

١٠٢٤ من كلامهم ما أدرى أسلَمَ أو ودع. وهو مذكور في قصر الزيارة. ونحوه قولهم ما سلم حتى ودع. وقال فيه الشاعر: [رمل]

يَأَيِّ مَنْ رَازَنِي مُكَتَّبَا خَائِفًا مِنْ كُلِّ حِسْنٍ جَرِعا  
حَذِرَا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْنِي اللَّيْلَ بَدْرًا طَلَعَا

رَصَدَ الْخُلُوَّةَ حَتَّىٰ أَنْكَثَ  
وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّىٰ هَجَعَا  
كَابَدَ الْأَهْوَالِ فِي رَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّىٰ وَدَعَا

وقال العباس بن الأحنف: [خفيف]

٢٠٢٤

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ؟ فَقَرَنَا وَدَاعَهُمْ بِالسُّؤَالِ  
مَا أَنَّا خُواحَىٰ حَتَّىٰ أَرْتَكْنَا فَانْتَ رُقُّ بَيْنَ السُّرُولِ وَالثَّرَكَالِ

وقال محمد بن أمية الكاتب: [خفيف]

٣٠٢٤

وَاتَّفَاقًا جَرَىٰ بِفَيْرِ اَنْقَاقِ  
رُمَتَ الْعِيسُ مِنْهُمْ لِانْطِلاقِ  
لَيْسَ نَفْسِي بِالشَّكَارِ إِذَا نَّتَ فِيهَا  
كَيْفَ وَجْدِي بِكُمْ وَكَيْفَ أَحْتَرَاقِ  
يَا فِرَاقًا أَتَ بِمُقْبِبِ فِرَاقِ  
حِينَ حَطَّتِ رِكَابُهُمْ لِتَلَاقِ  
إِنَّ نَفْسِي بِالشَّكَارِ إِذَا نَّتَ فِيهَا  
أَشْهَدِي أَنَّ تَرَى فُؤَادِي فَقَدْرِي

٤٠٢٤

وقال الحسين بن الصحاك: [رملي]

يَا يَيِّي زَوْرُ تَلَفَّتُ لَهُ  
فَتَفَسَّتُ عَلَيْهِ الْصُّعَدَا  
إِذْ تَقْطَعُتُ عَلَيْهِ مَكَدا

٥٠٢٤

وَكَتْ خَرْجَتْ ذَاتْ مَرَّةٍ لِزِيَارَةِ أَقْارِبِي فَلَقِيتْ أَخْتَأِي. فِي نَفْسِي مَا سَلَّمَتْ عَلَيْ  
جَعَلَتْ تَبَكِي. فَقَلَتْ لَهَا مَا يِسِيكِي؟ أَلَيْسَ هَذَا وَقْتُ سَرُورِ وَفْح؟ فَقَالَتْ ذَكْرِتْ يَوْمَ  
فَرَاقِكِ. فَقَلَتْ فِي ذَلِكَ: [طَوْيل]

عَلَيْنَا وَشَوْقٌ بِالْجَوَاحِ لَدَاعُ  
وَمَا تَحْتَ جَنْبِيهَا مِنْ الْفَرْشِ لَدَاعُ  
إِلَى أَنْ تَسْخَنَ الدَّهْرُ بِالْوَصْلِ بَيْتَنَا  
وَلَاحَ ضِيَاءُ الْمَسَرَّاتِ بَرَاعُ  
وَمَحْزُونَةٌ بِالْبَيْنِ طَالَ بِهَا الْجَوَاحِي

فَلَمَّا أَنْقَضَى التَّسْلِيمُ مَا بَيْتَنَا بَكْثَرٌ  
 وَفَاضَ لَهَا دَمْعٌ مِّنَ الْعَيْنِ نَشَاعُ  
 فَقُلْتُ أَمَّا يَانِ السُّرُورُ وَلَمْ يَدْرِ  
 شَرَابُ الْقَيْانِ الْأَحَبَاءُ سَوَاعُ  
 فَقَالَتْ تَذَرَّكُ الْفِرَاقَ غَدَّاً فَذَاهَ  
 لِقَلْبِي عَنْ تِلْكَ الْمَسَرَّاتِ صَدَاعُ  
 فَيَا لَكَ مِنْ حُزْنٍ يُبَارِي مَسَرَّةَ  
 بِسَهْمَيْنِ كُلُّ فِي الْمَنَاضِلِ بَلَاغُ  
 وَيَا لَكَ مِنْ نُعْمَى يُؤْسِي مَشْوَبةَ  
 كَمَا شَابَ حَمْضًا<sup>١</sup> بِالْدَمِ الْمُوْرِ نَسَاعُ  
 بَلْ آشَرَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ صَائِلُ  
 لَجُوحُ عَلَيْهِ الْدَّهْرُ وَالْخَيْرُ رَوَاعُ  
 كَمَا آتَحُّ مِنْهُ لِلْأَبَاطِيلِ دَامَعُ  
 عَلَى أَنْ لُظْفَ اللَّهِ لِلْعُسْرِ دَامَعُ

٦٢٤ واعلم أنَّ أمور الدنيا مشوبة خيراًها بشرها وحلوها بمرها ثمَّ هي متبدلة متغيرة لا تقاد ثبات في حدود لا تقف على مرکز. وحكمة ذلك شيطان أحدهما أنَّ الدنيا لما جعلت مقدمة للآخرة يقع فيها الاستعداد لدخول الجنة والنجاة من النار. جعلت مظهراً لما هناك من نعيم وعداب ودالة عليه ومذكرة له وقاية بالترغيب والتنفير. فلم يجعل خيراً حمضاً وإلا نسي العذاب ولا شرّاً حمضاً وإلا نسي النعيم. وأيضاً جعلت دالة على أوصاف الرب المنشئ لها سجانه من جمال وجلال لتحصل المعرفة لعباده.

٧٢٤ وهذا كله كلام واسع الذي لم يسعه الإسطنان والإشارة تكفي. الثاني أنها حادثة حادث ما فيها. و شأن الحادث أن يتبدل من عدم إلى وجود ومن وجود إلى عدم ذاتاً وصفة حالاً ومكاناً وزماناً فلزم من ذلك التحول من عز إلى ذلة ومن عنة إلى فقر ومن اجتماع إلى افتراق ومن ارتفاع إلى اتساع ومن سرور إلى حزن ومن صحة إلى سقم. وبالعكس في الجميع إلى غير ذلك.

٨٢٤ وفي الحديث كانت العصباء وهي ناقة للنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معروفة لا تُسبق. فباءً أعربت على قعودٍ فسبقها فقالوا سُبْقت العصباء. وشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَرْفَعْ شَيْئًا مِّنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ . وقد جاء رجل إلى بعض الوزراء فقال له إني رأيتك فيما يرى النائم طالعاً على رأس نخلة أو شجرة.

١: حمضاً شاب.

ورأيت فلاناً يعني وزيراً آخر كان يساميه في المرتبة أنه شرع في الطلوع ولم يصل بعد إلى أعلىها وأراد بذلك أن يبشر الوزير ليس بخيده. فقال له الوزير وكان ذا فطنة يا أخي اذهب إلى فلان ليعطيك فإنه في الزيادة وأمّا أنا فقد انتهيت وليس بعده إلّا الانحطاط.

وقد أذكرني هذه الحكاية حكاية أبي عبد الله وزير المهدى وكان متوكلاً في منزلته ٩٠٢٤ عنده. ثم إن الخليفة زاره في داره ذات مرّة وكانت زيارة الخليفة لخواصه في عرفهم ليس فوقها درجة تطلب. فلما هم بالانصراف أخذ الوزير يدفع له من نفائس الذخائر ما يليق بتجهيزه ثم جعل يبكي. فقال الخليفة ما يبكيك؟ لقد علمت أن فيك بخلأً تسميه حرزاً. فإن كان بك ما أعطيت أعنيناك منه. فقال أبو عبد الله والله ما بكت للمال وللدنيا كلها أحقر شيء في حشك ولكن علمت أن زيارتك لي درجة ليس فوقها درجة تُرام فأخاف الآن من السقوط. فلما رأى ذلك أشفع وأعطاه من العهود والمواثيق أن لا يغدر به ولا يسمع فيه قول قائل ما اطمأن به. فلم يلبث إلا أيامًا يسيرة حتى سعوا فيه فتكب وقصته مشهورة. والعامّة يقولون: [رجز]

### ثلاثة ليس لها أمانُ الْبَرُّ وَالسُّلْطَانُ وَازْمَانُ

وفي هذا المعنى الذي نحن فيه قيل: [طويل]

**تُوقِيَ الْبُدُورُ التَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَهُ وَيُذْرِكُهَا التَّقْصَانُ وَهِيَ كَوَافِلُ**

إذا كانت الدنيا وما فيها عرضًا زائفًا لا ثبات له فلا ينبغي لعاقل أن يتبع بغيرها ولا أن يجتمع من شرها. بل إذا كان حلوها يتوقع بعد المرارة ومرها يرجى بعده الحلاوة فقد صار حلوها مرًا ومرها حلوًا. وإذا كان المفروج به لا يبقى فهو بصدق أن يكون محرزاً عليه قل أو كثر فكثرة الفرح بها إذن مقدمة كثرة المحن فلا ينبغي أن يلتفت إليه.

وقال الشاعر: [طويل]

١١٠٤٤

عَلَى قَدْرِ مَا أُولَمْتَ بِالشَّيْءِ حُزْنُهُ وَيَصْبُرُ نَرْجُو السَّهْمِ مَهْمَا تَمَكَّنَ

وقال الآخر: [طويل]

١٢٠٤٤

وَمَنْ سَرَهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوءُهُ فَلَا يَخْذُلْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقَدَا  
فَإِنَّ صَلَاحَ الْمَرْءِ يَرْجِعُ كُلُّهُ فَسَادًا إِذَا إِلَيْهِ احْتَدَأَ

١٣٠٤٤ وفي الحكم العطائية ليقلَّ ما تفرح به يقلَّ ما تخزن عليه وذكر شارحها ابن عباد رضي الله عنه أنه حُمل بعض الملوك قدحٌ من فيروزج مرصع بالجواهر لم يُرَ له نظير ففرح الملك به فرحاً شديداً. فقال بعض الحكاء عنده كيف ترى هذا؟ فقال أراه مصيبة وفقرًا. قال وكيف ذلك؟ قال إن انكسرت مصيبة لا جبر لها وإن سُرق صرت فقيرًا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يُحمل إليك في أمن من المصيبة والفقير. فاتتفق أن انكسر القدر يوماً فُطممت مصيبة الملك فيه. وقال صدق الحكم ليته لم يُحمل إلينا.

وقال الشاعر: [طويل]

١٤٠٤٤

وَمَنْ يَحْمِدِ الدُّنْيَا لِشَيْءٍ يَسُرُهُ فَسَوْفَ لَعْمَرِي عَنْ قَرِيبٍ يَلُومُهَا  
إِذَا أَدَبَرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيرًا هُمُومُهَا

١٥٠٤٤ وفي الحكم أيضاً إن أردت أن لا تُعرِل فلا تتوَلَ ولاية لا تدوم لك. وهذا صادق في الولاية نفسها ولذا قال صلي الله عليه وسلم فيها نعمت المرضعة ونسَت الفاطمة. وفي غيرها من كل ما يتناول الإنسان من الدنيا زائدًا على قدر الضرورة أو يصحبه من أهلها فكل ذلك لا يخلو من علاقة بالنفس ثم هو لا يدوم إما أن تفارقه أو يفارقك فما له إلى الحسرة والأسف.

وكتب في سفرتي إلى السوس الأقصى لقيني فقير من شبانة فصحبني أيامًا قلائل ١٦٠٤ وأنس بي. فلما باغنا المحل وذعنته فرأيته ي يكن على فراقه وسمعته يقول لا تعرف أحداً. ويكرر هذا الكلام أي إذا كنت إليها العاقل تعلم أن الذي دخل في قلبك سوف تفارقه فيتلهم قلبك عليه فلا تسع فيدخول أحد فيه بعرفتك له ولا تعرف أحداً واترك قلبك خالياً مستيرّاً [متقارب]

### رأى الأمر يُفضي إلى آخرٍ فصَرَّ آخرَ أولاً

وهذا كله من واد واحد والكلام فيه يتسع. نعم إن أمكاك أن تدخل في قلبك من لا يخشى عليه الزوال والهلاك والفناء فافعل وليس ذلك إلا الحق تعالى. فمن أحبه فهو جدير أن يدوم محبوبه ومن أنس به فهو جدير أن يدوم أنهه ومن استعرّ به دام عزّه ومن استغنى به دام غناه. كما قيل: [مجزوء الكامل]

لِيَكُنْ بِرَبِّكَ عِزْزَةٌ سِكَّ يَسْتَقْرُرُ وَيَثْبَتُ  
وَإِنْ أَغْرَرْتَ بِمَنْ يَمْوِي ثُفَانٌ عِرْكَ مَيْتُ

للله الأمر من قبل ومن بعد.

دخلت مدينة فاس حرسها الله تعالى سنة تسعة وسبعين وألف إذ خربت الزاوية الباركيّة. فأقبلت طلبة العلم للأخذ عني وتخلّفت جماعة من المشاهير وهم أو جلّهم محتاجون إلى المجلس وكأنّهم عليهم ما هو المأثور منطبع الآدمي في أمثالهم. وكتب آنس ذلك فيهم.

فاتفق أن خرجنا لزيارة صلاء الساحل فلما انتهينا إلى مقام الشيخ أبي سليمان جلسنا على شاطئ البحر: [خفيف]

فِي عَشِّيْ كَانَ أَخْتَلَسَتْهُ مِنْ نَمِيمِ الْفَرَدَوْسِ نَفْحَةُ لُظْفٍ  
قَدْ قَطَفَنَا بِهِ جَنِيْ جَنِيْ أَذْ  
سِنِ وَعِلْمٌ أَشَهِيْ أَجِيدَابِ وَقَظْفٍ  
وَأَرْتَضَفَنَا اللَّهُ مِنْ كَاسِ وَصَلِّ بَعْدَ هُجْرٍ مِنْ ذِي وِدَادِ وَعَزْفٍ  
وَلَقَدْ كَانَ فِي آخِشَا جُدْوَةُ الْوَجْهِ دِفَكَانَ مِنْهُ لِذِلْكَ مُطْفِ

٣٢٥ فحصل للنفس ارتياح وانبساط وتجدد لها عنم ونشاط فكبت ارتجالاً ما صورته  
حافظه لما انفتح في الفكرة من الشعر . أذكره بحسب ما اتفق غناً وسعيناً وريخيصاً  
وثينناً وجداً وهزاً وصدقاً وازلاً حتى إذا آن لمضروبه التزويج وبلغت بناته أوان  
التزويج . دفع الحالص الإبريز وأحظيت الحسان بالتبيرز . وكان الردي أولى أن يكسر  
أو يعظل والدمية منه أحق أن ثواد أو تعضل . هذا وليت شعري ماذا أكتب اليوم؟  
وقد ضاع أكثر شعري : [طويل]

لِيَالِيَ كَانَ الْقَلْبُ فِي مَوْكِبِ الْهَوَى عَلَى مَثْنَ يَعْبُوبٍ مِنَ الْلَّهُو سَابِقٍ  
وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضْ فَيَنَانُ مُورِقاً فَكَاتَ رِيَاضُ الْعَيْ أَرْهَى الْحَدَائِقُ

٤٢٥ وللنفس إذ ذاك أقدر على القيل والقال وأعرف بالسحر الحال . فكنت إذ ذاك أقول  
الفذ والنفة والقصيدة عن نشاط إلى القول وارتياح . ثم ادع ذلك يذهب مدرج  
الرياح ولم أستفق لقييد إلا وقد كدت أراهاق التقيند . ويقصر من وسوس النفس  
باطله ويرى أفراس الصبا ورواحله . [كامل]

وَالْقَلْبُ يَرْجُو أَنْ تَرِقَ شِفَارُهُ وَتَطُولَ فِي سُبُلِ الْهُدُى أَسْفَارُهُ  
وَيَسِينَ عَنْ شَرَكِ الْعُرُورِ نُواهُهُ وَتَلُوحُ فِي رُتَبِ الْمَلِى أَنَوارُهُ  
فَيَقِلَّ فِي سُوقِ الْصَّبَا أَوْطَارُهُ وَيَشَطَّ عَنْ وَطَنِ الْهَوَى أَقْطَارُهُ

ولعمري إن النفس عند هذا الحق أن يجد في طلب الجد جدّها. ويقف عند الأهم  
٥.٢٥ حذها فتبعد عن قول الشعر براحل وعن سبل اللهو التي هي له أفواس ورواحل.  
ولكن للنفس فطات ولا بد لها أحياناً من سقطات. فمن ذلك قوله: [كامل]

مَا أَنْصَفَتْ فَاسُ وَلَا أَغْلَامُهَا عَلَيِّ وَلَا عَرَفُوا جَلَالَةَ مَنْصِبِي  
لَوْ أَنْصَفُوا الصَّبُوِّ إِلَيْ كَاصِبَا رَاعِي سِنِينَ إِلَى الْغَمَامِ الْصَّبِيبِ

ثم أثبتت في هذه الحافظة ما وقع لي من الشعر في ذلك العهد وهو مجموع في الديوان  
٦.٢٥ فلا حاجة إلى الإطالة به هنا. وإنما الغرض من ذكر هذين البيتين الواقعين على السبب  
الذى ذكرناه قبل. وأظن أن البختى وقع له شبه هذا الشعر في ذم بغداد ولكتى  
لم أقف عليه بعد ولم يطرق سمعي حين قلت ذلك. وإنما رأيت بعد ذلك أبا العلاء  
المعري أشار إلى ذلك منتقداً عليه حيث قال: [سيط]

ذَمَ الْوَلِيدُ وَلَمْ أَذْمُمْ جَوَارِمُكَ وَقَالَ مَا أَنْصَفَتْ بَغْدَادُ حُوشِيشَتَا  
فَإِنْ لَقِيْتُ الْوَلِيدَ وَالثَّوْيَ قَذْفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ أُعْدِمْهُ تَبَكِيَّتَا

فلما رأيت هذا نبهت بهذا الكلام لئلاً أنساب إلى الأخذ فإن وقع شيءٌ من تواافق  
٧.٢٥ المwater. وفي البيت الثاني تأيم إلى قول الأعرابي في حسن الحديث: [كامل]

وَحَدِيشَهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنِينَ تَسَابَعَتْ جَدَبَا  
فَاصَاخَ يَرْجُونَ يَكُونُ حَيَا وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ هَيَا رَبَا

وإنما استشهدت وأستغفر الله التداح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر مسلوك في  
سائر الأعصار والأمسكار. لله الأمر من قبل ومن بعد. <sup>١</sup>

١ سقطت الجملة من ق، ط.

٨٠٢٥ وما ذُكر من عدم الإنفاق سببه الكبر والحسد وهم الداء العضال الذي هلك به إبليس نسأله العافية. وذلك مجون في طينة الآدمي ومبتلي به إلا من طهره الله من أصنفائه وقليل ما هم. ولم ينزل ذو الفضل محسوداً وكلما كثر الفضل كث الحسد فوجود الحسد دليل على وجود الفضل وعدمهم على عدمه فإذا قيل للشخص كث الله حسادك كان دعاء له وإذا قيل قلل الله حسادك كان دعاء عليه. وقد أكثر الشعراء من هذا المعنى قال الكيت الأستدي: [بسط]

إِنْ يَحْسِدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا يِبْغِي وَمَا يِبْغُونَ وَمَكَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا كَمَا يَبْغِدُ أَنَا الَّذِي يَبْغِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدَرًا مِنْهُمَا وَلَا أَرُدُّ

٩٠٢٥ وأشند أبو علي الحاتمي في حلية المحاضرة بدل البيت الأخير:

لَا يُعِدُ اللَّهُ حُسَادِي فِي أَهْمَهُمْ أَشَرُّ عِنْدِي مِنَ الْلَّائِي لَهَا الْوَدُودُ

والظاهر أن قوله أشر تصحيف من الكاتب وإنما هو أحد.

١٠٠٢٥ وقال عروة بن أذينة: [بسط]

لَا يُعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَرَادُهُمْ حَتَّى يَمْتُوا بِدَاءَ غَيْرِ مَكْنُونٍ  
إِنِّي رَأَيْتُهُمْ فِي كُلِّ مَنْزَلَةٍ أَجَلَّ فَقْدًا مِنَ الْلَّائِي أَحَبُّونِي

١١٠٢٥ وقال نصر بن سيار: [بسط]

إِنِّي نَشَاثُ وَحُسَادِي ذُوو عَدَدٍ يَا ذَا الْمَعَارِجِ لَا تُنْقِصْ لَهُ عَدَدًا  
إِنْ يَحْسِدُونِي عَلَى مَا يِبْغِي وَمَا يِبْغُونَ فَمِثْلُ مَا يِبْغِي لَعْنِي جَرَّ لِي أَحْسَدَا

١٢٠٤٥

وقال معن بن زائدة: [بسط]

إِنِّي حَسَدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا عَيْرَ مَحْسُودٍ  
مَا يُحْسَدُ الْمَرءُ إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُحْدِ

١٢٠٤٥

وقال أبو نواس: [طويل]

ذَعِينِي أَكْرَهُ حَاسِدِيَكِ بِرَحْلَةٍ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ أَخْصِيبُ أَمِيرٍ

١٤٠٤٥

وقال الأول: [بسط]

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَمْ قَوْمٌ بِأَوْلَاهُمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا  
مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ كَمْ لَا يُقْنَصُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا لَهُ حِسْدُوا

١٥٠٤٥

وقال أبو تمام: [كامل]

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشَرَ فَضِيلَةً طُوِيتُ أَثَابَ لَهَا إِسْكَانُ حَسُودٍ  
لَوْلَا آشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاءَ وَرَثَ مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَرْفِ الْعُودِ

١٦٠٤٥

واعلم أن هذا الشعر ونحوه يخلي اصحاب الحسد واستحباب وجوده بل كثرته.  
ولم ينزل الناس يكرهونه ويتجنبون منه ويستعيذون من شره. وقال تعالى «وَمَنْ شَرَّ  
حَاسِدٌ إِذَا حَسَدَ» فقد يقف القاصر على هذا فيحار ولا يدرى ما يختار. وفصل  
القضية في ذلك أن وجود الحسد كما مر دليل على وجود الفضل. وذلك لما عرف أن  
الحسد هو حب زوال ما ظهر على الغير من خير إما ديني أو دنيوي حسي أو معنوي  
عاجل أو آجل حتى أو ادعائي. فلزم من وجود الحسد وجود الخير.

١٧٠٤٥

ثم إن الحسد إذا أحب زوال الخير فهو لا محالة يسعى في زواله أو في إلحاق  
مضرة تذهب بها طلاوة ذلك الخير ما لم يتجزه حاجز. وهذه مضرة تتوّقّع من الحسد

فالخاسد خيّث شرَّ مضرَّ. إذا عُلِمَ هذا فلن استحبَ وجود الخاسد فلم يحبه لذاته بل أحبَ ما يقارنه من الخير لا من حيث إنَّه محسود عليه به من حيث كونه خيراً. وإنَّ فِيَوْدَ الإِنْسَانَ أَنْ لَوْ أَعْطَى الْخَيْرَ وَأَعْنَى مِنَ الْحَسَادِ إِنَّ ذَلِكَ أَهْنَا لِعِيشَهْ وَأَرْوَحَ لِقْلَبَهْ وَأَبْعَدَ لَهُ عَنِ الْأَذَى وَالْهَمُولَ.

ولم تجُرْ حِكْمَةُ اللهِ تَعَالَى غَالِبًا بِذَلِكَ إِذْنَمُ الدِّينِ مَشْوِبَةً بِالْقُمْ وَصَفْوَهَا مَشْوِبَ بَكْدَرٍ.  
١٨٠٢٥ فَأَمَامَ كُلَّ عَيْنٍ قَذِي وَعَلَى كُلِّ خَيْرٍ أَذَى. فَلَمَّا مَكَنَ بَدْ مِنْ وَجْهِ الْخَاسِدِ غَالِبًا كَانَ وَجْهُهُ مُبَشِّرًا بِالْخَيْرِ مَعْلَمًا بِالنِّعَمَةِ فَيُفْرِجُ بِوَجْهِهِ لَذَلِكَ لَذَّاتَهُ . وَمَثَالُهُ فِي ذَلِكَ الْذِبَابِ الْوَاقِعِ عَلَى الْطَّعَامِ وَالْفَارِ النَّاقِبِ عَلَى الْمَخْرَنِ فَإِنَّهُمَا دِيلَانٌ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ حِيثِ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُ يَكْتُنُ عَنِ الْبَيْتِ الْخَالِيِّ مِنَ الْخَيْرِ بِأَنَّهُ لَا تَصْطُورُ فِيهِ فَارَةٌ مِنْ أَحَبِّ وَجْهِ الْذِبَابِ وَوَجْهِ الْفَارِ فَلَمْ يَجْبَهُمَا لَذَّاتَهُمَا فَإِنَّهُمَا مَؤْذِيَانِ مَكْرُوهَانِ بَلْ لَمْ يَقْارِنُهُمَا مِنَ الْخَيْرِ . وَلَوْ وَجَدَ الإِنْسَانُ الْخَيْرَ مَعَ السَّلَامَةِ عَنْهُمَا كَانَ هُوَ الْقُمُ الْبَارِدُ<sup>١</sup> لَمْ تجُرْ بِذَلِكَ الْحِكْمَةِ .

وَبِلْغِيَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْجَنْدِ قَدَمُوا مِنْ بَلَادِ السُّودَانِ أَيَّامَ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ الْمُنْصُورِ  
١٩٠٢٥ وَقَاسَوْا فِي تِلْكَ الْفَيَافِيِّ مَا هُوَ الْمَعْهُودُ فِيهَا مِنَ الْعَاءِ وَشَطْفِ الْعِيشِ . فَلَمَّا لَحَقُوا بِقَرْيَةٍ مِنْ قَرَى السُّوسِ الْأَقْصِيِّ خَرَجَ مِنْهَا نَفْرٌ مِنَ الْيَهُودِ . فَخَيْنَ بَصُرُّهُمُ الْجَنْدِيِّ قَالَ مَرْجِبًا بِوَجْهِهِ الْخَيْرِ . فَالْيَهُودُ بَعْضَهُمْ عَنْدَ كُلِّ مَسْلِمٍ وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَبَشَرُ بِهِمُ الْجَنْدِيُّ التَّفَاتًا مِنْهُ إِلَى النِّعَمَةِ الَّتِي تَقَارِنُهُمْ إِذَا زَيَّلُونَ غَالِبًا الْحَاضِرَةَ وَمَحْلَ الْخَصْبِ وَالْفَاهِيَةِ .

وَهَذَا الْخَاسِدُ . وَقَدْ يَكُونُ فِي وَجْهِ الْخَاسِدِ نِعَمَةٌ وَلَذَّةٌ أُخْرَى لِلْمَحْسُودِ إِذَا وَقَيَ شَرَهُ . فَإِنَّهُ يَنْعَمُ هُوَ وَالْخَاسِدُ يَحْتَرِقُ عَلَى عَيْنِيهِ وَهُوَ يَزْدَادُ ظَهُورًا وَشَفَوْفًا فَيُلْتَذَبِّ بِاحْتِرَافِهِ وَإِقْصَارِهِ عَنِهِ وَشَفَوْفَهُ عَلَيْهِ . وَمِنْ كُلِّ الْخَاسِدِ إِنَّمَا كَرِهُ لَذَّاتَهُ إِذَا هُوَ مُغَصِّبٌ بِمَا يَبْدُو مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمَا يُتَوَقَّعُ مِنْ شَرَهٍ وَضَرَرٍ . وَلَا شَكَ أَنَّهُ مَحْذُورٌ وَلَذَا أَمْرٌ بِالْتَّعْوِذِ مِنْهُ بِاللهِ تَعَالَى وَلَا دُوَاءٌ لَهُ إِلَّا هِيَ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى مَا يَرِي وَيَسْمَعُ . وَبِذَلِكَ يَنْعَكِسُ عَلَى الْخَاسِدِ الْبَلَاءُ فَيَمُوتُ غَمًا .

<sup>١</sup> يَكْرُمُ كَلْمَةَ بَارِدَ مَرْتَبَنِ .

قال تعالى ﴿قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْرِ ظُلْمٍ﴾ وقال الشاعر: [مجزوء الكامل]

٢١٠٤٥

إِصْبَرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسْوَ دِفَانَ صَبْرَكَ قَاتَلُهُ  
فَالْتَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ يَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فائدة من ابتي بالحسد لشخص فعلاجه بإذن الله أن يكلف نفسه السعي في زيادة الخير على المحسود ولو بالدعاء له بذلك. فإنه إذ لازم ذلك ولو تكلفا سيثيه الله تعالى من فضله انسال السخينة من قلبه وسلامة الصدر. فإن بقي شيء فليغممه في صدره مع كراحته ولا يُظهره ولا يسع في مقتضاه بقول ولا فعل فذلك غاية ما يطلب منه والله الموفق. لله الأمر من قبل ومن بعد.

١٠٦٦ كت في أعوام السبعين وألف قصدت إلى زيارة شيخنا البركة وقدوتنا في السكون والحركة أبي عبد الله محمد بن ناصر سقى الله ثراه. فترت ببلد سجلها مسة فوجدت فتنة ثارت بين الطلبة فيها في معنى كلمة الإخلاص. فكان بعض الطلبة قرر فيها ما وقع في كلام الشيخ السنوسي من أن المني هو المثل المقدّر. فأنكر عليه بعض من لهم الرياسة في النوازل الفقهية وفصل الأحكام الشرعية وليس لهم نفاذ في العلوم النظرية. وأخذوا ب نحو ما أخذوا به الشيخ الهبطي في مشاجرته المشهورة مع أهل عصره حتى امتحنوه بالبساط. فجعلت أقر لأولئك المنكرين الكلمة بوجه يقرب بين المؤذنين ويصلح بين الخصمين. فلم يفهموا ذلك وسمموا على ما طرق أسماعهم من أن الهبطي أخطأ في هذه المسألة وضل ضلالاً مبيناً. ثم وقعت هذه الفتنة أيضاً بمدينة مرakash عن قريب من هذه بين طلبتها حتى ضلل بعضهم بعضاً. فمن أجل ذلك أفت كتاب مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص كما نبهت على ذلك في خطبته فإنه بحمد الله كافياً في الغرض شافياً للمرض.

١ يزيد ق: وكتب من خطه أكرمه الله ورأيت إلهاقاها هنا: إذا ما شئت إرغام الأعداء / بلا سيف يسل ولا سنان // فزد من مكرماتك فهي أعدى / على الأعداء من نوب الزمان . ٢ سقط من ق.

٢٠٢٦ ثم رجعت في زورة أخرى بعد هذه فررت أيضاً بسجلماسة فوجدت فتنة أبغض من هذه وأشنع وقعت لهؤلاء مع عوام المسلمين ثم مع المسلمين كافة عامة وخاصة. وذلك أنهم نظروا في كلام من حرض من الأئمة على النظر في علم التوحيد وحدّر من الجهل فيه ومن التقليد. فعلوا يسألون الناس عمّا يعتقدون ويكتفون به الجواب والإلإابة عن الصواب فربما عثروا على قاصر العبارة عمّا في قلبه أو متجلّج اللسان لدهش ناله أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة أو يطفئها قادحًا. وإن لم يقدح فيشنعون عليه الجهل والكفر ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس وجعلوا يقررون العقائد للعوام.

٢٠٢٧ فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النطء الذي يقررون فهو كافر. وشاع عندهم أن من لم يعرف معنى لا إله إلا الله أي النبي والإثبات على التقرير الذي يقرره العلماء فهو كافر فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم وهول كبير. فلما دخلت البلد جاءني الناس أفواجاً يشتكون من هذا الأمر وأن ليس كل أحد يبلغ إلى فهم تقارير العلماء. فأقول لهم إن الله تعالى إنما تبعتم باعتقاد الحق في أنفسكم أفلأ شهدون أن الله تعالى حق موجود؟ فيقولون بلى. أفلأ تعلمون أنه واحد في ملكه لا شريك له ولا إله معه وكل معبد سواه باطل. فيقولون بلى هذا كله يقين عندنا لا شك فيه ولا نزاب. فأقول لهم هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده سواء عرفتموه من لفظها أو لا فإن الكلمة عربية والأعجمي لا حظ له في دلالتها وإنما حسبه أن يُترجم له مضمونها فيعتقده. وكذا العقائد كلها المطلوب منكم اعتقادها بالمعنى ولا يشترط فهم الفاظها التي يعبر بها عنها في كتب العلماء ولا إدراك حدودها ورسومها التي تُعرف بها. فإن فهم هذه العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقريرات علم آخر لم يكلّ به العوام. فإذا أجبتهم بذلك انطلقوا مسرورين حامدين شاكرين.

٤٠٢٦ ثم جاءني رئيس هذه الفتنة وسألني عن مسائل في هذا المنحي فأجبته ثم تقدمت إليه بالنصيحة. وقلت له أكثركم الخل وجل الطوائف الضالة إنما خرجت

في هذا العلم. فإن أردت نفع الناس فقرر لهم العقائد بالقدر الذي يبلغون وحدث الناس بما يفهمون كما في الحديث الکريم. ودع عنك هذه الامتحانات والتدقيقات والتثنیعات التي لم تجرب بها سنة أهل الدين في عصر من الأعصار. فإذا هو قد أشرب ذلك وتمكن فيه التظاهر به وإذا تميّز قد تقص عما كنت أعرف منه قبل ذلك. نسأل الله العافية.

فتادى على ذلك وأصفقت عليه العوام حتى سمعوا مقالته فيهم. وجعل يغالي في تقرير العقائد وبيان وجوه المخالفة ونحوها على التفصيل بما لا حاجة إليه حتى يقع في ذكر ما هو سوء الأدب في حقه تعالى وما لا يستطيع كل من في قلبه رائحة من عظمة الله تعالى أن يفوه به.

ويحضر مجلسه أبوابش الأعراب من جراوة ونحوها. فإذا رجعوا إلى قومهم ذهباً بذلك المقالات وجعلوا يلقون على أمثالهم من الرعاع الأسئلة من هذا المخفي. فيقولون لهم أين بات الله؟ وأين يُصبح؟ وأين يظل؟ وأين هو؟ وكيف هو؟ إلى ما هو أبعش من ذلك مما لا أذكيه. وقد نبهت على طرف من هذا المعنى في كتابي المذكور. ثم أشاعوا أن عوام المسلمين لا تؤكل ذبائحهم ولا ينا扣ون مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد.

خدّثني الفقيه المشارك الصالح أبو عبد الله مبارك بن محمد العنبرى الغرقى رحمه الله أَنْ أَعْرِيَأَمِّا مِنْ هُؤُلَاءِ الشِّيَعَةِ جَاءَ مَعَ قَوْمٍ مِّنْ بَلْدَتَوَاتِ فَكَانُوا إِذَا طَبَخُوا زَادَهُمْ وَفِيهِ الْخَلْيَعُ يَمْشُّ مِنَ الْأَكْلِ مَعْهُمْ وَيَقُولُ إِنَّ الْجَرَارَ الَّذِي ذَبَحَ هَذِهِ الْبَهِيمَةَ لَا نَدْرِي أَيْرَفَ التَّوْحِيدَ أَمْ لَا. وَلَا دَخْلَ الْبَلْدِ حِيٌّ بِطَعَامِ عَلَيْهِ لَمْ وَجْمَعَةَ مِنَ الْأَشْرَافِ حَضُورٌ فَدَعَوْهُ لِلْأَكْلِ فَأَمْشَعُ وَقَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الَّذِي ذَبَحَ تَلْكَ الذِيَّحَةَ لَا نَدْرِي أَيْرَفَ التَّوْحِيدَ أَوْ لَا. فَقَالُوا لَهُ مَا ذَبَحُهَا عَبْدٌ إِنَّمَا ذَبَحَهَا الْمُولَى فَلَمْ يَرَوْهُمْ مِّنْهُمْ فَأَمْشَعُ أَيْضًا وَبَاتَ طَاوِيًّا.

ثمَّ لَمْ يَقْفُوا فِي هَذَا بَلْ مَا انتَهَكُوا حَرْمَةَ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِإِنْتَهَاهِ حَرْمَةِ خَاصَّتِهِمْ أَيْضًا. فَتَأْوَلُوا فَقَهَاءَ وَقَهَمْ وَقَعُوا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْدِينِ وَمَنْ هُمْ عَلَى سَنَنِ

للهتدين وضلّوهم إذا لم يضلّوا العامة. فوقع لهم قريبٌ مما وقع للكمليّة من الروافض  
فإنّهم كفروا الصحابة حيث لم يقدّموا علىَّكم الله وجهه ثمَّ كفروا علىَّكم حيث لم ينارُّهم  
في حقّه.

وكان أهل البلد أتبعوني وأنا في الطريق سؤلاً فيما هو من حكم الذبائح ونحوها في  
بطاقة. فأجبتهم بما عُلم من دين الإسلام أنَّ كلَّ من تشهد شهادة الحق فـإنه توكل  
ذريته وتحلَّ منا كثبه ويُدفن في مقابر المسلمين ما لم يظهر منه ما يخالف ظاهره ونحو  
هذا الكلام. فلما بلغ إلى أولئك قالوا سبحان الله! كَانُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ هُوَ  
يقتصر على مثل هذا الكلام ويكتفى به. فلم يقع كلامي منهم موقعاً حيث اقتصرت على  
الحاجة وما هو الحق ولم أقعد إلى ما يشتغلون به من الفضول والضلال.

وكانوا قبل هذه الفتنة تالمذوا لشيخنا الإمام ابن ناصر رضي الله عنه وأخذوا  
عهده. فلما لم يشتغلوا بما اشتغلوا به انكروا عليه حتى وقعوا فيما يوئي به إليه من  
الهدايا والصدقات وفيما يذكره للفقراء من كلام الإمام الشاعلي. فإنه كان يحيى بسنته  
إلى الشاعلي أنه قال من رأى من رأى إلى سبعة ضمنت له الجنة بشرط أن يقول  
كلَّ من رأى أشهد أني رأيتك فيشهد له. فكان الشيخ رضي الله عنه يذكر ذلك على  
طريق الترجية ولئلا يفوت المسلمين ذلك الخير إنْ حقّقه الله تعالى. فقالوا هذا يقع  
الناس في الأمان وفي الإعراض عن قلم التوحيد مع أنه لا ثُوق به فإنَّ أمور المنامات  
لا تنضبط ولا يعول عليها. ثمَّ برأوا من صحبته وكتبوا في ذلك كراسة.

فقيض الله لها الشاب الليب الفاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن السيد الشريف  
الحسني رحمه الله ورحم سلفه. فكلَّم عليها بما نقض أباطيلها عروة عروة. فلما انتهى  
إلى براءتهم من الشيخ كتب عليها ما معناه إنَّ هذه السلسلة المباركة الفاضلة يعني  
سلسلة الشيخ رضي الله عنه هي أمنع جناباً وأطهر ساحة من أنْ يبقَ فيها أمثالكم  
فظهورها الله منكم. وقد اشتعلت فتنهم حتى كادت تخرج إلى الآفاق كلَّها ثمَّ أطفأها  
الله تعالى بفضله. بقاء الطاعون عام تسعين وألف فأجتَّ شجرتهم من فوق الأرض  
فلم يبق لها قرار.

فائدة. أما السلسلة التي أشرنا إليها عن الإمام الشاعلي فإن شيخنا الإمام ابن ناصر رضي الله عنه يحدث بها عن شيخه الفقيه الصالح سيدي علي بن يوسف الدرعي عن شيخه سيدي عبد الرحمن بن محمد من بنى مهرة عن سيدي محمد بن محمد بن ناصر من أهل الرقية عن سيدي عبد الكبير وهو جد سيدي عبد الرحمن المذكور عن القطب الكبير سيدي عبد الرحمن الشاعلي أنه قال رضي الله عنه من رأني إلى سبعة صفت له الجنة. وفي سلسلة كل واحد يقول لصاحبه أشهدك أني رأيتك وقد رأيت والحمد لله الإمام ابن ناصر وأشهده على ذلك. حققه الله لنا وللإخوان آمين. واعلم أن مثل هذا يذكر على طريق الرجاء كما أشرنا إليه. وهو أمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع وذلك أن فضل الله عظيم لا يحد بقياس وأولياء الله تعالى أبواب يخرج منها هذا الفضل ولهم مكانة عند ربهم الكريم المتفضل. فأي شيء يستبعد في أن يعطي بعضهم الشفاعة في قوله أو أكثر أو أن من مسه لم تمسه النار كما في قصة ابن حسون أو أن من رأه دخل الجنة أو أن من رأى من رأى إلى سبعة أو أكثر. هذا كله قريب.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في خبره عن أ oasis القرى رضي الله عنه أنه يشفع في مثل أو عدد ربعة ومضر. وحدثني الثقة أن نفراً من أصحاب ابن مبارك التستاوي دخلوا على سيدي محمد الشرقي فقال لهم أيها الفقراء ما الذي قال ابن مبارك؟ فقالوا له قد قال أهل زمانى محسوبون على أو في ذمي أو نحو ذلك. فقال سيدي محمد الشرقي اشهدوا علينا إنما من أهل زمان ابن مبارك. فانظر إلى هذا الإنصاف وهذا التسليم. فكذا يجب التسليم لمن وقع منه شيء من هذا من أهل الصلاح والدين. ويظن به الخير ويحصل الرجاء. ولا يوجد ذلك أمناً من مكر الله والاستغباء عمّا يجب تعلمه أو العمل به. بل التكليف باق بحاله والخوف والرجاء بحالهما. وقد شاع عند هذه الطائفة الغازية أن الشيخ قد أخذ من الله تعالى عهداً أن لا يسوق إليه إلا المقبول. ولم يوجّب لهم ذلك أماناً ولا غوراً إلا أن يشدّ جاهل

١ ط: يمنع.

فلا التفات إليه. وأما الهدية من الآخر في الله فهي مباحة في الجملة بل هي محسوبة في الفقه من وجوه الحلال فإن عرض عارض في المعطى أو في وجه الإعطاء فالأخذ أعرف بما يأتي وما يذر. ثم أحوال الصوفية في قبول الفتوح مختلفة تبعاً لما اقتضته الواردات والحفظ عن الآفاف. وهي في كل من الأخذ والترك كما قال الأستاذ السري للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهمما أحذر آفة الرذك تحذر آفة الأخذ. وكل من عرف بصحبة العلم والعمل ومتانة الديانة كشيخنا المذكور فأمره موكول إلى دينه ولا سبيل إلى الانتقاد عليه والله الموفق. لله الأمر من قبل ومن بعد.

١٠٢٨     كنت ذات مرة اشتريت رمكة من رجل صحراوي أسود شديد السوداد. ظهر فيها عيب وتعذر إثبات قدمه لترد. فآدى الأمر إلى موتها منه وتلف الثمن. فأقبل رجل من قومي والمشتري منه<sup>١</sup> عندي ونحن نتكلّم في المسألة. فلما بصر بالمشتري منه<sup>٢</sup> قال سجحان الله! كنت أعجب من أين جاء هذا الخسran فإذا أنت تُعامل الغَبَانِ. لم تعلم أنا لا غافل مثل هذا حتى إنما نزجر الكلب الأسود عننا إذا مرّ بنا ثلاثة يقع خطاب<sup>٣</sup> مثنا عليه. فكيف بغيره؟ وجعل يتأسف من خسran الثمن ومن معاملة ذلك الشخص. وجعلت أنا أضحك من عظمة الدنيا في عينيه ومن تحكيمه الأمور العادلة.

٢٠٢٨     وكان قومنا كما قال يفرون من السوداد فلا يلبسون ثوباً أسود ولا يركبون فرساً أدهم وهكذا. واعلم أن هذه الأمور العادلة يضل فيها العامة والقاصرون من الخاصة. أما العامة فإنهم إذا رأوا شيئاً عند شيء نسبوه إلى ذلك الشيء وغفلوا عن الله تعالى ولم يعلموا أن الله تعالى هو الفاعل وحده ولا تأثير لشيء من الكائنات بحال. فوقعوا في الشرك وفاته التوحيد. وأما القاصرون من الخاصة المعقددين لأنفرا المولى تعالى بالفعل وأن لا شريك له فإنهم يبحرون على هذا المعنى وينكرون حكمة الله تعالى في أرضه وسمائه. فإذا قيل لهم إن هذا الشيء يكون عند وجود هذا السبب قالوا هذا لا معول عليه فإن السبب لا تأثير له ووجوده وعدمه سواء. وهذا أيضاً جهل

<sup>١</sup>: البائع وط: المشتري. <sup>٢</sup>: البائع وط: المشتري.

عظيم فإنَّ الله تعالى كأنَّه قادرٌ مريدٌ لا شريك له كذلك هو حكيم يفعلُ أشياءً عند أشياءٍ ويرثبُ أسباباً ومبنيات حكمةً منه تعالى ورفقاً بعباده في تأييس نقوسهم بالأسباب المشهودة.

فإنَّ الإيمان بالغيب وانتظاره عسيرٌ عليها وإبتلاء لهم ليتيَّز من انحرفت له الجحُّ فأبصر الحقَّ ومن حُجَّب بها فتاه في أوديةِ الضلال. نسأل الله تعالى العافية. ألا ترى إلى ما جعلَ تعالى لعامةِ الخلقِ من الشَّبعِ عند الأكل والرَّيْ عن الشَّرب والتَّدفِي عند اللبس والراحة عند الرُّكوب واللذة المخصوصة عند الواقع وهكذا ممَّا لا يحصى. وكل ذلك يجوز من الله تعالى أن يخلقه بلا شيء.

فهل ينكر أحدٌ من العقلاه هذه الحكمة فيقول مثلاً إنَّ الطعام لكونه لا تأثير له وجوده وعدمه سواءً ويستجهل من يأكل ليشبّع وكذا ما جعله الله تعالى من المنفعة في الأدوية والعقاقير وما لها من الخواص وأللهم ذلك الأطباء وأهل التجارب. فهل ينكر أحد ذلك؟ وكذا ما نحن فيه من كل أمر جرت العادة بوجود شيءٍ عنده فلا ينكر بل يعتقد حكمة من الله تعالى مع صحة التوحيد وهو أن لا ينسب إليه أثراً أكثر من أنَّ وجوده سبب لبروز القضاء الأزيَّ عنده لا به. فمن نسب إلى شيء دون الله تعالى تأثيراً في وجود شيء أو عدمه فهو مشرك. ومن انكر الحكمة المودعة في قوالب الكائنات فهو جاهل أعمى البصيرة. ولو لم يكن إلا جموده عن إدراك ما جرت به العادات وأضفت به التجاريات لكان أمراً سهلاً.

ولكته إنكار حكمة المولى سجنه وبدفع تصرُّفه في الكائنات الدال على إحاطة العلم والمشيئة بالصالح والمنافع والمضار وعظمة الملك. فهو ينظر بإحدى العينين دون الأخرى. فتخي حكم التجريب مثلاً بأن يوماً من الأيام لا يسعد بحاجة من سافر فيه أو تزوج أو أخذ في سبب من الأسباب أو أنه يسعد فلان بادر إذا سمعنا ذلك بإنكاره ونقول قد أشرك مع الله تعالى.

بل لا بأس بالاعتراف بذلك واعتباره عادة مع سلامته العقيدة من نسبة التأثير لليوم أو غيره من سائر الكائنات. والناس في نحو هذا ثلاثة. شخص يعتبره أخذًا

وتركًا مع الغفلة عن الله تعالى إنما مع نسبة التأثير إلى السبب وهم المشركون وإنما بلا نسبة ولكن استغرافًا في الركوب إلى الأسباب والالتفات إلى الآغير وهو من الغافلين. وشخص لا يعتبره أصلًا استغرافًا في التوحيد والتوكّل على الله تعالى والفناء عن الأسباب لا إنكاراً للحكمة وهذا لا يأس به. فإذا صحت توكله وتجزده عن الأسباب فذلك سبب لتجاهله بفضل الله تعالى من مقتضيات العادة. حتى إنه لو ألمت الحياة رجله لم تضره. فإنه لما خرق العادة على نفسه بمحسها عن المأمورات وتجزدها عن الرعونات خرق الله تعالى له العادة بإعفائه عن جري العادات وما تقتضيه بإذن الله الأسباب الحادثات. وشخص يعتبر ذلك تأدباً مع الله تعالى في مراعاة الحكمة الجارية مع صحة العقيدة وصحة التوكّل على الله تعالى عند الأسباب لا على الأسباب. وهذا هو الكامل.

وكان صلٰ الله عليه وسلم يتعالج ويستعمل الرُّقى. وقد يكون من ذلك ما هو ٧٠٢٨ خفي يكون اعتباره تعمقًا في الأسباب فيترك وجعل بعض الأئمة من هذا نهيه صلٰ الله عليه وسلم الأئمة عن الكي مع الاعتراف له بأنه سبب من الأسباب. إذا علم هذا كله فكل ما ورد من نصوص الشريعة وأقوال أهل الدين وفعلهم يتزلّ على هذا.

وبما قررنا يُعرف عذر من اعتبر شيئاً من ذلك وعذر من لم يعتبر. وفي الحديث لا ٨٠٢٨ عدو ولا طيرة فالحق عندنا في تأويله أنه إثبات لانفراد المولى جل وعز بكل التأثير وأن لا تأثير لشيء مما يتوجه العرب أنه مؤثر لا في باب العدو ولا في باب الطيرة لا أنه نفي لما جرت العادة بوجوده عند ذلك بإذن الله تعالى. وهذا هو الجمع بين التوحيد والحكمة. وهو جمع بين الحقيقة والشريعة في المعنى.

وقوله صلٰ الله عليه وسلم وفر من المجدوم فرارك من الأسد. وكذلك قوله صلٰ الله عليه وسلم لا يُورَدَ مُرِضٌ على مصحٍ أي ذو الإبل المريضة على ذي الإبل الصحيحة. يحتمل معينين أحدهما أنه سد للذرية بمعنى أنه ترك ذلك مخافة أن يقع شيء بإذن الله فيظن من وقع له أو غيره أنه ناشئ عن ذلك السبب فيقع في الشرك. الثاني أنه إثبات

لما جرت به العادة من حكمة الله تعالى كأقرنا. فيعتبر ذلك شرعاً ولوم يكن إلا تنزهاً عن تغير القلوب وآية الناس.

وفي الحديث أيضاً اطلبو الخير عند حسان الوجه وهو يحمل أموراً. الأول اطلبو ١٠٢٨  
الخير عند الناس الحسان الوجه فإن الخير مقون بهم وهذا من نمط ما نحن فيه.  
الثاني اطلبو الخير منهم فإنه يصدر عنهم الخير بإذن الله تعالى. إذ حسن الخلق  
عنوان حُسْنَ الْخُلُقِ كَا تَقَرَّرَ فِي الْفِرَاسَةِ الْحَكِيمَةِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ. الثالث اطلبو  
الخير عندهم ومنهم فإن النفس تبسط إليهم وتعتم برؤيتهم. وفي الحكمة اعتمد  
بحاجتك إلى الصباح الوجه فإن حُسْنَ الصُّورَةِ أَوْلَ نُعْمَةٍ تلقاك من الرجل. الرابع  
اطلبو الخير أي الرزق عند الوجه المستحسنة شرعاً كالبيع والتجارة والقراض والهبة  
والصدقة وسائر الوجه الخليقة دون السرقة والغصب والخيانة ونحو ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول إذا أبردتم إلى بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن  
الاسم. وهو أيضاً يحمل أنه مجرد النظر أو لرائد على ذلك. ولهذا بعث الله الأنبياء  
ولا سيما نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة. ١١٠٢٨

وفي ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يتجنب أهل العاهات والناقصين  
خلقة. وكان يقول احذروا الأعور والأحول والأعج والأحدب والأشقر والكوسج  
وكل من به عاهة في بدنـه فإنـ فيه التـوى ومعـاشـته عـسـيرـةـ. ومن غـيرـ ما وـقـعـ لهـ فيـ  
ذلكـ أمرـانـ الأولـ آتـهـ حـكـيـ آتـهـ بـعـثـ رـجـلـاـ مـنـ أـصـحـابـهـ ذاتـ مـرـةـ ليـشـتـريـ لهـ نوعـاـ مـنـ  
العنـبـ مـعـروـفاـ. قالـ الرـجـلـ فـذـهـبـتـ فـمـ أـجـدـهـ إـلـاـ عـنـدـ رـجـلـ مـنـ هـذـاـ جـنـسـ إـمـاـ أـشـقـرـ  
أـوـ أـزـرـقـ. قالـ فـأـتـيـتـهـ بـهـ فـلـمـ طـرـحـ الطـبـقـ بـيـنـ يـدـيـهـ إـلـيـهـ إـلـيـهـ عـنـهـ. قالـ أـيـنـ وـجـدـتـ هـذـاـ؟  
قلـتـ عـنـدـ فـلـانـ وـكـانـ يـعـرـفـهـ. فقالـ ارـدـ إـلـيـهـ عـنـهـ. قالـ فـقـتـ يـاـ أـبـاـ عـبـدـ اللهـ إـنـ لمـ تـرـدـ  
أـنـ تـأـكـلـهـ أـكـلـهـ غـيرـكـ. فقالـ مـاـ أـحـبـ أـنـ تـمـ المعـاملـةـ بـيـتـاـ وـبـيـهـ.

فـانـظـرـ فـهـذـاـ وـلـاـ تـظـنـ أـنـ إـلـامـ بـهـ حـبـ الشـنـ يـسـرـدـهـ وـلـاـ يـتـصـدـقـ بـالـعنـبـ.  
كـلـاـ إـنـ جـودـهـ قـدـ طـبـقـ الـآـفـاقـ وـهـوـ الـذـيـ وـضـعـ بـيـنـ يـدـيـهـ عـشـرـةـ آـلـافـ خـارـجـ مـكـةـ.  
فـكـلـ مـنـ سـلـمـ عـلـيـهـ يـعـطـيـهـ حـتـىـ لـمـ يـقـمـ إـلـاـ وـقـدـ فـرـغـتـ. إـنـمـاـ الـحـاـمـلـ لـهـ عـلـىـ مـاـ قـالـ إـلـاـ تـمـ

المعاملة بينه وبينه . والظاهر من القصة أن الرجل المبعوث قد اشتري العنبر شراءً بـ١٥٠٢٨ وهو العادة في مثل ذلك . ففسخ العقدة إن لم يكن فضلاً من البائع . إنما هو أن يدعي أنه من مثل ذلك الشخص غريب وهذا نهاية هذا الأمر وليس بمحب . فقد حكي عن بعض القضاة من السلف أنه رد فرساً على باعه بشيئه قد عيت فيه .

الثاني أنه حكي عنه أنه كان في بعض أسفاره مرّ برجل من هذا الجنس فقام الرجل إليه ورحب به ترحيباً بالغاً واستدعاه للنزول والتضييف بغية الاستخاثات . فنزل رضي الله عنه فبالغ الرجل في ضيافته وإكرامه مع غاية التأديب معه وبتحميه والبر به . فلما رأى الإمام ذلك قال في نفسه سجان الله! مثل هذا الخير لا يصدر عن مثل هذا الشخص بما تقرر الحكمة في أمثاله . وهذا الإنسان ينقض علينا القاعدة .

فاغتم لذاك وبات معموماً متخيراً فلما أصبح وتهيأ للرحيل لم يشعر إلا وقد ناوله الرجل سجلاً فيه مكتوب كل ما أكل وكل ما انتفع به عنده مقوماً بقيمة مضاعفة . وقال له ادفع لي ما أكلت . وإذا هو رجل صاحب مكر واحتياط على الناس بالضيافة ليتجرّفهم . فعند ذلك سرّي عن الإمام رضي الله عنه وعلم أن القاعدة لم تخرب فورز له ذلك عن طيب نفس وسرور بصحبة القاعدة . انظر الأمثال الحديثة .

ودخل الشعبي سوق الرقيق فقالوا له هل من حاجة؟ فقال حاجي صورة حسنة أتنعم بها يلتذ بها قلبي وتعيني على عبادة ربّي . وكأنه يتذكر ما عنده والتشويق إليه . وأدام النظر إلى جارية حسنة . فقال مولاها لم؟ فقال ما لي لا أتأمل منها ما أحل الله . وفيه دليل على حكمة الله واشتياق إلى ما وعد الله .

وقال الراجز: [رجز]

ثَلَاثَةٌ تَجْلُوْعَنِ الْقَلْبِ الْحَزَنَ  
الْمَاءُ وَالْحُضْرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنَ

وقال إسحاق الموصلي: [بسيط]

لَا أَشْرِبُ الْرَّاحَ إِلَّا مِنْ يَدِي رَشَأْ تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ أَشْهَمَ مِنَ الْرَّاحَ

١٩٠٢٨ ولا بد من التنبية في هذا الباب لأمور منها أن هذه الأسباب الحكمة قسمان. قسم ظاهر وهو ما يرجع إلى قوام الإنسان في معاشه غذاء ودواء مباشرة أو بواسطة قرية أو بعيدة كما في التغليف بعضه. وقسم خفي وهو ما لم يصل إلى تلك المنزلة بذاته وإن كان له بها مساس. فال الأول لا ينكر على من يتعاطاه لوضوحه. والثاني هو الذي يقع فيه الإنكار كما مر كل ذلك.

٢٠٠٢٨ ومنها أن الأمر العادي كما أنه لا تأثير فيه إلا الله تعالى كذلك لا ارتباط فيه عقلًا. وإنما هو أمر يجعله الله تعالى وتسقط عادته تعالى به اختيارًا منه ومتى أراد أن يخرقه خرقه كما شوهد ذلك في محاجات الأنبياء وكرامات الأولياء وسحر السحرة. فكل ذلك خرق من الله تعالى لحكمة كما أجراه أولاً لحكمة. وقد أخرج أهل الحيرة السم القاتل للسيد خالد بن الوليد رضي الله عنه طمعاً منهم في أن يقتلوه. فلما علم به أخذذه فسي الله تعالى وأكله ولم يضره شيئاً. ولا يخصى كمن عابديه حياً بلا طعام ولا شراب. ولما حاصر المعتصم عموريته نهاء المنجمون أن يتقدم لقتالهم في ذلك اليوم. فلما بلغ ذلك بعض أهل الدين في عسكره دخل عليه فقال له: [بسيط]

دَعْ الْجُهُومَ لِطَرِيقٍ يَعِيشُ بِهَا وَقُرْبُ لِوْقَتِكَ وَأَنْهَضْ أَيْهَا الْمَلَكُ  
إِنَّ النَّبِيَّ وَاصْحَابَ النَّبِيِّ نَهَوْا عَنِ الْجُهُومِ وَقَدْ أَبْصَرْتَ مَا مَلَكُوا

فنهض إليهم لوقته ففتح عليهم. وأصل هذا ما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إثر سماء وقعت أندرون ما قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال يقول الله تعالى أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذاك مؤمن بي وكافر بالكونك. وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذاك كافر

بي مؤمن بالكواكب. وهذا هو الذي قرناه قبل من تحقيق التوحيد وليس فيه إنكار العادة الجارية.

والنؤء عند العرب أن يطلع نجمٌ وقيل أن يغرب وهو الأصح فيقع المطر بإذن الله فينسبونه إليه ويقولون أمثال نوء السماء ونوء النعائم وهكذا. وقد أجرى الله تعالى عند طلوع النجوم وعند غروبها وعند اقتران<sup>١</sup> بعضها بعض أموراً كثيرة في المملكة اختباراً منه تعالى وبنه إليها من شاء من عباده. فحصل لهم علم الأنواء وعلم الاقترانات وسائل علم التنجيم وهي كلها عادات جارية بإذن الله تعالى. والمتبعون إليها لعتبرون لها منهم من آمن ومنهم من كفر.

والمقاييس الحديث سابق على ما مرّ من تفصيل أحوال الناس. ومنها أنه قد يُعد من هذا الباب ما ليس منه مما يرجع إلى مجرد تخيلات ووساويس. ولم يظهر فيه حكمة منوطه ولا عادة صحيحة جارية. وأكثره يكون بسلط شياطين يعيشون بين يتوهم ذلك فلا يُنفّت إلى هذا النوع بوجه من الوجوه. ولا سيما إن أبطل ستة عوارض حكماً شرعاً.

كالذى يقول إني جبت أى متي أعرت أو سلفت أو تصدقت أو أضفت ضيفاً تصيبني مضره. فهذه شيطانية. وقد حكي عن بعض الناس أنهم ما يذبحون الصحية. وأنهم متى ذبحوها أصابتهم مصيبة. فلما اعتادوا ذلك تركوها فتقادوا على هذا الضلال حتى انتهى الأمر إلى رجل منهم موفق. فقال والله لا أترك السنة ولا أضحي. فلما ضحي بيست يده اليمني فقالوا هذا الذي حذرناك. فقال لا أبالي. فلما أتت الضحية من قابل ضحي أيضاً فيبست يده الأخرى. فلما ضحي الثالثة بيست رجله ولما ضحي الرابعة بيست رجله الأخرى ولما ضحي الخامسة انطلق ولم يبق به بأس. وانقطعت تلك العادة الباطلة وتبيّن أنه شيطان يبعث بهم ويفسد عليهم دينهم. لله الأمر من قبل ومن بعد.

١ ق وط: إقراط.

كُتُبَ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ الَّتِي كَتَبَتْ فِيهَا هَذِهِ الْأُورَاقَ سَافَرْتُ زَمْنَ الْبَرْدِ. فَلَمَّا  
٢٥٠٢٨ اَنْقَضَلَتْ مِنَ الْبَلْدِ قَلْتَ: [وَافَ]

أَيَا رَبَّ الْبَرَّا يَا رَحِيمُ  
وَيَا مَوْلَى الْعَطَالِيَا يَا حَفِظُ  
أَجْرَنَا مِنْ عَذَابِكَ وَأَمْتَحَانِ  
تَحْكِشُ النَّفْسَ مِنْهُ أَوْ تَقِيَطُ  
وَمِنْ وَعْثَاءِ فِي سَفَرِ وَسُوءِ  
وَمِنْ صَرَدِ وَسَائِرِ مَا يَعِظُ

يقال فاظط نفسي إذا مات والوعاء بعين مهملة وثاء مثلثة المشقة.  
فَلَمَّا أَمْسِيْنَا وُضِعْتَ بَيْنَ أَيْدِيْنَا فَاكِهَةُ الشَّتَاءِ فَعْنَمَا بَهَا. فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ قَلْتَ  
٢٦٠٢٨ سَجَانَ مِنْ جَعْلِ رَحْمَتِهِ فِي عَذَابِهِ أَيِ النَّارِ وَجَعْلَ عَذَابَهِ فِي رَحْمَتِهِ أَيِ الْمَطَرِ  
ثُمَّ نَظَمْتُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَلْتَ: [سَرِيعٌ]

سَجَانَ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَرْجِمَا  
بِكَا بِهِ يُعَذَّبُ الْحَرَمَا  
وَأَنْ يُعَذَّبَ بِمَا يَرْحَمُ أَرَ  
مَبْدَبِهِ يَوْمًا إِذَا أَنْعَمَاهَا  
فَظَاهَرَ أَقْتِدَارُهُ وَأَعْتَلَ  
فِي كُلِّ أَمْرٍ شَاهَنَّ وَآسَتَهِ  
رَكَبَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَخْكَمَاهَا  
وَظَهَرَتْ حِكْمَتُهُ فِي الَّذِي  
فَمُرِّهَا لَمْ يَخْلُ مِنْ حُلُوها  
وَحَلُوها قَدْ أَشْرِكَ الْعَلَقَمَا

في أبيات أخرى أنسنتها الآن.

وتقير هذا المعنى من وجهين أحدهما أن هذه الأمور التي يعاشرها الإنسان ذات  
٢٧٠٢٨ وجهين نافع وضار. إلا ترى أن النار مثلاً تُدْفَى من البرد وتُحرق والمطر مثلاً يُنبت  
الزرع والنوار ويختلف المياه الغزار ولكن يخرب الديار ويقطع المسافر عن التَّسَيَّارِ.  
وهكذا والحكمة في ذلك التركيب المشار إليه في الدنيا لما مرت من الدلالة على ما في  
الآخرة من النعم والعذاب والترغيب والترهيب وغير ذلك مما يطول تتبّعه. ثانيهما  
أن كلّ ما هو نافع فالله تعالى قادر أن يجعله ضاراً وبالعكس.

وذلك لما تقرر في العقيدة من أن ما يوجد في هذه الحوادث من الفوائد والثواب  
 ٢٨٠٢٨ ليس ناشئًا عنها لا باختيار ولا علة ولا طبع بل عن الفاعل المختار تعالى بقدرته  
 ومشيئته. وليس ثم ارتباط عقلي فيجوز وجود ذلك وعدمه لله تعالى أن يجعل النار  
 مثلاً محركة مرّة ثم يجعلها غير محركة وأن يجعل الحبز مثلاً مقتاتاً ثم يجعله غير مقتات  
 كالحجر وهكذا. ولكن أجرى الله تعالى عادته بما وقع لما من الحكم وكثيراً ما يخرج  
 ذلك وقد مر كل ذلك. الله الأعلم من قبل ومن بعد.

كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر قد ملك المغرب سنين عديدة  
 ١٠٢٩ واسع هو وأولاده واحتوته وبنو عمّه في الدنيا. فلما قام الشريف السلطان رشيد بن  
 الشريف ولقي جيوشهم يطن الرمان فهزمهم. وذلك أوائل المحرم فاتح سنة تسع  
 وسبعين ألف. فدخلنا عليه وكان لم يحضر في المعركة لجهة من كبر سنه. فإذا بالفل  
 يدخلون فدخل عليه أولاده واحتوته وأظهروا جزعاً شديداً وضيقاً عظيماً. فلما رأى  
 منهم ذلك قال لهم ما هذا؟ إن قال لكم حسبكم فحسبكم يزيد الله تعالى. وهذا كلام  
 عجيب وإليه يساق الحديث. والمعنى إن قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكروا  
 راضين مسلمين.

والإشارة بهذه إلى أن الله تعالى وضع في الدنيا مائدة لعباده وجعلها دولة كما قال  
 تعالى ﴿وَتَلَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. فكل من جلس على هذه المائدة وتناول  
 منها ما قسم له فلا بد أن يقام عنها بالموت أو العزل ليجلس غيره. ولا تدوم لأحد بل  
 لا يقام عنها من أقيم غالباً إلا بمرارة وعنف. ولذا قال صلى الله عليه وسلم في الولاية  
 نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

ثم من الناس من لم يشعر بهذا المعنى ولم يتتبّه له فهو يسعى إليها عجباً بأوائل  
 ٣٠٢٩ زيرتها وانخدعاً بظاهر زيتها. كما قيل: [كامل]

أَخْرِبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتَيَّهٌ  
تَسْعَ بِرِزْنِتَهَا إِكْلُ جَهُولٍ  
حَتَّىٰ إِذَا أَشْتَعَلَتْ وَشَبَ ضِرَامُهَا  
عَادَتْ عَجُورًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ  
شَمْطًا تَنَكَّرَ لَوْهُمَا وَقَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمَّ وَالثَّقَبِيلِ

ومن الناس من علم ذلك وتنبه له . ثم من هؤلاء من نفعه الله بعمله فأوجب له ٤٠٢٩ أحوالاً محمودة إما قبل ولو جها بالزهد فيها والفار عنها علماً بغيرتها ديناً وقوى أو حزماً في الدنيا . وأما بعد الولوج بالتعفف والعدل والإحسان والرفق وبجانبة البغي والجور إما ديناً أيضاً وحداراً من المطالبة في الآخرة وإما حزماً دنيوياً وحدار من اختلالها واضلالها . الله الأمر من قبل ومن بعد .

وقد حكي عن فرعون لعن الله أنه دخل عليه بعض أشياعه بمال عظيم فوضعه بين يديه . فقال له من أين هذا؟ فأخبره أن بعض القرى من أعمالهم كان لهم ماء قبطل وأنه قد أذن لهم في إحيائه وإجرائه على هذا المال . فقال له فرعون الماء ما ذهب وقد أجرىوه فهم يدفعون المال؟ هذا ظلم وجور الملك لا يستقر على الجور فاردده إلى الناس أموالهم . قال بعض أئمتنا فانظروا يا معاشر المسلمين هذا كافر لا يلقيت إلى الدار الآخرة ثم حافظ بالعدل على دنياه فقط . فكيف بمن يدعى الدين ثم لا يلتفت إلى العدل ولا يحافظ على الدين ولا الدنيا . ١٠٣٠

قلت وقد قال الحكماء إن الملك يستقر ويستقيم مع الكفر ولا يستقيم مع الجور<sup>١</sup> والعلة فيه أن الملوك هم خلفاء الله تعالى على عباده مؤمنهم وكافرهم . غير أن المؤمن خلية في الطرفين والكافر في الدنيا فقط والملك هو نظام العالم والعدل هو روحه . فتى ذهب العدل احتل النظام ووقع الفساد في العالم . ولذلك قال أرسطوطاليس في ضوابطه العالم بستان سياجه أي حائطه الدولة . الدولة سلطان تحيى به السنة . السنة سياسة يسوسها الملك . الملك راع يعضده الجيش . الجيش أعون يكفهم

<sup>١</sup> يزيد ق وط: وهو صحيح.

المال. المال رزق تجمعه الرعية. الرعية عبيد تعبدهم العدل. العدل مأثور و هو حياة العالم.

ومن كلام الفرس لا ملك إلا رجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل. وقال الإمام عليٌّ كرم الله وجده الدين أَسْ وَالملك حارس وما لا أَسْ له مهدوم. وفي الحديث صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس الأماء والعلماء. وقال أبو بكر رضي الله عنه لا يصلح هذا الأمر إلا شدة في غير عرف ولين في غير ضعف. وقال عمر رضي الله عنه لا يقيم هذا الأمر إلا رجل يخاف الله في الناس ولا يخاف الناس في الله. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه إمام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من إمام ظلم وإمام ظلوم خير من فتنة تدوم. وفي أمثالهم إذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة ولم ينزل الخازمون من أهل الدين يهربون منها.

ولذا قال صلى الله عليه وسلم إنما لا نولي أمننا هذا من سأله أو من أراده. إما رعيًا للغالب من أنه لا يطلبها إلا شهواني أو مضيق للحزم وإنما استناناً ليُبعَعْ عند غلبة الشهوة وضعف الديانة كأنمنتنا هذه.

وقال أبو عمر بن عبد البر تكلم يوماً معاوية رضي الله عنه فقال أما أبو بكر فهرب عنها وهربت عنه. وإنما عمر فأقبلت إليه فهرب عنها وإنما عثمان فأصاب منها وأصابت منه وإنما أنا فداستني ودستها. قال أبو عمر أما عليٌّ فأصابت منه ولم يصب منها. قلت إنما بكر هرب عنها من أول مرة. وقد قال يوم السقيفة ووضع يديه على عمر وأبي عبيدة بايعوا أحد هذين الرجلين. قال عمر فلم أكره مما قال غيرها. فهما هاربان منها.

وقال عمر رضي الله عنه بعد ذلك في قضته مع أوس القرىطي من يأخذها بما فيها؟ يا ليت عمر لم تلده أمه. وقال في آخر رمق يا ليتني تخلصت منها كفألا لي ولا على. هذا مع استقامته وعدله الشهير حتى صار يُضرب به المثل في متابعة الحق. وقد شهد له صلى الله عليه وسلم بذلك الحديث المشهور وقال له أيضاً ما سلكت

بِجَاءَ إِلَّا سُلَكَ الشَّيْطَانَ فَجَأًّا غَيْرَ فَجَأًّ. فَكَيْفَ يَكُونُ حَالٌ مِنْ لَمْ يَلْعَجْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ  
الْمُرْتَةِ وَلَا قَارِبٌ وَهُوَ يَتَبَخَّرُ بِالْوَلَايَةِ وَيَسْتَبَشِّرُ بِنَيلِ الْدَّرْجَةِ بِهَا عَنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ  
عَلَيْكُمُ اللَّهُ وَجْهُهُ يَا يَيْضَاءَ وَيَا صَفَرَاءَ غَرِيْغَرِيْ وَلَا قَرِينِيْ.

وَكُلُّ مَنْ تَعَرَّضَ لَهَا مِنَ السَّلْفِ فَإِمَّا اتَّهَادَ لِنَحْنِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَفْسِهِ بِإِقَامَةِ  
الْحَقِّ لَثَلَاثًا يَضِيعُ وَإِمَّا نِزْعَةُ بَشَرِّيَّةٍ حَرَّكَهَا سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ. أَمَّا عَلَى الثَّانِي فَلَا  
يُعْتَدُ بِهِ وَأَمَّا عَلَى الْأَوَّلِ فَيُقْتَدِي مِنْ بَلْغِ مَقَامِهِ فِي التَّمْكِينِ وَالْقُوَّةِ وَالنَّازِهَةِ. وَفِي  
مَثَلِ زَمَانِهِ الصَّالِحِ الَّذِي لَمْ يَزِلْ فِيهِ الدِّينُ طَرِيًّا وَالْحَقُّ جَلِيًّا وَالْأَعْوَانُ عَلَيْهِ قَائِمَينَ.  
وَهِيَاهُاتِ ذَلِكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي غَلَبَ فِيهِ حُبُّ الدِّينِ وَاسْتَوْلَى سُلْطَانُ الْهُوَى  
عَلَى النَّاسِ فَلَا تَرَى إِلَّا حِرْصًا عَلَى الْجَمْعِ وَالْمَنْعِ. وَلَا تَرَى إِلَّا نَفَاقًا وَمَدَاهِنَةً وَمَلْقَأً.  
فَالْمَرءُ فِيهِ لَا يَعْدُلُ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا وَمَنْ لَهُ بِجُودِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْمُولَى تَعَالَى  
لَطْفٌ ظَاهِرٌ. وَقَدْ أَنْذَرَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذَا الزَّمَانِ وَحْضُورُهُ عَلَى  
تَجْنِبِ أَمْرِ الْعَامَةِ وَإِثْرَ السَّلَامَةِ فَقَاتَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَيْتَ شَحَّاً مَطَاعَمًا  
وَهُوَ مُتَّبِعًا وَإِعْجَابٌ كُلَّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةٍ نَفْسِكَ. وَلَهُ الْأَمْرُ مِنْ  
قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِهِ.<sup>١</sup>

فَمَنْ اتَّهَدَ إِلَيْهِ الْيَوْمُ لِلانتِصَابِ رَوْمًا مِنْهُ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَإِنْصَافِ الْمُظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ  
فَهُوَ مُغْرُورٌ. وَلَعَلَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْتِي لَهُ كَمَا يَبْغِي فِي بَيْتِهِ فَضْلًا عَنْ قِيَمَتِهِ فَضْلًا عَنِ الْبَلَدِ  
فَضْلًا عَنِ الْإِقْلِيمِ. وَقَدْ يَسْعُ فَضَائِلُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْقِيَامُ بِصَالِحِ  
الْمُسْلِمِينَ وَدَرْجَةُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ. وَذَلِكَ كَلَّهُ حَقٌّ وَلَكِنْ أَيْنَ يَتَأْتِي؟ فَيَتَخَرَّكَ الْمُسْكِنُ  
لِاتِّقَاصِ الْأَجْرِ وَالظَّفَرِ بِعِلْيِ الْدَّرَجَاتِ. فَلَا يَفْطَنُ إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ بِهِ الْعَشَاءُ عَلَى سَرْحَانِ  
وَرِبَّمَا حَانَ فِيهِنَّ حَانَ. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ وَهُوَ الْأَعْلَبُ دِسِيسَةً دُنْيَوِيَّةً وَنِزْعَةً شَيْطَانِيَّةً.  
وَقَدْ يَقْعُدُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْمَهَاوِيِّ بَعْضِ أَبْنَاءِ الطَّرِيقِ يَحْسُدُهُمُ الشَّيْطَانُ عَلَى بَابِ اللَّهِ  
وَالْفَرَغُ لِلْحَضُورِ بَيْنِ يَدِيهِ وَتَجْنِبُ الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَى الْغَفْرَانِ بِرَحْمَةِ

<sup>١</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

الله. فلا يزال بهم حتى يضمهم إليه ويتجاوز بهم مراقب من كانوا يتبعونه إلى هاوية من يتبعهم. كما قال الشاعر: [طويل]

وَكُنْتُ أَمْرَأً مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسِ فَاتَّهَىٰ بِي الْأَمْرُ حَتَّىٰ صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

سؤال الله العافية.

فيجد الواحد قوة إيمانية في قلبه أو حالة جمالية واردة فيوهمه ذلك أنه قوي على أن يصفع بال الحق. وربما أوهمه ذلك أنه هو الحقيق بذلك دون غيره. أو أنه هو المهدى المنتظر فيتحقق على طمع أن يقاده الأمر وينقاد له أبناء الزمان. ويحفر فيكدي ولا يعید ولا ييدي. ثم يصير أشقر إن تقدم سحر وإن تأخر عقر. فلا يسعه على رزمه إلا فتح أبواب التأويلات والترخصات وإسعاف الناس بعد أن قام ليتبعوه. ومن هنالك يهدم الدين عوض ما قام ليبنيه ويخفض الحق مكان ما انتهض ليعليه فإياك وإياك. [وافر]

إِذَا أَرَخَ الْحُمُولَ عَلَيْكَ ذِيَّاً فَنَمَّ فِي ظِلِّهِ لَيْلًا طَوِيلًا<sup>١</sup>

وقد رأينا في وقتنا هذا من استولت عليه هذه الوساوس حتى وقع في شبه صاحب المانحوما بحيث لواطلع الناس على ما هو فيه رموه في المارستان. ولكن ستر الله تعالى يغطي على عبيده.

ومن ابتي بهذا قريباً أحمد بن عبد الله بن أبي محلي. وكان صاحب ابن مبارك التستاوي في الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق وألف فيها كتاباً تدلّ على ذلك. ثم نزعت به هذه النزعة فخدثنا أنه في أول أمره كان معاشرًا لأن أبي بكر الدلائي للتقدم الذكر. وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المنكر وشاعت. فقال لأن أبي بكر ذات ليلة هل لك أن تخرج غدًا إلى الناس فتأمر بالمعروف وتبهي عن المنكر؟ فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر.

١: فم في ظله ثلت الفلاحا. ويزيد البيت: فمن لا يسأل أجيران عنه ولا عن حاله فقد استراح.

- ٥٠٣١ فلما أصبحا خرجا فأمّا ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر ففسل ثيابه وأزال شعّه بالحلاق وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها. وأمّا ابن أبي محلي فقد تم لما هم به من الحسبة فوق في شر وخصام أذاه إلى فوات الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل. فلما اجتمعوا بالليل قال له ابن أبي بكر أمّا أنا فقد قضيت ماري وحفظت ديني وإنقلبت في سلامه وصفاء ومن أتى منكراً فالله هو حسيبه أو نحو هذا. وأمّا أنت فانظر ما الذي وقعت فيه. ثم لم ينته إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدى المنتظر وأنه بصدّ المجهاد فاستخف قلوب العوام وابتعدوا.
- ٦٠٣١ فدخل بلد سجلماسة وهزم عنه والي الملوك السعدية واستولى عليه ثم أخرجهم من درعة ثم تبعهم إلى حضرة مراكش وفيها زidan بن أحمد المنصور فهزمه وأخرجه منها. وذهب فاستغاث بأهل السوس الأقصى فخرجوا إلى ابن أبي محلي فقتلوه وهو زموا عسكه شذر مذر. فكان آخر العهد به ورجع زيدان إلى ملكه.
- ٧٠٣١ وحدّثنا أنه كان ذات يوم عند أستاذه ابن مبارك قبل ذلك فورد عليه وارد حال فتحرك وجعل يقول أنا سلطان أنا سلطان. فقال له الأستاذ يا أحمد هب أنك تكون سلطاناً «إنك لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجَبَالَ طُولاً».
- ٨٠٣١ وفي يوم آخر وقع للقراء سماع. فتحرك فقير<sup>١</sup> وجعل يقول أنا سلطان أنا سلطان فتحرك فقير آخر في ناحية وجعل يقول ثلاث سنين غير ربّع ثلاث سنين غير ربّع. وهذه هي مدة ملكه. وقد رمزوا له ذلك فقالوا قام طيشاً ومات كباشاً. أي قام في تسعة عشر بعد ألف ومات في اثنين وعشرين بعدها.
- ٩٠٣١ وزعموا أن إخوانه من القراء ذهبوا إليه حين دخل مراكش برسم زيارته وتهنئته. فلما كانوا بين يديه أخذوا يهشّونه ويفرّحون له بما حاز من الملك. وفيهم رجل ساكت لا يتكلّم. فقال ما شأنك لا تتكلّم؟ وألح عليه في الكلام. فقال له الرجل أنت اليوم سلطان فإن أمنتني على أن أقول الحق قلت. فقال له أنت آمن فقل. فقال إن الكوة التي يُلْعَب بها يتبعها المائتان وأكثر من خلفها وينكسر الناس وينحرجون وقد يموتون ويكثر

<sup>١</sup> سقط من المخطوطات.

الصياح والهول. فإذا فتشت لم توجد بداخلها إلا شراويب أي خرقاً بالية ملفوفة. فلما سمع ابن أبي محلي هذا المثال وفهمه بكى وقال رمنا أن نحيي الدين فألتفناه. واعلم أن هذه الدعوى أعني دعوى الفاطمية بلوى قديمة كما أشار إلى ذلك بعض ١٠٣١ الأئمة. وكان الشيعة اذعوا ذلك لزيد بن علي. فلما قام على هشام ظفر به يوسف بن عمر فصلبه. فقال بعض شعراءبني مروان يخاطب الشيعة: [طويل]

صَلَبَنَا لَكُمْ رَيْدًا عَلَى جَذْعِ نَخْلَةٍ وَلَمْ نَرْ مَهْدِيًّا عَلَى الْجَحْنَمِ يُصْلَبُ

الله الأمر من قبل ومن بعد. ١

وأول من ظاهر بهذا جدًا ببلاد المغرب فيما علمنا مهدي الموحدين وهو أبو عبد الله محمد بن تومرت السوسي. وكان رجلاً فقيهًا له رحلة إلى المشرق ولقي فيها المشايخ كالأمام الغزالى رضي الله عنه. فلما قفل إلى المغرب لقي في طريقه عبد المؤمن بن علي قد ارتحل في طلب العلم وهو شاب صغير. وكان عنده فيما يقال علم من علم الحدثان. فلما بصر به تومرت فيه أنه صاحب الأمر فقال له اذهب معي وأنا أعلمك ما تشاء من العلوم. فصحبه عبد المؤمن في دخوله إلى المغرب. فلما وصلوا إلى حضرة مراكش حرسها الله وجدوا فيها آخر المرابطين ووجدوا أموراً مختلفة كما هو المعهود في أدناب الدول. فدخل ابن تومرت وأظهر شيئاً مما حمل من العلوم العقلية.

فأنكر أهل البلد ذلك وكانوا إذ ذاك أهل بادية. فوشوا به إلى صاحب الوقت ١٢٣١ فاستدعي وناظر حتى ظهر عليهم فعلى السلطان سبيله وبقي في البلد. ثم جعل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وشاع ذلك فأنهوا أمره ثانية إلى السلطان وأغروه به فأمر بإخراجه. ففرح إلى تلك الجبال وجعل يدعو إلى الدين وأقبل عليه الناس ثم تظاهر بأنه هو المهدي. فلما اجتمع إليه الناس حضهم على إعلاء الدين وجهاد المفسدين. فتقدم بهم إلى مراكش وجرت بينهم وبين المرابطين حروب شديدة مات في خلالها بعد أن أوصى بعد المؤمن وهيأ الأمر له.

١ سقطت الجملة من ق، ط.

فولي عبد المؤمن واستوسم الأمر له ولولده من بعده وهم أتباع المهدى مع كلٍ  
من يشائهم في أنه هو المهدى من الطائفة التومرتية . وقد انكر الفقهاء عليهم ذلك  
وضللوهم . ولا شك في ضلالهم في ذلك عند كل من يعترف بوجود المهدى في  
آخر الزمان .

وقد ألف بعد ذلك الجلال السيوطي كتابه العرف الوردي في أخبار المهدى  
والكشف في مجاورة هذه الأمة الألف . وبسط القول في ذلك بما فيه غنية من أن  
المهدى متاخر حتى يكون في آخر الزمان لوقت خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم  
عليه السلام . وأنه ليس هو ابن تومرت ولا أمثاله من كل من يدعى ذلك إلى زماننا .  
وكت لا أحسب أن للطائفة التومرتية في دعواهم أزيد من مجرد الدعوى وتقليد  
شيخهم المذكور .

فكان من غريب الاتقاء أيًّي منذ نظرت في كتب التصوف وقع في يدي كتابان  
في هذا العلم ينسبان لأبي زيد عبد الرحمن الباجي . أحدهما قطب العارفين والآخر  
شمائل الخصوص .

فكنت أستحسنهما مع العلم من نفسهما أن مؤلفهما ليس من خفول العلماء . ولكن  
ما فيهما حسن المسالك وسهل المدرك . فكنت أتمنى زيارة المؤلف لاعتقادي أنه من  
أهل الطريق . وكنت إذا ارتحلت لزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه  
أسأل عنه فأجده بعيداً عني حتى إذا كان الحصار على مدينة فاس حرسها الله حين  
قتلوا القائد زيدان خرجت منها وأخذت على جبل بني زرووال فإذا بجبل لجائية قريباً  
مني . فأجمعت زيارته وترك الركب وانحرفت إليه في نفر من أصحابي .

فاصعدنا الجبل إليه فإذا هم يسمونه سيدى عبد الرحمن التزارى<sup>١</sup> فلما وصلنا  
إلى مقامه خرج إلينا أولاده فأنزلونا وأكرموا مثوانا . فلما أطماَنَّنا بالمنزل وزرنا قالوا  
هل لك في أن تخرج إليك كتاب الشيخ لترأها . فقلت نعم فأخرجوا الكتبين المذكورين  
فلما رأيتمهما سرت بهما واستدللت بذلك على أنه هو ذلك وأنه هو المؤلف لهما .

١ ط: التزارى.

وآخر جواكتاً ثالثاً مجلداً ضخماً ففتحته فإذا هو يسميه المقصد الأسنى في المهدى الأقى. فلما رأيت ذلك ظننت أنه يتكلم في المهدى المنتظر على نحو ما تكلم عليه الآئمة. وإذا هو يخرج أحاديث لعبد الرزاق ويدرك حساباً يتضمن ظهوره إثر المائة الخامسة. وإذا هو يصفه ويدرك أحواله وإذا كلامه في ابن تومرت المذكور وإذا هومن الطائفة التومرية. وذكر في أثناء الكتاب المذكور أنه امتحن على يد قضاة الوقت في ذلك حتى دعى إلى فاس ثم إلى مراكش وأنه أقذه الله من المحنة ورجع إلى بلده سالماً.

فلما رأيت ذلك استضحك في نفسي وقلت كما قال أبو علي الفاسي<sup>١</sup> حين وجد ١٠٣١  
الياء منقوطة. ضاعت خطواتنا واستجلى القيام والخروج عن ذلك المقام ولم أنظر ما يضعون من طعام وتخلاصت بالاعتذار بأصحابي الذين خلفت بعدي في الدار. ولما فصلنا عنهم تأملت فقلت حصل العلم بأن هذا الرجل من تلك الطائفة والعلم بأن تلك الطائفة قد كان فيها من يتحجج لدعواهم الباطلة من أهل العلم. وهاتان فائدتان غريبتان فلم تضع الخطوات مع أن الخطيب سهل والمجتهد مصيبة مأجور أو مخطئ معدور. [الله الأمر من قبل ومن بعد].<sup>٢</sup>

١٠٣٢      وإذا قد ألمنا بذكر الرياسة والشهرة وضديهما وذلك مما يبتلي به العام والخاص مع إشكاله والتباسه إلا على البصير. فلننشر إلى شرح ذلك باختصار حتى يكون الإنسان منه على مجحة واضحة في رشه وغشه واستقامته وانحرافه في سعيه. فاعلم أن في كل من الرياسة والشهرة وعدم ذلك شهوة للنفس ونقرة ومصلحة في الدين والدنيا أو مفسدة.

٢٠٣٢      فمن أللهم المصلحة في الرياسة أو في الشهرة وسلم من المفسدة ومن الشهوة وأصاب الإمكان فقد حصل على الشرف في الدارين. وفي مثله يقال المؤمنون أو المتشون بخير فكيف بإمامهم. وإن لم يتوف له ذلك فإن أتفقت له المصلحة والإمكان أصبح كالسراج يضيء للناس وهو يحترق. وفيه يقال إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل

<sup>١</sup> ط: الفارسي. <sup>٢</sup> سقطت الجملة من ق، ط.

الفاجر وإن اتفقت له المفسدة والإمكان أصبح من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلون. وفي أمره ورد أنَّ هذَا الْأَمْرَ يَكُونُ بُؤْءَةً ثُمَّ خِلَافَةً ثُمَّ مُلْكًا ثُمَّ عُتُواً وَفَسَادًا فِي الْأَرْضِ.

٢٠٣٢ وهو الموجود اليوم. وكثير من الحمقى في زماننا يشتكون الجور ويطلبون العدل ولم يدرروا أنَّ الجور قد مضى مع الملوك بعدهما مضى العدل مع الخلفاء ولم يبق إلا الفساد. فيا ليت الناس وقف لهم الأمر في الجور فيعيشوا. وإن لم ينفع له الإمكان فهو الفضيحة إن أبدى صفة عنقه والغم والوسواس إن شرق بريقه. أما إن لم يلهم المصلحة وإنما بحثت به الشهوة أو قصد المفسدة فلا سؤال عليه.

٤٠٣٢ أما شهوة الناس في الرياسة مثلاً فواضحة لما مرَّ غير مرَّة من تعشقها لصفات الألوهية. ولذا يقال دعوى فرعون الألوهية في ضمير كل أحد مع تعشق ما يُتوهم من ثمرات ذلك من الشتم والترفه والاحتواء على الدنيا وأهلها. ونفرتها عن ذلك بتوعّق ما فيه عادة من المتابعة والمعاطب وإثارة راحة القلب والبدن. وتشتعل الشهوة وتستقوى بعلوَّ الهمة في الدنيا وقومة الحرص وشهامة النفس وتضعف بضعف ذلك. ومصلحة ذلك في الدنيا إطفاء الفتنة وإخمام الإحن وقمع البغاة وإغاثة ملهوف وإنصاف مظلوم وتهدين السبيل. كما قال عبد الله بن مبارك رضي الله عنه:

[بسط]

لَوْلَا أَخْلَافَةً لَمْ تَأْمُنْ لَنَا سُبُّلٌ وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا

٥٠٣٢ وجباية الأموال وتحصينها وقسم الأرزاق على أهلها إلى غير ذلك. وفي الدين إقامة الصلاة والزكاة والجهاد ونشر العلم وكفاية أهله ونحو ذلك. وفي مطلق الشهرة في الدنيا السعي في مصالح الناس ولمسادة بينهم وغير ذلك. وفي الدين نصح المستصحين وتعليم المتعلمين وهدایة الضالين وتربيـة المريدين وغير ذلك. وفي حديث الهدایة<sup>١</sup> يقول صلـى الله عليه وسلم لـعليـ كـرم الله وجهـه لأنـ يهـدي الله بـك رـجـلـاً واحدـاً خـير

١. ق، ط: الراية.

لك من حُمر النعم . والمفسدة في ذلك في الجلة ظلم العباد والسيء في الأرض بالفساد وتضييع الحقوق وإظهار العقوق وإضلal الناس والتحريف والإلbas وشهوة الفساد في التحول والاضعة إيثار الراحة والسلامة .

كما مرّ في مقابلة: [طويل]

٦٣٢

وَقَائِلَةٌ مَا لِي أَرَاكَ بُجَانِيًّا أُمُورًا وَفِيهَا لِلتَّهَارَةِ مَرْجِعٌ  
فَقُتِّلَتْ لَهَا مَا لِي بِرِبْنَاحِكَ حَاجَةٌ فَخَنَّ اُنَاسٌ بِالسَّلَامَةِ نَقْرَحُ

٧٠٣٢

وتفريحها عندها عدم الحظ السابق والمصلحة في ذلك بانتقاء المفسدة التي في المقابل . وذلك كله واضح فقد تبيّن ما هو حظ النفس في الباءين . فقد تدعو إلى جانب موهمة أنها تريد استحسان مصلحته والتخلص من المفسدة في مقابلة . وهي إنما تريد حظها الطبيعي منه والشيطان يكتئب إلى ذلك طلباً لحصول المفسدة التي فيه وفوات المصلحة التي في المقابل . وعلى البصیر الحازم أن يرمي نفسه بزمام القوى ويزنها بيزان العدل وينتقدوها بسراج الهدى ويصفيّها من بهرج الهوى .

٨٠٣٢

إذا دعته مثلاً إلى طلب الرياسة والقيام بالأمر موهمة أنها تريد جمع الكلمة وإقامة الشريعة وبسط العدل وكف الظلم ونحو ذلك فلا يتحقق بها في هذه الدعوى حتى يتحققها . فإنها تدعى أنها لم تر متعة الدنيا وإنما طابت استحسان الأجر والدرجة عند الله تعالى . فيكفيك في امتحانها شیئان أحدهما أن تعاقدها فيما تدعو إليه بأن تقوم فيه أشعث أغبر لا تناول مما يناله من دخل ذلك من أهل الدنيا عادة من مطعمون ولا ملبوس ولا مركوب ولا منكوح ولا مسكنون ولا عظماء . وأنك تكون كواحد من الناس لا تتميز عنهم إلا بما تحملت من المشاق والمتابع والهموم في مصالحهم كما كان حال الخلفاء رضي الله عنهم . حتى إنك لو كنت في رفاهية قبل ذلك تركتها شغلاً عنها .

٩٠٣٢

كما كان فعل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . فقد حكي أنه قبل الخلافة أشتريت له حلة بـ نحو أربعين أو سبعين ألفاً . فبسألاه فقال ما أحسنها لو لا خشونة فيها ! ولما ولي الأمر أشتريت له حلة بـ نحو أربعة دوانق بحسبها فقال ما أحسنها لو لا لينها ! فقيل له ما

هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال إنّ نفسي ذوّاقة تُواقة كَلَمًا ذاقت مكانة تشوّقة إلى غيرها فلما حصلت الخلافة تاقت إلى ما عند الله تعالى. وسمع البكاء بداره حين ولي. فدخل مسلمة بن عبد الملك إلى أخته فاطمة<sup>١</sup> زوجة أمير المؤمنين فسألها عن ذلك. فأخبرته أنّ أمير المؤمنين دخل عليهم فقال إني قد شغلني عنكَ ما نزل بي يعني من الخلافة فمن أحببت منكَ أن تصبر على ذلك فلتصرّب رضي الله عنه وجعلنا في حماه. ولما انعقد له الأمر وكان قد تعجب فيه هم بأن يَقْيلَ فذهب ليدخل الدار. فقال له ابنه عبد الملك بن عمر رضي الله عنهما ما تريده أن تفعل يا أباً؟ فقال له يا بني إني قد سهرت من هذا الهم فأرددت أن أصيّب راحه. فقال له وأين حقوق الناس؟ فقال يا بني إلى الظاهر. فقال يا أباً ومن لك بأن تعيش إلى الظاهر؟ فأخذه وقبل ما بين عينيه وقال الحمد لله الذي خلق ميّا من يعيّني على ديني فترك القيلولة وخرج إلى الناس. وقال من كانت له مظلمة فليأتنا. وجعل يرث على الناس ضياعهم وأموالهم وينصفهم مما وقع عليهم من الظلم قبله. [خفيف]

## هَذَا هَذَا وَلَا لَلَا طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَرَاجِ

ومن هذا سئل إمامنا مالك رضي الله عنه أيّاً قاتل عن الإمام؟ قال إن كان كُمْر<sup>١١٣٢</sup> ابن عبد العزيز فنعم. وإنْ فدّعه ينتقم الله من الظالم بالظالم حتى ينتقم من الجميع. فإذا عرضت على نفسك هذا الشرط فتبّعه إليها فإن اشرحت له بأول عارض فسي أن تصدق. وإن رأيت في أدبها انكماشاً ما فهي كذابة تريد أن تتذرّع بتسويتها الباطلة إلى اقتناص اللذات والانهماك في الشهوات. ولا تغترّ باشرح يظهر منها ثابيّ حالٍ لأنّه يكون متكتلاً احتيالاً.

الثاني أن تقدر أن لو ظهر غيرك في الوجود من يقوم بهذا الأمر مثل ما ترجو<sup>١٢٣٢</sup> أو أفضل. هب تكتفي بذلك وتحمد الله تعالى على ما كفاك مؤونة ما تريده أم لا. فإن أكثيتك بذلك وعلمت أن المراد انتفاع المسلمين وصلاحهم وقد حصل بلا مشقة

<sup>١</sup> يزيد ق بنت عبد الملك.

منك فقد تصدق وإن وجدت نفسك مع ذلك مضطراً على طلب ذلك متنكرةً من فواته فاعلم أنها كاذبة إنما تطلب حقها. فإن رعىت أنها إنما طلبت الفوز بدرجة ذلك عند الله تعالى وإنما ترتكب من فواتها فاعتراض عليها أنه لو حصل ذلك أو أرفع منه وهي بين يدي الله تعالى في خلوتها مراقبة له لمحنة بذلك سارحة في رياض المعارف ليلاً ونهاراً هل تطلب هذه الخطة؟ فإن قالت إذن لا حاجة لي بها إذ أصبحت الغيبة الباردة ووقيعت على الدر التفيس فمعنى أن تكون صادقة وإن أصرت على الطلب فهي كاذبة هذا على أن دسائس الفس أدق شيء وأغمضه. فقد تسخن بالحظوظ الحسية كلها حتى توشم أنها صادقة. وإنما تزيد حظوظاً معنوية مثل الصيت والذكر في الدنيا على ما وقع للرهبان نسأل الله السلامة من شرها.

ثم إن أفيتها صادقة مع الامتحنات وما أغرب وجود ذلك فانظر حينئذ في ١٢٣٢ الإمكان. فإن القيام بذلك متوقف عادة على أمور كالعقل والقوّة والعدد والعدة والمال والإخوان والأعوان فإن تيسّر ذلك فمن علامات الإذن التيسير. ولا يكاد يتقد ذلك ولا سيما فيما نحن فيه من آخر الزمان الذي قلل خيره وكثُر شرها. وإن اتفق فلا يكاد يتقد إلا بعد عذق ومقاصد لا يقوم بها ما يرجي من مصلحة. فلا يصل إلى الطاعة على رزمه إلا بعد اقتحام معاشر عظام.

وما أشبهه حينئذ بما شاع في السنة المطبيين من أنه لا يكون الرجل طيباً حتى ١٤٣٢ يعمل مقبرة أي من يقتله بعلاجه الفاسد. فلما كانت هذه الصنعة ولا كان صاحبها ولكن الناس مبتلون مقيدون<sup>١</sup> بسلامل القدر لينظم أمر الدنيا على حسب ما شاء الحكيم العليم. نسأله سبحانه أن يصরنا فيما فيه رضاه. وكذا ما نحن فيه. وإن لم تر إمكاناً أصلاً أو لم تره على مقتضى المصلحة الشرعية فقل عنها واعلم أنك لست من أهلها. [بسيط]

**دَعْ الْكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِيُغِيَّبَهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الظَّاعِنُ الْكَاسِي**

١: مقددون

١٥٣٢

وَدَعَ عِمَارَ الْعَلَا لِمُقْدِمِينَ عَلَى رُكُوبِهَا وَأَقْتَنَعَ مِنْهُنَّ بِالْبَلَلِ<sup>١</sup>

١٦٣٢ ولا تغتر بصلاح نيتك وتمسك الخير وتظن أنك تعطي لا محالة ما تمني فهيهات!

[بسط]

مَا كُلُّ مَا يَتَمَّى الْمَرْءُ يُذْرِكُ تَجْرِي الْيَاحُ إِمَّا لَا تَشْهِي السُّفْنُ

١٧٣٢ واعلم أنك متى رُمت النهوض إلى هذا الأمر بلا عذرتك تكون كالمحبوب يروم أن يتزوج ليولده له ولد صالح يدعوه أو ليكثر الأمة المحمدية بنسله. فهذا أحمق مين وحسبه أن يحتسب على الله تعالى نيته الصالحة فعسى أن يعطي بها خيراً. وفي الحديث نية المؤمن أبلغ من عمله. وفي الحديث من هم بحسنة فما يعلمها كتب له حسنة. وكذا أنت في هذا كله. وانظر إلى الملك الذي أشرف على كلّ ونظر إلى جنوده تحته فأعجبوه. فمعنى أن لو كان حاضراً مع النبي صلى الله عليه وسلم لينصره فرحمه الله تعالى بفضله على هذه النية.

١٨٣٢ فأنوأنت أيضاً أن لو كانت لك قوة على إظهار الشريعة وإحياء السنة وإخراج البدعة وحسم الباطل وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإقامة ميزان العدل وإصلاح العباد والبلاد فعسى أن تناول بهذه النية خيراً. وقف ها هنا وطب نفساً عما وراءه. فلا تلنج تلك المصايب ولا تتبع تلك الطرائق. وإذا فهمت الدسيسة في هذا القسم فافهمها في غيره والله الموفق. الله الأمر من قبل ومن بعد.

١٩٣٣ حدثنا شيخنا العلامة أبو بكر بن الحسن التطافي رحمه الله قال دخلت على شيخنا العلامة أبي بكر بن الحسين التطافي رحمه الله. قال دخلت على شيخنا العلامة الزاهد

١ ط: الأساس.

أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني رضي الله عنه يوماً وهو إذ ذاك بقرية أولاد الحاج من بلد مضغرة. فقال لي إلنّى بنى يفوس وهم قرية من الخلق وقع بينهم قتال. قال فقلت يا سيدي أ جاء أحد من هنالك؟ قال لا ولكنّ أخبرني بذلك قلبي وقلبي لا يكذب على فقد جربته. وكان بيته وبين هؤلاء مرحلة. قال جاء الخبر بعد ذلك بوقوع الأمر كما أخبر به.

٢٠٣٣ وقد رأيت أن أثبت في هذا المعنى كلاماً تاماً تاماً لفائدة كما هو سبيل هذا الكتاب كلّه. وأنا أبدأ إلى السامع من نفسي فلا يتوجه أيّ من أهل هذا المضمّان وأيّ خبرت عن وجдан وتكلمت عن ذوق وبيت عن مشاهدة. كلا. وإنما أقرّ شيئاًً أتعقله فهمماً أو شيئاًً وجدته في كتبهم مشرحاً. ولا أدعّي أنه ليس في حكمة الله البالغة وموهبته السابقة أزيد من ذلك. بل أذكر ما انتهى إليه فهي فأقول إن الغيب المدعى الأطلاع عليه.

٢٠٣٤ وهو ما لا يعلمه عامة الناس قسمان. قسم متقرر في نفسه وللعقل وصول إليه وقد يدركه بعض العقول دون بعض. وذلك كصفات الله تعالى وأسمائه وحكمته في أرضه وسمائه وأحكام المعاد وغير ذلك. وكذا كل علم مستنبط في الأصول والفرعون وغير ذلك فهذا اطلاع صحيح. ولكن لا يسمى في الاصطلاح كشفاً نعم هو الكشف الصحيح النافع وسنشير إليه آخر الترجمة إن شاء الله. وقسم مرجعه الموهبة ولكن لا مجال فيه للعقل. ويكون إنما بلا تقدّم سبب يناسبه كحال مجذوب لم يجر له سلوك وحال نائم كذلك. وإنما مع تقدّم سبب من رياضة وتصفية أو طلب مثلاً. ثم هذا القسم إنما أن يكن مناماً أو شبه منام بوجود غيبة أو يقظة.

٤٠٣٤ إنما المنام فيكون إنما بمشاهدة الأمر على ما هو عليه وهي الرؤيا المستغنية عن التغيير وإنما بمشاهدة مثاله وهي الرؤيا التي تعبّر. وإنما يسمع خطاب أو آية أو قراءتها ونحو ذلك. ولا حاجة إلى بيان حقيقة الرؤيا لأن ذلك مستوى في علم التغيير. وإنما الغيبة فإن يشاهد فيها شيءًً أيضاً أو مثاله أو يسمع الخطاب أو نحو ذلك. وكون

للشاهدة حينئذ بالعين الباصرة أو بعين القلب أمر محتمل. ولا حاجة إلى التعرض لحقيقة فإنه لا يتعلق به غرض.

وأما اليقظة فبأن يرى الشيء بعينه إن كان مما يرى أو مثاله. أو يراه بقلبه إنما بأن يجلى له كروية البصر أو يخترق فيه أنه كذا. أو يحدث به وقد يرى الشيء مكتوبًا في اللوح المحفوظ أو في الصحف المستنسنة يقظة أو غيبة أو مناماً أو مكتوبًا على صفة جدار أو على جبين السائل أو غير ذلك. وقد يفهم ذلك من صوت يسمعه أو فعل أو حال يراه لغيره أو لنفسه أو نحو ذلك. فهذا النوع كله هو الذي يراد بالكشف والمكاشفة في عرف الناس. وقد يختص ذلك بالقسم الثاني والثالث أو بالثالث فقط. ولما كان أمراً معشوقاً للإنسان وذلك من وجهين أحدهما من حيث كونه علاماً والعلم هو غذاء الروح وكلما كان أغرب كان أشهى وأعجب.

ثانيهما من حيث كونه غياً والعلم به من أوصاف الربوبية والعبد متاح إلى ذلك كارتياحه إلى القدرة والعلو. فكان للناس ولوع بذلك وتشوف إليه لما ذكرنا وتشوف إلى من يظهر عليه شيء منه لاستلذاذ الفرائض واستعظام العجائب واستنجاح المأرب. حتى إن العامة مطيقون على جعل ذلك آية لثبت ولادة الولي من غير تمرح على المستقيم منه والسقيم. وكذا صاحبه في نفسه. فنشأ من ذلك كله لعوم المتوجهين شفف به وحرص عليه لأول قدم. فكثرت فيه الدعوى وعمت به البلوى والتبتست السبل بالمنهاج وغضي على شمس الخصوصية دخان الاستدراج. رأينا أن ننبه على وجوه الغلط في الأوجه السالفة بقدر ما حضر في الفكر ليتأتى للإنسان التحرز من مغالطة نفسه ومغالطة غيره له والله أعلم.

وسمعت الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر رحمه الله يقول قال سيدي أحمد بن إبراهيم رحمه الله لا تكونوا كذابين ولا يلعب بكم الكذابون. فنقول أما ما يكون من جهة النام فيمكن الغلط فيه من جهات منها أن لا يضبط أمور نفسه فإن أمور النوم قلما تنضبط. فيتوهم أنه رأى صورة الشيء أو المثال الدال عليه أو خطب به أو نحو ذلك والأمر بخلافه. ومنها أن يرى صورته تكونها حاضرة في خياله.

فإنَّ مَنْ أَكْثَرَ تَصْوِيرَ الشَّيْءِ لِشُغْفِهِ بِهِ أَوْ لِاسْتَغْرِبَاهُ أَوْ لِلُّهُوفِ مِنْهُ أَوْ عَلَيْهِ رِبْمَا تَحْيَيْلَهُ  
بِذَلِكَ السَّبَبِ.

٨.٣٣ ولا حاصل لذلك كما في قصة الذي بشّر الملك بطول العمر . وأنه يقى في عمره  
أربعون سنة وأنّ أمارة ذلك أن يرى في الليلة القابلة كذا لصورة غريبة صورها له  
فضل الملك يقلب تلك الصورة في وهمه فلماً أسمى رآها فأصبح مصدقاً بكلام ذلك  
الشخص فنال الحظوة منه وهو كذاب . وما زال العامة يقولون إنَّ فلاناً يعلم بفلان  
أي لعنة منه أو لمحته فيكثر ذكره نهاراً ويعلم به ليلاً . ومنها أن يرى مثالاً فيعبره  
بذلك ويختلط في العبارة وينبئ على الخطأ . وقد لا يذكر المنامة بل يقتصر على تفسيرها  
على رعمه إما حسناً ظن نفسه أنَّ الأمر هو ذلك وإنما إيهاماً للناس أنه إنما أخبر عن  
مشاهدة لا عن منام ليعد من الأولياء أهل الكشف . فإنَّ المنamas لا تختص بهؤلاء  
بل تقع لسائر الناس حتى الكفرة .

٩.٣٣ ولذا وقع الحديث الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح وفي الحديث أيضاً إذا تقارب  
الرَّهَمَانَ لم تكِدْ رؤيا المؤمن تكذب .

١٠.٣٣ ومنها أن يسمع خطاباً في منامه ولا يدرى من سمعه فيبني عليه ظناً منه أنه من  
الله تعالى أو من ثقة من عباده وإنما هو شيطان يلعب به وكذا قد يكون كل ما ذكر  
شيطانياً . فقد صلح أنَّ الرؤيا من الله والحلام من الشيطان . وقد يرى الشخص المخاطب  
فيضه من أولياء الله أو فلاناً بعيته منهم وإنما هو شيطان تراءى به . وقد يسمعه  
من ولی من الأولياء وينبئ عليه فيخرج خطأ فإنَّ الولي غير معصوم من مثل هذا  
إذا جاز على الولي الوقوع في هفوة من بكار الذنب عمداً بلا اضطرار<sup>١</sup> فكيف  
بالخطأ؟

١١.٣٣ وسنذكر بعد وجوهاً من الخطأ في الكشف وقد يكون ذلك من الولي تصرفًا في  
المملكة بقولية أو عزل أو نحو ذلك فينقض عليه ذلك غيره من أهل الحل والعقد بعد ما  
حمله السامع وتحدث به . وقد يحضر أول كلام من مجلس الصالحين في أمر ثم يفوته

<sup>١</sup> ق، ط: إصرار.

آخره وهو بخلاف ما سمع إلى غير ذلك. وأعلم أنّ موقع صدق الرؤيا وشروط اعتبارها مشروحة في فتها. وإنما قصتنا الإشارة إلى بعض ما يقع للناس مما ينبغي التحرز منه. وأمّا ما يرجع إلى حال الغيبة فيمكِن أيضًا أن يقع فيها الخطأ بتلاعُب الخيال أو تلاعُب الشيطان ترائيًا وإلقاءً. وقد تكون غيبته بوارد رباني أو شيطاني وذلك مسروح في محله عند أهله.

١٢.٣٣ وأعلم أنّه في كلّ من النّام والغيبة يمكِن أن يرى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يسمع في تلك الحالة كلامًا يظنه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعه. وهو إنما سمعه من ناحية أخرى فيبني على ذلك ويفترّ به ويغير من سمعه. وكون الشيطان لا يتمثل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يوجب امتناعً أن يحضر الشيطان في ناحية ولا أن يتكمّ هو أو إنسني آخر فيطرق ذلك أذن السامِع وهو في حاليه يُسرّ عليه الضبط فيظنه ما ذكرنا. إذا فهمت هذا فمن حديث بأمر سمعًا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النّوم ونحوه فلا تقول عليه. ولا بدّ ولو كان الحديث صدوقًا بل حتى ييرزّم إذا أخلف ذلك فلا تحكم ولا بدّ بأنّ الحديث متحمّلاً كاذب. بل قد يكون صادقًا في وقوع الرؤيا وإنما غلط فيما سمع.

١٢.٣٤ فافهم. وما أشتهر في كلام الناس من أنّ الرؤيا التي يحضر فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيا حق لا حلم يسلم في الرؤيا نفسها لا فيما وراء ذلك من كلام وخطاب مثلاً. وإذا أمكن هذا في جانب النبوة في الأولياء أقرب وأولي. وأمّا ما يكون في اليقنة فيمكِن فيه أيضًا الغلط في رؤية البصر بأن يكون المريض خيالًا لا حاصل له كما يقع ذلك للحوم وصاحب الميد وراكب البحر ونحوهم. وفي رؤية القلب كذلك وفي الخاطر بأن يكون شيطانيًا أو مجرد حديث نفس أو قرة رجاء وظنّ أو نحو ذلك. إذا علمت هذا فأعلم أنّ الواجب على الإنسان في حق نفسه أن لا يفتر وأن يتهم رأيه. وفي حق غيره أن لا يخدع لكل مبطل ولا يسيء الظن بكل مسلم. وفي هذا غموض لا يقوم به إلا الليب الموفق ولا بدّ من شرح هذا كله بعون الله وتوفيقه.

فَأَمَا إِلْهَانُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ فِي بَابِ الرَّؤْيَا إِنْ رَأَى مَا يَكُرِهُ فَلِيَسْتَعْذِدُ بِاللهِ كَمَا جَاءَ فِي السَّنَةِ الْمَطَهَّرَةِ . وَلِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا رَأَيْتُ أَنْ يَضْرِبَنِي فِي دِينِي وَدِنْيَايِي فَإِنَّهَا لَنْ تَضْرِهِ . إِنْ رَأَى مَا يَحْبَبُ فَهِيَ مُبْشَّرَةٌ وَفِي الْحَدِيثِ ذُهِبَتِ النَّوْءَةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشَّرَاتُ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَغْتَرُ لَا ذَكْرًا قَبْلَهُ . وَلَهُذَا يُقَالُ الرَّؤْيَا تَسْرَّ وَلَا تَغْرِي .

وَأَمَا تَحْدِثُهُ بِذَلِكَ فَإِنْ كَانَ يَتَقَرَّبُ فِيهِ فَتْنَةً أَوْ غَرْوَرًا أَوْ عَجَبًا لِنَفْسِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَلِيَكُمْ ذَلِكَ وَلَا يَلْقَفُ إِلَيْهِ . إِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ فَلِيَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ بِصُورَتِهِ لَا اسْتَغْنَاهُ بِمُضْمُونِهَا عَلَى زَعْمِهِ . فَإِنْ خَرَجَ عَلَى الْمَرَادِ فَذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُهُ بِرِيَاءُ السَّاحَةِ . وَقَدْ يَعْرُضُ مَا يَقْتَضِي ذَكْرُهَا كَاسْتَدِعَاءً أَسْتَادِهِ ذَلِكَ مِنْهُ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ مِنْ رَأَى رَؤْيَا فَلِيَقْصُّهَا . أَوْ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ لِلإخْرَانِ سَرُورٌ وَمَزِيدٌ . وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو مُهَمَّدِي الدَّغْدُوْنِي رَحْمَهُ اللهُ يَقُولُ لَا تَكْتُمُوا عَنِ إِخْرَانِكُمْ مَا تَشَهَّدُونَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ فَإِنْ ذَلِكَ يَحْبَبُ إِلَيْهِمْ طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى . غَيْرَ أَنَّ هَذَا مِنْ لَفْظَةِ النَّفْسِ فَالْحَذْرُ الْحَذْرُ . وَالْعَاقِلُ لَا يُعْدَلُ بِالسَّلَامَةِ لِنَفْسِهِ شَيْئًا .

وَأَمَا فِي بَابِ الغَيْةِ فَلَا اخْتِيَارٌ لَهُ فِي حَالَتِهَا كَلَّا اخْتِيَارٌ لَهُ فِي حَالَةِ النَّوْمِ . وَلَكِنْ بَعْدِ السَّكُونِ يَحْبَبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّزَ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَفِي الإِفْشَاءِ لِلْغَيْرِ كَمَا فِي النَّوْمِ وَأَكْثَرُ لَأَنَّهَا مُلْبَّةٌ لِلشَّيْطَانِ إِلَّا مِنْ عُصُمٍ . وَلِيَتَحَرَّزَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْوَقْعَ فِي ذَلِكَ بِتَصْحِيحِ التَّقْوِيِّ وَتَرْكِ الدَّعْوَى وَبِجَانِبَةِ الْمُخَاطِنِ وَالشَّاطِئِينَ الْمُدَعِّنِ . وَقَدْ نَقَلَ الْأَخْ بْنُ الْعَبَّاسَ زَرْوَقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ مَنْ اعْتَادَ مِنْ نَفْسِهِ الْغَيْةَ عَنْدَ السَّمَاعِ أَنَّهُ لَا يَحْلَّ لَهُ تَعْاطِيهِ لَأَنَّ حَفْظَ الْعُقْلِ وَاجِبٌ . وَبِهَذَا تَعْلَمُ حَالَ مُقْتَرَفَةِ الْوَقْتِ فِي طَلَبِهِمُ الْحَمْرَةِ . وَمَا مَثَلُهُمْ إِلَّا مَثَلُ سَفِيهِ مَسَافِرٌ وَبَيْنَ يَدِيهِ قُطَّاعٌ وَمَعَهُ خَفِيرٌ يَحْمِيهُ مِنْهُمْ . فَدَسَّوْا إِلَيْهِ مِنْ أَغْرَاهُ بَقْتَلَ ذَلِكَ الْخَفِيرَ أَوْ طَرَدَهُ عَنِ نَفْسِهِ وَذَلِكَ لِيَسْتَكْنُوا مِنْهُ بِلَا مَدَافِعَ . فَفَعَلَ ذَلِكَ أَوْ سَعَى فِي فَعْلَهِ سَفَهًا مِنْهُ لِقَلْةِ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَاحِلِ نَفْسِهِ وَمَكَايِدِ عَدُوِّهِ . وَهَكُذا الْمَرِيدُ خَفِيرُهُ مِنْ تَلِيسِ الشَّيَاطِينِ عَقْلَهُ مَعَ تَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَى . إِنَّذَا ذَهَبَ عَنْهُ أَسْتَكِنَ مِنْهُ وَهُوَ يَطْلُبُ ذَلِكَ وَيَحْرُصُ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ رَأَى أَوْ سَمِعَ أَهْلَ الشَّرَابِ الصَّافِيِّ

من أولياء الله تعالى. ورأى ما يطلعون عليه من المغيبات وما يدركون من الحقائق وما يتصرفون في المملكة من التصرف وما يقع للخلق من الإقبال عليهم والتشويه بهم فيشيئي المسكين تلك الحالة لذلك. ولا يدري أن أولئك لم يكونوا أهل شهادات<sup>١</sup> مثله ولا نالوا ذلك بحولهم واحتيالهم ولا قوتهم ولا بالترهات التي يشتعل بها هو. وإنما اختصهم الله بموهبة وأهلهم لحضرته من غير تدبير منهم ولا اختيار.

ولو كان لهم اختيار لاختاروابقاء في خدمته وأن لا يغيبوا عنها لحظة. فإن ١٧.٣٣ أدب العبد وشرفه إنما هو في خدمة مولاه لقيامه فيها بمحقق سيده لا بمحظ نفسه. وما مثل من يطلب الخروج عن ذلك بالوله والسكر إلا مثل عبد نصبه سيده لخدمته وهو يريد الإيقاع عنها أو يريد أن يتركها اختياراً منه ليدخل إلى مجلس سيده؟ ١٨.٣٣ فما أحقّه في الحالتين بالعصا تأديباً أو طرداً! نسأل الله تعالى العافية. فعم ما مرّ من أنه لا ينبغي له تعاطي السماع مثلاً إنما هو ما دام اختياره معه. وأمام المغلوب فلا حكم عليه. وبهذا يُجمع بين ما نذكر وبين ما يقع للصوفية في باب السماع وباب الوجود.

وبلغنا أن جماعة قدّموا على سيدِي محمد الشرقي التadalوي المتقدّم الذكر فخرج إليهم وتحرك سماع. فلم يشعروا به إلا وهو في وسطه يتواجد وليس عليه إلا القميص. قال بعض الجالسين لآخر سرّاً هذا رجل خفيف. فإذا هو على الفور تكلّم على خواطيرهم. فقال:

اللهُ اللهُ يا اللهُ اللهُ يا لطيفُ  
الْحَبُّ يَهْرُبُ الرِّجَالَ لَا وَاللهُ مَانِي حَفِيفُ

ومن هذا قول القطب العارف الشيخ أبي مدين رضي الله عنه حيث قال: [طويل] ٢٠.٣٣

فَقُلْ لِلَّذِي يَسْهَى عَنِ الْوَجْدِ أَهْلَهُ إِذَا لَمْ تَدْقُ مَعْنَا شَرَابَ الْهَوَى دَعْنَا

١ ط: شهوات.

إلى أن قال:

فَإِنَّا إِذَا طَبَّنَا وَطَكَّابَتْ عُقُولُنَا<sup>١</sup> وَخَامَرَنَا خَمْرُ الْعَشِيقِ تَهَتَّكَنَا  
فَلَا تَلِمِ الْسُّكَّرَانِ فِي حَالِ سُكُورٍ فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكُورَنَا عَنَّا

والآيات مشهورة غير أن هذه الغلبة لا يتحققها الجھال ولا ينظرونها. نعم ٢١.٣٣ استدعاء حال يرجى عنه رقة القلب وانشراح الصدر وذهاب جساوة النفس ورعونتها بلا زائد مع صحةقصد. لا ينبغي أن ينكر بل يتحقق بما أذن في شرعاً بل حُضُّ عليه مما يفيد رقة القلب وخشوعاً وتذكرة الآخرة. كحضور مجالس الذكر وقراءة القرآن بالتدبر وزيارة القبور والمسح على رؤوس اليتامي ونحو ذلك.

وقد انجرَّ بنا الكلام إلى ما لا حاجة بنا إليه في هذا المحل لكثره أبوابه واسعه ٢٢.٣٣ شعابه. فلنرجع إلى ما نحن فيه فنقول وأما في حال اليقطة فليحضر أيضًا من الغلط في رؤيته كما مر وفي خاطره. فلا يتحقق بكل ما يريد عليه في قلبه في نفسه فضلاً عن أن يخبر به الناس. وليرفض ذلك الوارد كأنه شخص مجهمول ورد عليه من سفر فأخبره بأمر وقع في بلد آخر . فلا يتحقق به وهو لا يعرف صدقه من كتبه ولا يخبر أحداً بخبره حتى ينظر. ولو وثق به وحدث الناس بكلامه دخل في مضمون كُني بالمرء كذبًا أن يُحدث بكل مَا سمع . بل حتى ينظر هل صدق ما أخبر به ثم إن صدق فأخبره كرة٢ أخرى فلا يتحقق به أيضًا لأنه قد يتطرق للكافر الصدق مرة أو أكثر .

ثم إن صدق فأخبره أيضًا فكذلك حتى يحصل له اليقين بالتزكير والقراءان أنه ٢٣.٣٣ صدوق . فعنده ذلك يتحقق به فيقول حدثني الثقة . وهكذا خاطر القلب وهيمات تتحقق ذلك فيه بمجرد هذا . فإن الشخص في المثال يكون معروفاً بعينه فإذا ثبت له وصف من الصدق عرف به .

أما الخاطر القلبي فتى يعرف أن هذا الذي أخبره الآن هو الذي صدق قبله وهو ٢٤.٣٣ يعلم أن القلب ميدان للرباني والمملكي والشيطاني والنفسياني فلعل هذا شيطاني أو

١. ق، ط: نقوسنا . ٢. ق: مرة .

نقسياني. نعم إن كان من جنس من قال كنت بوتاً على قلبي ثلاثة أو أربعين سنة فتى تحرك خاطر سوء صرفته عنه فعسى أن يتحقق بما حصل في قلبه. وكذا إن علم من رب أنه أعطى الخاطر أو تجرب صادق من أهله في قلبه كما مرّ أو مع رب أنه يعلمه بما يحدث في المملكة.

وقد روي أنَّ امرأة من تلامذة الشيخ السري رضي الله عنه أرسلت ابنًا لها في حاجة فوق في النهر وغرق. بلغ الخبر إلى الشيخ قبلها فقال للجنيد قم بنا إليها فأتياها. فعل الشيخ يكلِّمها في مقام الصبر. فقالت ما أردت بهذا يا أستاذ؟ فقال إنَّ ابنك من أمره كذا أي مات. فقالت ابني؟ ما كان الله ليفعل ذلك. ثم ذهبت تهرون إلى الماء فنادت يا فلان. فقال ليك وخرج إليها يسعي. فنظر السري إلى الجنيد وقال ما هذا؟ فقال إنَّ أذن الشيخ تكلمت. قال تكلم. فقال هذه امرأة محافظة على ما لله عليها ومن شأن من كان كذلك أن لا يُحدث الله أمراً حتى يعلمه. فلما لم يعلمه الله علّمت أنه لم يكن. ولذا قال بعض المشايخ للتلامذة أيمكم إذا أراد الله أن يحدث شيئاً في المملكة أعلمه إيه؟ قالوا لا أحد مننا. فقال ابكونا على قلوب لا تجد من الله شيئاً أو نحو ذلك.

وقد شهد الذوق أنه ما يتيقن ذلك عادة على استقامة إلا بعد صفاء المداخل كلها. فيعم ما يتصل بمعده من مطعم وبأذنه من مسموع وبعينه من مرميٍّ وبسانه من مقولٍ وبعقله من معقول. وهكذا في سائر الجوارح. أما الخلط فلا يشرب إلا ذكرًا. ولا يتحقق أيضاً بما يقع له من التجلي في باطنِه فإنَّ كل ما سوى الأنبياء عليهم السلام معرض للخطأ والغلط. وقد يخلِّ الشيء بقامة وقد ينقصها.

وضرب الإمام حجة الإسلام في الإحياء لذلك مثلاً وهو أنَّ القلب في مطالعته اللوح المحفوظ بواسطة التجلي يكون كالمكان بينك وبين جدار أو إنسان أو متناع ستر مرحى. فإذا انسلل لم تر شيئاً من ذلك الجدار ونحوه وقد تهبه يبح فخرتك وترفعه حتى ترى الجدار بقامة. وقد ترفعه حتى ترى بعض الجدار فترسله ولا ترى الباقى. أو ترسله قبل أن تبين ما رأيت. وهكذا قلت ومن ثمَّ يقع لأهل الفراسة من

الصالحين اختلال أو نقصان. فيظن بهم الكذب وإنما يؤتون من عدم التجلي كما ذكرنا  
أو من غلط في فهم خطاب أو نحو ذلك وذلك مشهور.

٢٨.٣٣ وقد حدثونا عن صلباء تادلا أنه لما قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه أو  
ابن عمّه الناصر قال سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي إن الناصر يدخل تادلا  
بعنى دخول الملك. فلما بلغ الخبر إلى سيدي محمد الشرقي قال مسكين بباباً أحمد رأى  
الناصر قد دخل تادلا فظنها الناصر يدخل. فكان الأمر كذلك أنه هُزم في نواحي تازا  
ثم قُطع رأسه وجلب إلى مراكش فدخل تادلا في طريقه.

٢٩.٣٣ وعن صلباء سلا أن رجلاً من رؤساء البحر جاء إلى سيدي علي أبي الشكاوي  
شاوره على السفر في البحر. فقال له لا تفعل وإن فعلت فلا تربح مالك ولا نفسك.  
وخرج من عنده فأتى سيدي عبد الله بن حسون شاوره. فقال له سافر وسلم وقعن.  
فاسفر فاتتفق عند دخولهم البحر أن أسرهم الروم. فذهبوا بهم إلى أن لقوا بعض سفن  
ال المسلمين فوق بينهم قتال. فظهر المسلمون فاستمكّن هؤلاء من سفينتهم التي أسرتهم  
فقبضوا عليها وغنوها ورجعوا سالمين غافلين.

٣٠.٣٣ ومثل هذا من أحوالهم كثير. وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعري أنه لا ينبغي  
لمن يطالع الواح الحمر والإثبات أن يتكلّم وإنما يتكلّم من يطالع اللوح نفسه. وذلك  
لأنّ ما في اللوح لا يتبدل بخلاف الصحف فإنه يقع فيها التبديل. كما قال تعالى  
﴿يَحْمِلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُشَيْتُ﴾. فقد يخبر بما فيها ثم يمحوه الله تعالى فيختلف خبره  
ويدخل وهنّا على الخرقه وتهمة بالكذب والمدعوى.

٣١.٣٣ وذكر في صلباء مصر في وقته أن فلاناً منهم كان يتكلّم عن اللوح فكان كلّ ما يكون  
يختفظ به. وفلاناً كان يتكلّم عن الألواح فكان ربّما يخبر بشيء ولا يقع. والظاهر أنّ  
حكایة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه من هذا المعنى. وذلك أنّ رجلاً من التجار  
شاور بعض المشائخ وأظهراً الشيخ الدباس على السفر. فقال له لا تفعل فإنك إن  
سافرت قتل وينهب مالك. فلقي الرجل الشيخ عبد القادر فكلمه. فقال له سافر ولا  
بأس عليك. فسافر الرجل فلماً كان ي بعض الطريق طرح بضاعته ثم قام فنسىها. وتنبّه

إلى مكان آخر فام. فرأى في منامه أن قد خرج عليهم اللصوص فقتلوه ونهبوا أموالهم. فاستيقظ مذعوراً وإذا به أثر الدم كأنه أثر الطعنة التي رأها في منامه. ثم ذكر بضاعته فهرول إلى الموضع الذي نسيها فيه فإذا هي سالمه. فأخذها ورجع إلى أهلها سالماً بماله. فلما دخل النبي الشیخ الأول فقال له ذلك الشیخ يا ولدی الشیخ عبد القادر محبوب طلب من الله تعالى كذا وكذا مدة أن يريد القتل مناماً والنهب نسياً ففعل.

٢٢.٣٣ هذه الحکایة مع عبارة هذا الشیخ إذا سمعها الجاهل يتوهّم أن الله تعالى قضى في أزنه على هذا الشخص أن يقتل في هذه السفرة ويذهب ماله وأنه أطلم الشیخ على ذلك فأخبر به ثم تبدل ذلك بدعاء الشیخ عبد القادر. وذلك باطل لا يكون فإن علم الله تعالى لا يتبدل وما قضى في أزنه وهو المعتبر عنه باللوح المحفوظ لا يتحول. وإنما ذلك يخرج على ما ذكرنا من المحرر والإثبات. وهو أن يظهر الله تعالى القتل والنهب ويطلع عليه الشیخ المذكور ويكون قد قضى في عالمه أن ذلك منام لا حقيقة. وأن دعاء عبد القادر منوط به فلما دعا برب ما عالمه الله تعالى أن يكون وقاضاه. وهو الصحيح. وإظهار المعنى الآخر يكون لحكمة يعلمها الله تعالى كصدور الدعاء والتضرع من الشیخ عبد القادر في هذه الصورة وظهور شفوف منزلته وحظوظه عند ربها. وهكذا يفهم كل ما يشبه هذا مما يقع من الكرامات أو المجرات.

٢٢.٣٤ وأعلم أن كل ما أشرنا إليه من التحذيرات وقرتنا من التحذيرات إنما هو في حال المربيدين وعوام المتوجهين المعرضين للغلط والرلق. وأماماً العارفون الكاملون وإن كانوا أيضاً غير معصومين ولا مستغفين عن التحفظ فلا حديث لنا عنهم لأنهم أعرف بأحوالهم فيما يأتون<sup>١</sup> يذرون وما يذرون وما يكتون. وتحصية أمثالنا لهم حماقة وسوء أدب.

١٠٣٤ وأما الإنسان في حق غيره فهو بين إحدى ثلات. إما شيء يصدق به لمعرفته له بال بصيرة أو تقليد من يثق به من أستاذ أو نحوه فيقبله. وإنما شيء تكرهه الشريعة أو

<sup>١</sup> ط: يأتون.

الحقيقة أو العقل فينكر بالشروط المقررة في إنكار المنكر في الفقه وفي التصوف مع حسن الظن في الباطن. وإنما شيء محتمل فيسلم لا ينكر ولا يتبع. ولا تم هذه الجملة إلا بسلامة الصدر للمسلمين وحسن الظن بهم والتفاوض عن مساوיהם مع فطنة وقحة ومعرفة بالزمان وأهله. والمؤمن كيسٌ فطنٌ ثلاه تغافل. ويقال الليب العاقل هو الفطن المتفاوض.

أَمَّا الزمان فلَا تَسْأَلُ عَنْهُ  
٢٠٣٤ وَقَدْ مَرَّ فِي الْحَدِيثِ صَنْفانٌ إِذَا صَلَحَ النَّاسُ إِذَا  
فَسَدَ النَّاسُ الْأَمْرَاءُ وَالْعَلَمَاءُ. وَقَدْ فَسَدَا مَعًا إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكِي.  
وَكَانَ الْأَمْرُ يَصْلُحُ بِأَبْيَةِ الْعَدْلِ وَفِقْهِ الْفَقَهَاءِ وَأَدْبِ الْصَّوْفِيَّةِ. وَقَدْ فَسَدَ هُؤُلَاءِ  
٢٠٣٤ الْثَّلَاثَةِ بِالْجُورِ وَالْمَدَاهِنَةِ وَالْبَدْعَةِ. فَسَدَ الدِّينَ بِهِمْ أَوْلًا وَالْدُّنْيَا ثَانِيًّا كَمَا قِيلَ:

[متقارب]

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمَلُوكُ وَأَخْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا  
وَبَاعُوا السُّفُوسَ وَلَمْ يَرْجِحُوا وَلَمْ تَنْلُ فِي الْبَيْعِ أَمْكَانُهَا  
لَقَدْ وَقَعَ الْقَوْمُ فِي جِفْفَةٍ يَبْيَنُ لِذِي عَقْلٍ إِنْتَكَانُهَا

٤٠٣٤

وقيل: [رجز]

يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ يَا مِلْحَ الْبَلَدِ مَا يُصْلِحُ الْمَلْحَ إِذَا الْمَلْحُ فَسَدَ؟

ولم يراد بالقراء، الفقهاء وبهم يصلح ما فسد كما يصلح الطعام بالملح. فإذا فسدوا تعذر الصلاح.

أَمَّا التصوف فقد كان شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد في زمانه يقول رضي الله  
٥٠٣٤ عنه: [مجزوء الكامل]

## أَهْلُ التَّصُوفِ قَدْ مَضُوا صَارَ التَّصُوفُ مَحْرَقَةً<sup>١</sup>

الأئيات المعروفة. فما بالك بزماننا؟ فقد صارت هذه المحرقة محرقة ولم يزل الخلق يتقص إلى الآن. وقد قيل قبل هذا زمان دعوى عريضة وضعف ظاهر. أما اليوم فالدعوى من وراء جحاب.

٦٣٤ وقد طرق أسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة <sup>كهمول القادرية والشاذلية</sup> رضي الله عنهم وكلام أرباب الأحوال في كل زمان. فتعشقت النفوس ذلك وأذعن له الجمهور وفاضوا بالتشبه بهم. فلما شئت أن تدقى جاهلاً مسراً على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة فضلاً عن أن يعلم به فضلاً عن أن يخلص إلى الباطن فضلاً عن أن يكون صاحب حال فضلاً عن أن يكون صاحب مقام إلا وجودته يصلو ويقول وينبذ المقول والمعقول.

٧٣٤ وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بمحليه أبيه ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا. فيقول خدام أبي وزيرية أبي ويضرب عليهم كفرم السلطان. ولا يقبل أن يجعوا أحداً في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره. وإذا رأى منخرج يطلب دينه أو من يده على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماه.

٨٣٤ وقد يقع له عليه شيء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضييه إلى نفسه. فيزيد بذلك هو وأتباعه ضلالاً. يخترق لهم من الخرافات والأمور العتادات ما يدعيه سيرة وديناً يستهويهم به. ثم يضمن لهم الجنة على مساوى أعمالهم والشفاعة يوم الحضر فيقبض على لمه ذراعه فيقول للجاهل مثله أنت من هذه اللجة. فيكتفي ابتهال العوام بذلك ويقون في خدمته ولدًا عن والدِ فائلين نحن خدام الدار الفلاحية وفي زرية فلان. لا نخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا.

<sup>١</sup> يزيد ق: كان التصوف ركوة / وسباحة وملزمة / / صار التصوف صيحة / وتواجداً وحقيقة / / كذبك نفسك ليس ذي / سنن الطريق الملحة.

٩٣٤ وهذا هو الضلال المبين وهو لاء قطاع العباد عن الله وعن دينه داخلون في  
شبه ما قال النبي صلى الله عليه وسلم في ملوك السوء وخصوصاً في بني أمية.  
في الحديث إذا بلغ بنو أبي العاصي ثلاثة رجالاً اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله  
دولـاً الحديث.

وَلَمْ يُعْلَمُ الْجَهَالُ أَنَّهُمْ كَيْفَ يَكُونُونَ مِنْ لَهْوٍ ذَرَاعَهُ بَحْرٌ دُعْوَاهُ إِذَا لَمْ يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا؟ وَبَعْدَ أَنْ يَجْعَلُهُمْ كَيْفَ يَغْتَرُونَ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا إِنَّ مَصِيرَةَ تَلَكَ الْلَّهُتَّ؟  
وَلَعَلَّهُ النَّارُ وَمَاذَا يَنْفَعُهُمْ اجْتِمَاعُهُمْ فِي النَّارِ؟ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبَوَارِ.

قال تعالى ﴿وَلَنْ يَنْفَعُكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ .  
فالناس عند الله ثلاثة مقبول مقبول له ومقبول غير مقبول له ومردود. فالمردود لم يخ-  
بنفسه فكيف ينجو الناس على يده؟ والمقبول لنفسه غايتها نفسه والمقبول المقبول له التكمل  
في الغير هو الذي يرجى الاننقاض به بإذن الله تعالى إما في العوم أو في الخصوص كثيراً  
أو قليلاً. وهذا المدعى الذي يتالى على الله تعالى ويفزع عباده ما يذرره أي الثالث هو؟  
فإن كان مردوداً في ويله. وإن كان مقبولاً في خاصة نفسه فما له وللناس؟ وإن كان  
مقبولاً له الشفاعة فلا يدرى أفي كل هؤلاء أم في بعضهم أم في غيرهم؟ فحثة أن يدع  
الناس ويكي على نفسه حتى يرى أين هي. وإن قوي رجاؤه حيناً في الله لنفسه أو  
لغيره فليقل إن قلبي الله وقبل لي نسأل الله التوفيق.

وأما ما نحن فيه من ادعاء الاطلاع على الغيب والتظاهر بالكشف والتصرف في الوجود فهو الكثير في زماننا في المنتسين دعوى منهم وتشبعاً بما لم يعطوا إلا من عصمه الله وقليل ما هم. فمنهم من يستند إلى مجرد خيالات منامية ويتأول لها نفسه ويحكم بها كما مر. ومنهم من يحكم ظناً وحراضاً ثم لا يالي بالفضيحة ولا ينتهي عن غيه. فإذا أتحقق صدقه مرأة اتخذ ذلك حجة واتخذه له جهال العوام. فيقولون والله لقد سمعنا منه كلاماً حقاً فصاروا في ذلك ك أصحاب الكهان من جاهلية العرب.

٢٠٣٥ فقد أخر صلّى الله عليه وسلم عنهم بأن الرّئي من الجن يخطف الكلمة من الملك فيقرّها في أذن وليه من الإنس ثم يخلط معها مائة كذبة . فيقول الناس لم يخبرنا يوم كذا بكتّا؟ فكان حقاً للكلمة التي تلقفها من الجنّي . وهكذا المذكورون . وترى الواحد منهم يخبر بأمر أو بعد قضاء حاجة لوقت . فإن اتفق صدق ذلك بمصادفة قوله للقضاء الأزيبي تبحّ بذلك ورعد على الناس وبرق . وإن كذب أكهر في وجوه الناس وتتكّأ أو تغيب أياماً حتى ينسى ذلك فيعود إلى ترّهاته .

٢٠٣٦ وما مثاله في ذلك إلا مثال امرأة أيم عندها عدّة بنات مشهورات بالملائحة ولكنّهن بغایا فاسدات . كما قال ذو الرّمة : [طويل]

عَلَى وَجْهِ مَيَّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاحَةٍ وَتَحْتَ الْيَابِ الْعَارُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

٤٠٣٥ فجعلت تتوه بذكرهن وتستميل إليهن قلوب السفهاء أمثالهن حتى اشتهر أن عند فلانة البنات الحسان . بقاء مغفور خطب إليها فأنكّنه واحدة منها فانقلب جذلان لا يالي ما أتفق ولا ما أهدى منشدًا بسان حاله : [طويل]

وَمَنْ طَلَبَ الْحَسَنَيَةَ لَمْ يُفْلِهِ الْمَهْرُ

٥٠٣٥ وجعلت للدخول موعداً فلما دخل أخفق فأصبح بئساً خاسر الصفة . وحين أحست العجوز بذلك تكّرت وتعيت حتى نسي ذلك . فرجعت تذكر بانتها أيضاً . فيجيء أحمق آخر خطاباً فإذا قال له النصّاء ويحك ليس لك فيما وقع لفلان مع هذه الفاجرة عبرة؟ يقول من فطر شغفه بما سمع من الحسن ذلك أمر قد يتحقق ولعله في تلك البنت فقط لا في غيرها . فيتقدم ويقع لها كما وقع للآخر . ثم يجيء مغفور آخر لا علم له بما كان وهكذا إلى أن يتقدّم واحداً أن يجد الأمر كما يجب . فتنجح وتطلب لسانها وتقول من عنده في الوجود مثل بنتي؟

ويقول الناس والله إن فلاناً تزوج منها بنتاً فوجدها كما يحب وتدهب تلك المساوي  
كَلَّا في هذه الحسنة الواحدة. فما أظرف هؤلاء الحمقى إذ يحكمون بأن الحسنات  
 وإن قلت يذهبن السيئات وإن كثرت. وهكذا الفقير المدعى يتظاهر بإخبارات  
وتصرفات هي حسنة لذريعة عند العوام لموافقتها لشهواتهم وحاجاتهم. وهي فاسدة  
لبطلانها وابنائهما على غير أساس. فإذا ظهر كذبه في الواحدة قالوا سجان الفاعل لما  
يساء والقادر يُحيث عبد القادر. وبهذا أيضاً يعتذر هو.

وكلت تحدثت مع بعض الأصحاب في هذا المزع فقلت لهم إن المدعين لا  
يدخلون في الإسلام حتى يُفتحوا. فاستجعوا من ذلك وسألوا عن تأويله. فقلت  
لهم إن المدعى حين تهيج له الضلون الكاذبة والوساوس الباطلة يحكم بوقوع أمور  
ولا يذكر الله تعالى ولا يرجح على مشيئته وسعة عالمه وعظيم قهره. حتى إذا أُفتح  
بطلان ما قال رجع إلى الحق وجعل يقول الأمر أمر الله والحكم حكمه وما شاء كان  
وما لم يشأ لم يكن. [طويل]

### فَهَلَّا تَلَّا حَامِيَ قَبْلَ التَّقْدِيرِ<sup>١</sup>

ومنهم من يتظاهر بالوجود والسكر ويقول ما يقول في ذلك. فإذا كذب ولم يقول  
والله ما أدرى حين تكلمت ما أقول وما لي اختيار. ويظن أنه يخلاص بهذا من الملاماة  
وهيئات ذلك! فإنه إن كان نطقه عن عمد فهو افتراء للذنب وإلا فالشيطان يلعب به  
ترقيصاً وضرباً واستنطافاً وناهيك بها نقية.

ودخل ذات مرة علي الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد الصالحي بن المعطي وأنا إذ  
ذاك بمدينة مراكش حرستها الله تعالى ومعه رجل أسود من ناحية المشرق. فحدثت الأسود  
وقال إنه من وادي العباس وزعم أنه كان ذهب إلى بغداد زائراً للشيخ عبد القادر  
رضي الله عنه. وأنه بقي في مقامه أياماً وأنه رأه فاستتابه ثم أمره بالتوجه إلى شيخ  
من أهل الوقت في نهر تيرا يقال له أبو عبد الله. وأن بين بغداد وبين ذلك البلد

<sup>١</sup> يزيد ق، ط: وهلا دخل بالله وخرج بالله أو كان من الصديق.

نحو عشرين مرحلة كلها قفار معاطش لا يعمرها إلا الحيات والثعابين. وأنه قال له إنك ستبليغ في ثلاث ولا ترى بأساً. بلغ في ذلك سالماً وأنه بي عن الشيخ الآخر أياماً فرده إلى بغداد وبلتها في ذلك أيضاً. وأنه أمره الشيخ عبد القادر بالتوجه إلى بلاد المغرب لزيارة الصالحين. فلما رأيت ذلك طمعت أن تكون له رائحة. وكانت لي حاجة فأردت استنجاده فيها.

١٠٣٥ فركت الصالح وكانت تعترف به فخرتك وصالح. فلما تحرك تحرك ذلك الرجل وكثير اضطرابه وزعيقه. ثم وعد بال الحاجة لأمد قريب وزعم أن الشيخ عبد القادر هو الحاكم بذلك. فلم يلبث أن حل الأجل ولم يقع ذلك وروج فلم يوجد عنده حاصل فعلم أن الشيطان استقرَّه. فقتل للصالح ارجحًا مطالية ونصحاً [سرع]

أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ يَا صَاحِ  
مَنْ هُوَ عِنْدَ رَعْمِهِ صَاحِ  
وَإِذْ بَدَا مَا قَالَهُ رَائِقًا  
فَهُوَ لِعْنِي الْكَاذِبُ الظَّاهِ  
يَلْعَبُ شَيْطَانٌ بِهِ جَهَنَّمَ  
يَحْسِبُهُ الْقَطْبُ الَّذِي يَدْعِي  
فَانْصَحَّهُ كَيْ يُقْلِعَ عَنْ غَيْرِهِ  
تَقْوِيَ الْإِلَهُ وَأَعْتِصَامٌ بِهِ  
هَذَا الْعَمْرِي غُنْيَةُ الْمُغْنَى  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْلَمُوا إِنَّمَا  
عَبْدُ الْإِلَهِ الظَّاكِفُ الظَّاجِ  
مَنْ يَعْبُدُ الْمَوْلَى وَيَعْتَنِي بِهَا  
يَعْنِيهِ لَا وَانِ لَا مَا نَاجَ  
وَلَا أَخُودُ دُعَوَى وَلَا مُفْتَرٍ  
وَلَا عَنُودٌ عَنْ سَيْلِ الْثُقَى  
وَلَمَرْدُ لَا يَجِئِي سَوَى عَرَسِهِ  
غَادِ إِلَيْهِ كَسْبُهُ رَاجِ  
وَهُوَ لِكَا يَعْتَصِمُ فِي نَفْسِهِ  
مِنْ مَأْرِبٍ يَقْتَادُهُ كَادِحُ  
وَالظَّبْعُ مَلَأُ زِمَامِ الْقَتْ

وَالْأَصْدِقُ سَيْفٌ صَارِمٌ حَدَّهُ كَشَافٌ كُلُّ مَعْوَصٍ فَاتَّحْ  
وَكُلُّ مَنْ أَسَرَ مَكْتُومَةً فَوْجَهُمَا فِي وَجْهِهِ لَامْ  
إِنْ تَكْ نُورًا فَهُوَ مِنْهَا مُضِيٌّ أَوْ ظُلْمَةً فَهُوَ هُكَالُ  
وَمَنْ يُرْمُهُ تَيَّلَ الْمَنَى بِالْمَنَى فَهُوَ عَنِ الْفَوْزِ هُكَالُ  
وَمَنْ يَخْمِمْ عَنْهَا وَلَا يَقْتَحِمْ أَبْوَابَهَا فَهُوَ أَمْرُؤُ دَالِحٍ  
وَمَا عَلَى الْمَرْءِ سَوَى جَدَّهُ وَجْهَهُ دَالِحٍ

وقد انحصرت دعاويمهم في الحِدَثَانِ والكَوَائِنِ وَمَارِبِ النَّاسِ. ولم يرتقوا إلى ما فوق ذلك لجهلهم. فاشتغلوا بما يطلبه العوام من الأمور المذكورة. وذلك لوفق لهم دون ما فوقه لكان أمراً تافهاً لا يلتفت إليه ذوهمة. فإن أولاء الله تعالى يكشف لهم عن الذات والصفات والأسماء كشفاً لا تبلغه العقول وعن ملكوت السماوات والأرض وعن العرش والكرسي والجنة والنار والملك والروح وغير ذلك.

فمن لم يبلغ ذلك واظلم على كون المسافر يقدم غداً وفلان يتولى وفلان ينعزل وفلان يتزوج ونحو ذلك وفرح به. كان بمنزلة من دخل سوقاً فيها صيارة الذهب والفضة والمجوهر والياقوت وباعة الحرير وسائل البز والعبيد والخيل والإبل والبر والأرز. فوقع على بائع نبق فاشترى منه النبق وذهب به فرحاً وقال إنه قد تسوق كما تسوق الناس. ولا ريب أن ما ذهب به يفرح الصبيان به ومن لا عقل له من النساء. وكذلك الكوائن يفرح بها صبيان العقول وكل من لم يبلغ مبلغ الرجال من عوام الناس.

ومنهم من يستخدم جينياً فيأتيه بخبر الناس وخبر من يرد عليه مثلاً وما أتى به من الهدية وما وقع له في الطريق. فيخبر بذلك قبل مجئه ويخبره إذا ورد. فلا يشك العوام أنه كشف ربائي وأنه من أولاء الله وقد يكون من أعداء الله كما أخبرونا عن رجل ممن تصدر للمشيخة والناس مقبلون عليه. فأتى رجل إلى مسجده فجلس في زاوية منه. فإذا بالمرابط قد دخل فنظر يميناً وشمالاً فلما لم ير أحداً رفع ثوبه وجعل

يول في المسجد يميناً وشمالاً حتى نجسه. فحينئذ خرجت جنّة فثلت بين يديه. فقال لها أي شيء جئني به؟ فقالت ذهبتي إلى قيلة بني فلان فلم أزل أحرضهم على الزيارة حتى اتفقوا وجمعوا من الهدية كذا وكذا وهم خارجون يوم كذا. فخرج المرابط إلى مجلسه فقال تهیئوا لبني فلان فإنهم قادمون عليكم بهدية كذا. فلما قدموا قالوا قد أخبرنا الشيخ بكم وبما جئت به منذ يوم كذا. فهذا والعياذ بالله كافر والكرامات تمحسّب له.

ومنهم من يستند إلى التجيم وعلم الاقترانات وإلى خط الرمل أو نيروجات أخرى ١٤٣٥ تشبهه. ومنهم من يحتال احتيالاً فإذا قدم الوفود مثلاً دس إليهم من يسألهم عن سفرهم وما وقع لهم فيخبره ذلك. فإذا خرج جعل يشير إلى تلك الأمور فيقولون قد اطلع الشيخ على أحوالنا. وقد يحتال في ساعته فينظر مثلاً إلى من بين يديه ثم يبتسم أو يحرك رأسه أو يقول سجان الله أو لا إله إلا الله ويكون ذلك الشخص قد خطر له شيء. فيقول ما فعل الشيخ هذا إلا على ما في قلبي. وفيهم من ذلك إنما تجحجاً وإنكاراً وإنما استحساناً. ويعده مظلعاً على ذلك وهو لم يطلع وقد يتكلم على ما في خاطر السامع صريحاً فلا يشك السامع في أنه كشفُ ويكون إنما خطر له ذلك اتفاقاً حين خطر للآخر كأيقع المهاجر على الحافر. فتكلّم عليه ولا اطلاق له.

وقد يتكلّم بكلام في غرض فيحمله السامع على أنه إشارة إلى ما في قلبه أو حاجته ١٥٣٥ وإنّه كشف بذلك. وأكثر ما يحكى من هذا النوع في أهل الزمان إنما هو من أحد هذه المداخل احتيال من المتبع أو جهل من التابع. والعموم يستطعون من لا ينطق ويفسدون من لم يفسدُ. فهم الشياطين في زر المؤمنين وما بالك بشيطان في زرِّي محب؟ وإن استعدت منه عاداك ووقع فيك في الغيب بالإذابة زيادة على ما فعل في الحضور. فهو شرّ من الشيطان الآخر بكثير. فكن منهم على حذر كما قيل: [وافر]

**فَفَّ أَبْنَاءَ جِنِّسَكَ وَأَخْسَرَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الْأَصْرَارَغَمَ وَالسَّبَقَتَيْ  
وَخَالَظَّهُمْ وَزَالَهُمْ حِذَارًا وَكُنْ كَالسَّابِرِيَّ إِذَا لَمَسْتَهَا**

واعلم أن أشرف ما يكشف به العبد ما يرجع إلى معبوده تعالى من معرفته وما له  
١٠٣٦ من الجلال والجلال ومن أسماء علية وصفات سنية كما مرّ. ثمّ ما يرجع إلى حكمته في  
ملكته ثمّ ما يرجع إلى أحكامه من معرفة ما تعبد به عباده أصلًا وفعلاً وكل علم يعين  
على ذلك. وقد وقع في كلام الشيخ الصالح أبي عبد الله السنوسي رضي الله عنه حين  
تكلّم عن مذهب أهل السنة في أفعال الحيوان وأنهم أطّلعهم الله على المعنى الجامع  
بين الحقيقة والشريعة وتجنبهم جاني القدر والجبر ذلك. فقال هذا هو الكشف الذي  
ينبغي أن يسمى كشفاً لا ما يتعلّق به المأهلون من أحلام شيطانية يتوهّمونها كرامات  
وهي استدرجات أو نحو هذا من الكلام.

٢٠٣٦ فهذه الجملة كلّها كلما يزداد فيها العبد ازداد كلاماً لأنّه أمر مطلوب منه الاطلاع  
عليه. فطلبـه قُبـة وحصولـه درـجة وجودـه منفـعة. وأمـا ما خـرج عن هـذا من جـزيـات  
الكونـ التي هي مـتعلـقات القـضاـء والـقدـر ولا يـتعلـق بها حـكـم فـليـس مـطلـوبـة من  
الـعـبد. إـذـا أـخـفـيت عـنـه فـأدـبـه أـنـ لا يـشـغـلـهـ بـها شـغـلاً بالـلهـ تـعـالـى وـبـالـلهـ تـعـالـى عـلـيـهـ.  
فـإـنـ رـزـقـهـ اللـهـ مـعـرـفـتـهـ وـشـغـلـهـ بـماـ لـهـ عـلـيـهـ وـغـطـىـ عـنـهـ مـلـكـتـهـ وـتـرـكـهـ كـذـلـكـ حـتـىـ يـلـقـاهـ  
مـوـفـرـاًـ. فـقـدـ أـسـبـعـ عـلـيـهـ الـعـمـةـ وـحـمـاهـ مـنـ جـمـيعـ مـوـارـدـ النـقـمةـ. وـإـنـ أـطـلـعـهـ عـلـىـ شـيءـ  
مـنـ ذـلـكـ فـلـيـعـمـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ جـدـوـيـ لـهـ فـيـ بـابـ الـعـبـودـيـةـ. وـإـنـماـ فـيـهـ أـمـرـ وـاحـدـ وـهـوـ  
أـنـ الـكـرـامـةـ كـلـهاـ فـيـ الجـمـلةـ إـنـ صـحـتـ دـلـيلـ عـلـىـ صـدـقـ مـنـ ظـهـرـتـ عـلـيـهـ وـعـلـامـةـ عـلـىـ  
الـخـصـوصـيـةـ وـتـثـيـتـ لـقـدـمـ مـنـ أـرـيدـ تـثـيـتـهـ فـيـ الطـرـيقـ مـعـ مـاـ يـنـضـافـ إـلـىـ ذـلـكـ مـنـ  
الـشـكـ وـمـنـ الرـجـاءـ وـالـخـوفـ.

٢٠٣٧ وفيها مع ذلك من المخاطرة خوف الركون والمساكنة لها والملک. كما قيل إنها خدعاً  
من الحق للمتوجّهين ليقفوا على الحد الذي أريد بهم ولا يتجاوزوا إلى مقام لم يكن  
لهم. وذلك فيمن أريد بذلك نسأل الله العافية. فحق العبد التسليم والاعتناء بمحقوق الله  
والإعراض عن حظوظه. وإن طلب شيئاً من ذلك طلبه بإذن ليصير من الحقوق كما  
أنه أيضاً لا يهرب منها إلا بأدب لئلا يصير الهرب من الحظوظ.

وهذا الكلام ربما يحتاج إلى تفسير غير أنا نقتصر . فقد خرجنَا أو كدنا نخرج  
 عَمَّا نحن فيه . ومنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الرَّئْتَرُكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ . واعلم أنَّ ما ذُكِرَ منْ أحوال  
 المدعين على وجه النصح لهم ولمن يفترض بهم . إنما أردنا تخليده في بطون الأوراق  
 ليقع عليه الخواصَ أهل الأدب والفقه الذين يضعون المنهاء موضع النقب فيعطون  
 كُلَّ ذي حقٍ حقَّه مع حفظ الحُرْمَةِ وإقامة حق النسبة كما أشرنا إليه في صدر  
 هذا الكلام .

ولم نزد أنْ فتحَ البابَ لِكُلِّ جامدٍ على الظاهرِ أو خيَطَ جريءَ على أهل النسبة  
 مسقط للحرمة فيتخذ مثالب للتنسبين إلى الله تعالى فاكهةً ويمرق أديمهم في مجالس  
 السفهاء حتى يدخل الوهن على النسبة والطعن في الخروقة . فيُرِي العُرْيَانُ باللابس  
 ويخترق الرطب باليابس . ويلعِمُ الجاهل الجمودَ أنَّ هذه الْأَمَّةَ المطهَّرَةُ المشَّرَّفةُ كالمطر  
 لا يدرى أولها خير أم آخرها . ولا تزال طائفة منها ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من  
 خالفهم كما أخبر به الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

في كل زمان سادة وفي كل قُطْرٍ قادة فكم من طالع في الدين كالشمس وإن لم يصره  
 العُجُّي والمُعْسُ؟ وكم من محبوب يرفل في حل الأنس والإدلال ويرتضع كؤوس الجمال  
 والإجلال؟ لو تحمل الشفاعة في قرنين قبلاً ققيلاً لكان ذلك في جنب حظوظه من  
 مولاه قليلاً . وكم من ولی أرخي عليه الحمول ذيلاً وصار نهاره في أعين أبناء الدهر  
 ليلاً . فأصبح من ضنانَ الله بين أوليائه يلعب بالدهر كلاعب الدهر بأبنائه .

وقال أبو نواس: [طويل]

سَرَّتْ مِنْ دَهْرِي بِضَلْلِ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
 فَلَوْتَسَأَلَ الْأَيَّامَ عَيْنِي مَا دَرَثَ وَلَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي

وقال الآخر فيهم: [بسيط]

الله تَحْتَ قِبَابِ الْعَرْضَاتِ أَخْفَاهُمْ فِي رِذَاءِ الْقَرْبِ إِجْلَالًا  
هُمُ الْسَّلَاطِينُ فِي أَطْمَارِ مَسْكَنَةٍ جَرُوا عَلَى فَلَاكِ الْحَضْرَاءِ أَدْيَا لَا  
غُبْرٌ مَلَائِسْهُمْ شُمْ مَعَاطِسْهُمْ أَسْتَعْبُدُوْا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ أَقْيَا لَا  
هُذِي الْكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبِنِ شِيَّا بِمَكَاءِ فَعَكَادَا بَعْدُ أَبْوَا لَا  
هُذِي الْمَنَاقِبُ لَا ثَوْبَانِ مِنْ عَدَنِ خَيْطَكَ قَمِيسًا فَعَادَا بَعْدُ أَسْمَالًا

والبيت الرابع لأمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن وهو مشهور.

وك من راكع ساجد أو متورع زاهد لا يدري الملاهل من ساحة المقربين؟ لكونه  
٩٣٦ لم ير عليه سيماء العارفين ولا بهجة الحبيبين. ولم يدر أن الزهر ألوان والترصنوان وغير  
صنواني والعبيد كلهم عبيد الحضرة من ممسك الكأس إلى مشتري الحضرة. غير أنه  
لكل حد مرسوم «وَمَا مِنَ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ». فعليك بحسن الظن وسلامة  
الصدر لل المسلمين وحفظ الحرمة لأهل الدين والتغافل في عين الحذر والتبصر فيما  
تأتي وما تذر والله الموفق. الله الأمر من قبل ومن بعد.

١٠٣٧ حديثي الأخ الصالح الفاضل أبو عبد الله محمد الصغير بن أبي عمرو المراكشي رحمه  
الله ورحم سلفه. قال أخبرني الوالي الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلاي أن شيخ  
المشائخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملاياني لم يكن في وقه يطعم في زاويته.  
فقالوا له في ذلك فقال نحن أردنا انتقام المسلمين فإذا قتانا وبناتي وتعينا واحرقنا في  
طعام المريد الزائر فأي نفع يحصل له؟ وفي المعنى أيضاً كلام يتشعب ونحن نختصر  
منه قدرًا صالحًا إن شاء الله.

٢٠٣٧ فقول إن الزاوية المشهورة بها اليوم عند أهل الطريق من إطعام الطعام للوافدين  
والمساكين ولللازمين على الدوام حتى صارت عند العوام كأنها من الفروض أو  
الشروط. لا يعلم لها من حيث خصوصها أصل ولا يجري لها ذكر في الكتاب ولا  
السنة. وإنما مرجعها إلى القرى وإكرام الضيف. ولا شك أنه مأمور به. في الحديث

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ولتكنه أمر مشترك بين جميع المؤمنين لا يختص بالصوفي ولا القدوة وإن كان هؤلاء أحق بمنازلة كل خلق محمود.

وكان صلى الله عليه وسلم يقرى الضيف ويحضر أصحابه على ذلك. وربما ورد ٢٠٣٧ الضيوف فيذهب بعضهم ويذهب أصحابه بالباقي. ويقول من كان عنده طعام واحد فيذهب بثان ومن كان عنده طعام اثنين فيذهب بثالث وهكذا. وكان عنده أصحاب الصفة نحو أربعين رجل وهم أضيفاء الإسلام. وكان إذا أتته صدقة دفعها إليهم وإذا أتته هدية أخذ منها معهم. وربما يدخل إلى داره حتى إذا لم يجد شيئاً دفع الضيف إلى غيره.

ولا شك أن هذا كله يكون أصلاً للإطعام في الجلة من غير اختصاص بكيفية ٤٠٣٧ ولا بد وام ولا تعميم للناس مع أنه صلى الله عليه وسلم اجتمع له أحوال الظاهر والباطن والولاية والخلافة. فمن حالة الشريف يسمى الموقّع من كل صنف. ثم كان الخلفاء بعده يطعونون على حسب سيرتهم المعلومة ثم الملوك بعد ذلك. اللهم الأمر من قبل ومن بعد.<sup>١</sup>

ولما ظهرت الصوفية لم يعرف من حالمهم وجود هذه الرواية والقيام بكل وارد ٥٠٣٧ من الجنس وغير الجنس كما هو اليوم. بل كانوا رضي الله عنهم معينين بما يعنיהם فنهم المنقبض عن الناس شغلاً بحاله ومنهم الحالط ينفع الناس منه بعلمه ومعرفته وأدابه. وقد يكون منهم من يستقر بين أظهر الناس ومنهم من يكون سائحاً إنما يلقي في الخلوات والفلوات. وقد يكون منهم من يكون أصحابه هم الذين يقومون بمئنته أو يسأل قدر قوته. فكان أبو جعفر الحداد وهو من أكبر المشايخ يخرج بين العشائين فيسأل من الديار حتى يحصل على القدر المحتاج في ليلته فيرجع. قالوا وكان له قدم في التوكل معروف ولم يُرِر به ذلك عند أحد.

نعم تكون لهم رباطات فيكون فيها المترددون من أصحابهم للعبادة كشبه حال أهل ٦٠٣٧ الصفة. وذكر اليافعي رحمه الله في ذلك حكاية عن الإمام أبي بكر الشبلي رضي

<sup>١</sup> سقطت الجلة من ط.

الله عنه. قال كان عنده في رباطه نحو أربعين مريداً يعودون ويعيشون بالفتح. وأنه اتفق له ذات مرة أن يفتح عليهم شيء حتى صافوا فخرج الشيخ إليهم خدثهم في مقام التوكل وحضتهم على الصبر. ثم ذهب عنهم فبقوا بعده أياماً آخر لم يأتهم شيء فلختهم الضرورة. فلما كان ذلك خرج إليهم فقال لهم إن الله تعالى أمنا بالتوكل ورخص لنا في الأسباب فتسبيوا.

ففعلوا ذلك وخرج الواحد منهم إلى البلد وجعل يجول في الأسواق والجامع من غير أن يسأل أحداً. وإنما يعرض نفسه لما يفتحه الله تعالى من رزق. فلم يفتح عليه بشيء حتى انتهى إلى طيب نصراي قد حل الناس عليه وهو يصف لهم الأدوية. بجلس بين يديه ومدد إليه يده ليحسن بنضه بلا كلام. فجس الطيب يده فقال له أنا أعرف مرضك وأعرف دواؤه. ثم قال لغلام له على برطل من الشوأ مع خبز وحلواه. فأحضر الغلام ذلك. فقال الطيب للفقير أنت جائع وهذا دواؤك. فقال الفقير إن كنت صادقاً فن ورأي أربعون كلهم بهذا المرض. فقال الطيب لأصحابه أحضروا من هذا الطعام ما يكفي أربعين. فأحضروا ذلك فأمر الطيب من يحمله وأمر الفقير أن يمشي معهم إلى أصحابه. فلما خرجوا بهم الطيب مستخفياً لعلم أصدق الفقير أم لا. فأدخلوا ذلك إلى الباط واستدعوا الشيخ فخرج اليهم فوضعوا الطعام بين يديه فقال ما هذا؟ فقص عليه الفقير القصة على وجهها. فقال لهم أفترضون أن تأكلوا طعام رجل من غير أن تكافئوه؟ فقالوا فكيف نكافئه يا أستاذ؟ فقال تدعون له. فأخذوا في الدعاء له.

والطيب في كل ذلك ينظر إليهم من طاق. فلما رأى صدق القول ورأى حالهم من المحافظة على الحقوق وارتفاع هممهم مع غاية الحاجة من غير أن يتناولوا الطعام قبل المكافأة التي الله تعالى الآيات في قلبه. فدخل عليهم وقال للشيخ مدد يدك وتشهد شهادة الحق ودخل في صحبتهم فصار من الصوفية والله الحمد. فانظر أيها الناظر في حكمة المولى المنفصل كيف أمسك عن أوليائه الرزق ليخرجوا إلى الخلق فيصطادوا هذا الولي الرومي حين حان أوان الوصال والخروج من سجن القطيعة إلى

حضره مولاه . فسبحان من يقرب من يشاء وهو ذو الفضل العظيم . وإنما هي السابقة وكل ميسر لما خلق له . فكم من ولی لله تعالى في وسطه زنار وكم من كافر يؤذن فوق النار ؟ نسأل الله تعالى السلامة والعاافية . ويظهر من القصة أن هؤلاء القراء يأتيهم الفتوح لرباطهم لأن الطعام يخرج لهم من دار الشيخ كما جرى في عرف اليوم . بل قد أشركوا الشيخ في طعامهم في هذه القصة .

وكان بعد ذلك الشيخ يوسف البجي فيما حکى من سيرته يخرج الواحد من أصحابه ٩٠٣٧ ويذهب بداعية معه . فيسأل النهار كله إلى الليل وما اجتمع يأتي به إلى الفقراء وبذلك يعيشون . وصورة السؤال أن يقف بباب الدار والحانوت فيقول الله ويمد بها صوته حتى يكاد يغشى عليه ويسقط . قالوا وكانوا يتناوبون في الخروج بينهم وبين الشيخ يخرج الخارج يوماً لأقصهم ويوماً للشيخ . فكان الخارج لهم يأتي بالدابة موقرة كما وخبرأً وجناً وبصلأً وغير ذلك .

وفي يوم الشيخ إنما يأتي بكسريات يأكلها فقير واحد . فقالوا له في ذلك فقال أنت ١٠٣٧ بشيركم باقية فينكم وبين الخلق ارتبط فيعطونكم . وأنا بشيري قد فنيت حتى لا تكاد ترى فليس بيني وبين التجار والسوقة وأبناء الدنيا كبير مجانية . قالوا وكان يأمر بإغلاق باب الزاوية طول النهار لا يفتح لأحد إلا للصلة . وإذا دق أحد يقول للنقيب اذهب وانظر من شق الباب . فإن كان معه شيء من الفتوح للفقراء فافتح له وإنما هي زيارات فشارات . فقال بعض الناس في ذلك فقال الشيخ أعز ما عند الفقير وفته وأعز ما عند أبناء الدنيا مالهم إن بذلوه لنا بذلنا لهم وقتنا .

وقد شاع اليوم إقامة الصوفية الزوايا بإطعام الطعام ولا سيما في بلادنا المغربية ١١٣٧ وخصوصاً في البوادي . وما يكون من فتوح يأتي إلى يد الشيخ وهو ينفق فيه على المجاورين والواردين . وهذا قد كان فيهم من قديم . في ترجمة الشيخ أبي يعزى أن الناس كانوا يأتون إليه من كل بلد فيطعمهم من عنده ويعلف دوابهم . وأن الفتوح كانت تأتيه من إخوانه في الله تعالى فينفقها على زائريه .

وأنَّ أهل القرى القرية منه كانوا يضيوفون الوافدين لزيارة أبي عزى ويتربكون ١٢٠٣٧ . فلما مات أبو عزى رِيَءُ في النوم وهو يطير في الهواء . فقيل له بم ثلت ما ثلت ؟ فقال بإطعام الطعام . ويحكي عن الشيخ أبي محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغى أنه كان يقول طلبنا التوفيق زماناً فاختلطاته فإذا هو في إطعام الطعام . وقد أشتهر ذلك اليوم حتى إنَّ عوام الباذية يرون ذلك كأنه شرط فيمن انتصب للزيارة أو تصدى للمسجنة . وبعدون قوة ذلك وتبسره من كراماته ولا يبالون بمن لم يروا ذلك على يده . فوقع في ذلك منافع عظام وأفات جسام .

وأهل الزوايا مختلفون منهم من يطعم الناس من مال أبيه أو من كديمه من غير أن يدخل عليه قبح أصلاً فهذا أقرب الناس إلى السلامه وأبعد عن الشبهة . وهو متყع بحصول الأجر فيما أفق وفي سد خلة الحاج وفي ترغيب الناس في الخير بما يحصل لهم من الميل الطبيعي وفي اجتماع أهل الخير عنده وفي تعاونهم على البر وتعلم العلم والأدب والمعرفة وتربية الخير وإحياء مراسم الطريق وكثieran سواد أهله وغير ذلك من الوجوه المستحسنة والمصالحة المتينة . وينتفع الناس معه بما ذكر وبحسن الظن به وبالطريق وبأهلها وبسلامتهم من كل ما يقابل ذلك من الآفات . إن كانت لا تأتيه الفتوح فذاك وإن كانت تأتيه ويرذها فلا شك أنها حالة رفيعة . ولكن لا بد أن يحذر آفة الرذَا كما يحذر آفة الأخذ ولا سيما في الرذ على إخوانه وأتباعه .

ومن الآفات المشاهدة اليوم في ذلك أنَّ الشَّيخ عيادةً بالله قد غلب على الناس ولا سيما فيما هو لله خالصاً إذ لا باعث عليه من النفس . فتجد الفقير يتقل عليه أن يتصدق بدرهم لمسكين محتاج ويتيم وأرملة . ويختفَّ عليه أن يكل الدينار والدينارين إلى دار شيخه وذلك إما لبواعث شهوانية كطلب الأعواض العاجلة أو مساعدة الغير أو المراية أو نحو ذلك وإما تصريف من الله تعالى وتسخير في هذا الوجه . ثم إن رذ عليه شيخه ذلك وأغلق عليه بابه اغلقت عليه أبواب الخير والنفقة . فبأي وجه يرتاض في صفة البخل حتى يخلُّ منها أو مجرد الموعظة والتذكير من شيخه من غير أن ينذرها بالفعل ؟ وهيهات منه ذلك . فإذا كان كذلك كان شيخه قد غشَّه في تربيته له .

ولو أنه قبض منه ذلك وأنفقه له في وجوه الخير كان أعود عليه وأرجى لاعتياده ذلك في جهات أخرى وللحصول نور ينفع به.

فـ<sup>١٥٣٧</sup> نعم الأمر محظوظ والناس فيه ثلاثة. رجل طالب دنياً كُلّ بدينه يقبض لنفسه شهوة. فهذا فاسد مفسد وربما انتفع معه من أنفق لله تعالى إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. ورجل صادق في حاله غير كامل في تصرفه يخشى العطب في الأخذ ويؤثر جانب السلامة. فهذا سالم في نفسه ولا يربح معه للناس من هذا الوجه. ورجل كامل قد تضلّع من العلم والحال فهذا حقه الأخذ لحق الغير نصحاً له وإعااته له على الخير. اللهم إلا أن يعرض ما يمنع كاظلاعه على اختلاف قصد المتصدق أو فساد في المال أو نحو ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من أصحابه ما يأتون به من النفقة إعانة لهم على الخير وتنزية لهم عن الأخلاق المذمومة وتفعّل للمسلمين بما أنفقوا. إلا فهو صلى الله عليه وسلم أغنى الخلق ظاهراً وباطناً. وقد عرض عليه أن تجعل له الجبال ذهبًا يتقن منها فلم يرض وقد لا يقبل لعوارض. وقد قال صلى الله عليه وسلم في آخر الأمر هممت إلا أقبل إلا من قرشي أو ثقي أو دوسي. والكامل من المشايخ له مدخل في ذلك.

ومنهم من يطعم من الفتوح أو من الأمرين فإن استقام أحدهُ وتصرفه فهو ينفع بما مرّ في الأول. وإن كان لا يبلغ فيأجر النفقة مبلغ من أنفق في كديمه وعرق جبيه ويعاونة الناس على الخير وإدخال السرور عليهم في الأخذ وتربية أحوالهم المحمودة وتركيمهم من المذمومة وبالسلامة من الانفة والاشتهار بالزراهة المتوقع في الأول وبتيسّر رزقه في خلال ذلك ليتفرغ للعبادة إلى غير ذلك من المنافع الدينية والمدنية وينفع الناس معه بما مرّ والمنفقون بذلك مع حصول أجراً من أنفقوا والتخلي والتخلي كما مرّ وغير ذلك.

ومن سوى هذين الشخصين من كلّ من يستظهر بالحرقة ويتجبر باللقممة فلا عبرة به. وقد ينفع المنفق كما مرّ إن سلم من أتباعه على زيفه والسقوط في مهاوي بدعته. وهذا كله في الإطعام والإنفاق جملة.

وأما أكل المريد لطعام شيخه والنزول في مثواه وافتراض فراشه وغير ذلك من  
الانتهاكات فقد يسلم في ذلك وقد يحصل له انقطاع زيادة على السلامة كحصول بركة  
ونور في قلبه أو رحمة من الله تعالى بذلك. وقد جاءت امرأة من لكتاوية إلى دار  
أشياخنا وأظنه في حياة سيدي أحمد بن إبراهيم بقصد الزيارة. فأكلت من طعام  
الزاوية ثم رجعت إلى بلدها وبقيت أيامًا فماتت. ففيت بعد موتها فقيل له ما فعل الله  
بك؟ فقالت رحمي بالطعام الذي أكلت من الزاوية.

وقد يتضرر المريد بذلك من جهات منها أن يت Shawoff إلى ذلك أو إلى المزينة فيه  
فيفسد قصده ويختل حاله. ومنها أن يستشعر شيخه منه أحياناً ثقلاً في ذلك لما  
يقتضيه الطبع البشري فينفر منه وفي ذلك ضرره. وقد تذهب زيارته وخدمته في  
بطنه وذلك هو الخسران المبين. ومن ذلك وقع ما ذكر في صدر هذه الترجمة للشيخ  
أحمد بن يوسف من ترك الإطعام كقال. وقد يدخل عليه في ذلك من مراحمة  
الإخوان والواردين الشغل والفتنة والشحناه والتدارب والتقاطع وغير ذلك. وقد  
حدثونا عن شيخ شيوخنا سيدي عبد الله بن حسين الرقي رضي الله عنه أنه كان  
إذا ذهب مع الفقراء لزيارة شيخهم سيدي أحمد بن علي يأخذ معه زادًا تحت إبطه.  
فإذا وصلوا إلى زاوية الشيخ انفرد عنهم ودخل المسجد واستغل بحاله واقتات من  
زاده. فلا جرم أن كان هو الذي أبْنَجَ وأفْلَغَ هذا ولا يخلو شيء من مصالح وأفات  
والمعصوم من عصمة الله والموقق من وفقه الله والورع من ورعه الله. فلا يمكن  
الاعتراض على من أكل ولا من ترك ولا من أطعم ولا من ترك ولا من أشتهر ولا من  
اختفى اللهم إلا على من كان في ترتيبته على يده بوجهه. فمن عرف فليتبع ومن جهل  
فليسلم والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقية في محلها بشرطها.

وبلغني أن الفقيه الصالح سيدي الصغير ابن المنيار مرّ ذات مرّة بسيدي محمد  
بن أبي بكر الدلائي فأخرج إليه الطعام من الزاوية فلم يأكله بلغ ذلك ابن أبي بكر فذكر  
ذلك وكأنه اعتدى بما يقع من خدمة الناس في الحصاد والدرس. فقال له ابن أبي بكر  
أيما أفضل أنت أم جدك؟ يعني سيدي علي بن إبراهيم وقد جاءه بنموسى بسبعينيات

منجل ليحصدوا. فلما رأى عددهم قال لهم بخلكتنا يا بني موسى. فقال له سيدتي الصغير جدي أعرف بحاله وأقدر على ما يفعل وأنا أتصرف بمقدسي حالي أو نحو هذا من الكلام.

وقد يكون للولي حال مع الله تعالى فيسأل الناس ويأخذ من الله تعالى لا من الناس. ويتصرف بالله وفي الله ولا يصح الاعتراض عليه لاستقامته. وقد قيل للإمام الجيني إن النوري يسأل الناس. فقال دعوه في حاله ولكن هاتوا الميزان فوزن قدرًا من الدرابيم ثم أخذ قبضة من الدرابيم بغير وزن فقدفها على الموزون. وقال لصاحبه اذهب بتلك المجموع إليه.

فلما بلغ النوري قال النوري هات الميزان فوزن القدر الموزون ورده وأخذ الباقي. فقال له الحامل كثت عجبت من فعل الجنيد وأنه كيف خلط الموزون بغير الموزون. فأي فائدة للوزن؟ وفعلك هذا أتعجب مما هذا؟ فقال له النوري إن الجنيد رجل حكيم وإنه أحب أن يأخذ الحبل بطريقه فوزن قدرًا لنفسه وجعل الآخر لله تعالى ونحن قد أخذنا ما لله تعالى. فلما رجع الرسول إلى الجنيد بكى وقال أخذ ماله ورد علينا مالنا. فتبين بذلك أنه يأخذ ما لله من الله عن بصيره صادقة. فلا بأس عليه بذلك والله الموفق والمعين. لله الأمر من قبل ومن بعد.

كان بعض الطلبة من أصحابنا في قريه وكانت القرية قرية سوء وأهلها كذلك. ثم إن بعض الأصحاب رام لوم ذلك الطالب على الاستقرار فيها فقال له كيف تبقى في تلك القرية وهي كيت وكيت يعدد عليه مساويها. فقال الطالب أحمد الله وأشكره. فلما قال ذلك استحقمه اللأم وازداد في الإنكار عليه وأنه كيف يجد على هذا. فقال له الطالب قد رأيت كل ما ترون من مساويها وعلمت منها ما تعلمون أو أكثر. ومع ذلك فأجد قلبي غير نفور عنها فأحمد الله تعالى إذ قضى على الاستقرار فيها ولم يُفِّر قلبي عنها. فلو أنه تعالى قضى علي وكَهَا لي وأنا لا أجده بدًّا منها بحكم القضاء فما ترون يكون عيشي عند ذلك؟

فَلَمَّا قَرَرْتُ هَذَا الْمَعْنَى وَجَدُوهُ مَعْنِي لَطِيفًا تَبَّأْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ وَاللهُ أَكْبَرُ  
 ٢٠٣٨ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْدَعَ فِي طَبَعِ الْأَدَمِ مِيلًا إِلَى شَيْءٍ وَتَقْوِيرًا عَنْ شَيْءٍ وَيُسَمِّي الْأَوْلَ مَلَامًا  
 إِمَّا حَسِيًّا كَالشَّرَابِ وَالطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَالنَّكَاحِ فِي الْجَلَةِ وَنَحْوَ ذَلِكِ إِمَّا مَعْنِيًّا كَالعَزَّ  
 وَالْجَاهِ وَالرَّاحَةِ وَالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَنَحْوَ ذَلِكِ. وَيُسَمِّي الثَّانِي مَنَافًا إِمَّا حَسِيًّا أَيْضًا  
 كَالْعَذْرَةِ وَالْبُولِ وَالدَّمِ وَالْمِيَةِ وَالشُّوكِ وَالْجَرْحِ وَالضَّرَبِ وَالسِّجْنِ وَالْقِيدِ وَنَحْوَ ذَلِكِ  
 إِمَّا مَعْنِيًّا كَالذَّلِّ وَالْمِهَانَةِ وَالْعَزَّ وَالضَّيْمِ وَالنَّمَّ وَالْحَزْنِ وَنَحْوَ ذَلِكِ.

ثُمَّ إِنَّ الْأَعْيَانَ الْمُوجَودَةَ فِي الدُّنْيَا كَالْأَمْوَالِ الْمُكْتَسَبَةِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْحَيَوانَاتِ  
 ٢٠٣٨ الْجَمَادَاتِ وَالْمَيَادَاتِ مُثْلَ الْأَمْكَنَةِ وَالْأَرْمَنَةِ وَالْجَهَاتِ وَالْقُرْنَاءِ وَالْأَصْحَابِ وَنَحْوَ ذَلِكِ.  
 مِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الْقَسْمِ الْأَوْلِ مَلَامًا لِمَقَارِنَتِهِ لِلْمَلَامَاتِ كَالْأَغَامِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَكْلِ  
 وَالشَّرِبِ وَالرَّكُوبِ وَالْمُلْلِ وَالزِّينَةِ وَالرِّبَاعِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِشْتَغَالِ بِأَنْوَاعِهِ وَالنِّسَاءُ فِي الْجَلَةِ  
 لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِسْتِمَاعِ وَسَائِرِ الْإِنْتَقَاعِ. وَعَلَى الْخُصُوصِ فَيُمَنَّ وَجَدُ ذَلِكُ فِيْهِ حَقِيقَةً  
 أَوْ تَوْهِيمًا وَكَذَا فِي سَائِرِ مَا يَنْفَعُ لَهُ . وَلَذَا قَالَ تَعَالَى ﴿رُبَّنَ لِلْمَسَاسِ حُبُّ الْشَّهْوَاتِ مِنَ  
 النِّسَاءِ﴾ الْحُكْمُ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الْقَسْمِ الثَّانِي مَنَافًا لِمَقَارِنَتِهِ لِلْمَنَافِرِ كَالْسَّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ  
 وَالْعَقَارِبِ وَالْأَعْدَاءِ وَنَحْوَ ذَلِكِ . وَكَذَا الْأَمْكَنَةِ وَالْأَرْمَنَةِ وَالْجَهَاتِ تَكُونُ مَلَامَةً إِذَا  
 كَانَ ظَرْفًا لِلْمَلَامَاتِ وَمَنَافِعَ إِذَا صَارَتْ ظَرْفًا لِلْمَنَافِرِ وَهَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُعْتَادُ .

وَقَدْ تُخْرِقُ هَذِهِ الْعَادَةُ فِي سَيْنَاصٍ فَيُجْعَلُ فِي قَلْبِهِ مِيلٌ إِلَى غَيْرِ مَلَامٍ أَوْ فُرْقَةٌ عَنْ غَيْرِ  
 ٤٠٣٨ الْمَنَافِرِ . إِمَّا بِسَبِبِ كَالسُّحُورِ وَنَحْوِهِ أَوْ بِمُحْضِ الْحُكْمِ الْأَزْيَانيِّ . وَلَا بدَّ أَنْ يَتَوَهَّمَ فِي نَفْسِهِ  
 مَلَامًا فِي تَلْكَ الْحَالَةِ أَوْ مَنَافِعًا فَلَا تَنْتَقْصُ الْعَادَةُ الْجَارِيَّةِ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَ عَلَى الْعَبْدِ  
 قَبْلَ إِبْحَادِهِ كُلَّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَايِّ . إِنَّ قَدَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْقَى الْمَلَامَ فَمَنْدَمَا يَلْقَاهُ يَنْعِمُ  
 مِنْ جَهَتَيْنِ . إِحْدَاهُمَا وَجُودُ الْإِنْتَقَاعِ الَّذِي فِيهِ كَاقْرَنَا . وَالْأُخْرَى أَنْ قَلْبَهُ بِهِ فَيَكُونُ  
 كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَاقَعَ الْحَقُّ الْهُوَيُّ فَهُوَ الْعَسْلُ وَالْبَنْدُ . وَإِنَّ  
 قَدَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْقَى الْمَنَافِرَ فَهُوَ عِنْدَمَا يَلْقَاهُ يَعْذِبُ مِنْ جَهَتَيْنِ وَهُمَا التَّضَرُّرُ الظَّاهِرُ وَالتَّلَمُ  
 الْبَاطِنُ بِالْكَراَهَةِ . وَهَذَانِ التَّسْمَانِ فِي الْمَلَامِ وَالْمَنَافِرِ الْحَقِيقَيْنِ وَهُمَا وَاضْحَانُ جَارِيَانِ  
 عَلَى الْمُعْتَادِ وَوَرَاءِهِمَا أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ فَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ مِنَ الْمِيلِ وَالْفُرْقَةِ .

الأول أن يقضى عليه بعدم ملاقة اللائم ولا يخلق في قلبه ميل إليه حkal المجنين  
 أو يخلق له كراهيته. الثاني أن يقضى عليه بخلافة المنافر ولا يخلق في قلبه نفرة عنه  
 أو يخلق له الميل إليه. وفي كلا القسمين تقع السلامة من العذاب وإن لم يحصل فnim  
 أو يحصل nim موهم أو خسيس تابع لخسفة عقل صاحبه أو ضعف حسه كالصبي  
 الذي يأكل التراب. ومن القسم الثاني قصة صاحب القرية المذكور. الثالث أن يبتلى  
 بالميل إلى شيء ومحبته بحكم القضاء ملائماً أو غير ملائماً ولا يقضى له بخلافاته.  
 الرابع أن يبتلى بالنفرة عن شيء وكراحته بحكم القضاء منافاً أو غير منافر ويقضى عليه  
 بخلافاته. وفي كلا القسمين يقع العذاب والحننة بالنظر إلى الباطن. وإلى الأول يشير  
 المجنون في قوله: [طويل]

قَضَاهَا لِغَيْرِيْ وَأَبْتَلَنِيْ بِحُبّهَا فَهَلَا شَيْءٌ غَيْرَ لَنِيْ أَبْتَلَنِيَا

وكأنه يقول لو قضاها لي أي الرب سجنه بأن أتزوجها حين ابتلاني بحبها إنمت.  
 ولو لم يبتلني بحبها حين قضاها لغيري أن يتزوجها لاسترحت فلا أنا بحصولها في  
 يدي ولا أنا بخروجها من قلبي فهذا هو العذاب المبين.  
 وإلى القسمين معاً يشير الآخر في قوله: [بسيط]

مَنْ لَمْ يَعْشُ بَيْنَ أَقْوَامٍ يُسْرُ بِهِمْ فَعَيْشُهُ أَبْدًا هُمْ وَأَحْرَانُ  
 وَأَجْبَثُ الْعَيْشِ مَا لِلنَّفْسِ فِيهِ أَذْيَ خُضْرُ الْجِنَانِ مَعَ الْأَعْدَاءِ نِيرَانُ  
 وَأَطْبَبُ الْعَيْشِ مَا لِلنَّفْسِ فِيهِ هُوَيْ سَمُّ الْخِيَاطِ مَعَ الْأَحَبَابِ مَيْدَانُ

وحاسله تحكيم القلب وأنه المرجع في النعم والعذاب ولا عبرة بالحسوس إلا بما  
 فيه من التأدية إلى ما في القلب. وإلى هذا المعنى يشير الصوفية في النعم والعذاب  
 الموعود في الدار الآخرة. كما قال في الحكم النعم وإن تنوّعت مظاهره إنما هو لشهوده  
 واقترابه والعذاب وإن تنوّعت مظاهره إنما بوجود حبّه فسبب العذاب وجود الحبّ

وإنما النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم. وإلى هذا المعنى يرجع كل ما يذكر من الحنين إلى الأوطان النائية والبكاء على المراسم الخالية وذكر الأحباب النازحة والأيام الصالحة ومن مرارة الفراق ولوحة الاستيقاع. وما قيل في ذلك يملاً الأرض ويفوت الطول والعرض كقول الأول: [طويل]

وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الْأَرْضَانِ رَأَيْتُهَا سَوْيِ فُرْقَةِ الْأَحَبَابِ هَيْنَةَ الْخَطَبِ

وكتب المهدى وهو بمكة إلى الخيزران: [خفيف]

نَحْنُ فِي أَفْضَلِ السُّرُورِ وَلَكِنْ لَيْسَ إِلَّا يَكُونُ يَمِّ السُّرُورُ  
عَيْبٌ مَا نَحْنُ فِيهِ يَا أَهْلَ وِدَى أَنَّكُمْ غَيْبُونَ وَنَحْنُ حُضُورُ  
فَاجِدُوا الْمَسِيرَ بَلْ إِنْ قَدِرْتُمْ أَنْ تَطِيرُوا مَعَ الْيَاجِ فَطِيرُوا

فأجابته: [خفيف]

قَدْ أَثَانَا الَّذِي وَصَفَتْ مِنَ الشَّوْقِ  
لِيَتْ أَنَّ الْيَاجَ كُنَّ يُؤْدِي  
مِنْ إِلَيْكُمْ مَا قَدْ بَيْنَ الْضَّمِيرِ  
لَمَّا زَلَّ صَبَّةَ فَإِنْ كُنَّ بَعْدِي  
فِي سُرُورٍ فَدَامَ ذَاكَ السُّرُورُ

وقال أبو تمام: [كامل]

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَسِيَّةَ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفُرَاقَ عَلَى الْنُّفُوسِ دَلِيلًا

وقال أبو الطيب: [بساط]

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحَبَابِ مَا وَجَدَتْ لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

وقال أَحْمَدُ بْنُ رَجَاءَ الْكَاتِبُ أَخْذَ مِنِّي تَمِيمَ بْنَ الْمَعْزَجَارِيَّةَ كَتَبَ أَحْبَبَهَا وَتَجَنَّبَهَا.  
١٣٣٨ فَأَحْضَرَهَا لِيَلَةً فِي مَنَادِمَتِهِ فَنَامَ فَأَخْذَتِ الْعُودُ وَغَنَّتِ عَلَيْهِ صَوْتاً حَسِنَّاً مِنْ قَلْبِ قِيمٍ  
وَهُوَ: [مُنْلِعُ البَسيط]

لَا كَانَ يَوْمُ الْفُرَاقِ يَوْمًا  
لَمْ يُقِيقْ لِمُمْلَكَتَيْنِ نَوْمًا  
شَتَّتَتِ إِيمَانِي وَمِنْكَ شَهَادًا  
فَسَاءَ قَوْمًا وَسَرَّ قَوْمًا  
يَا قَوْمُ مَنْ لِي بِوَصْلِ رِيمٍ  
يُسُومِينِي فِي الْعَرَامِ سَوْمًا  
مَا لَامِنِي الْأَنْاسُ فِيهِ إِلَّا  
بَكَيْتُ كَمَا أَزَادَ لَوْمًا

فَأَفَاقَ الْمَعْزَمُ فَرَاغَهَا وَرَأَى دَمَعَهَا يُسِيلُ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ؟ فَأَمْسَكَتْ هِبَةً لِهِ فَقَالَ  
لَهَا إِنَّ صَدْقَتِي لَا يَلْعَنُكَ أَمْلَكُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهَا وَرَدَهَا إِلَيْهِ وَلَحَقَنِي  
بِخَاصَّةَ نَدْمَائِهِ.

١٤٣٨ وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ: [طَوِيلٌ]

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَحْلِلَ أَهْلُنَا<sup>١</sup> وَاهْلُكُ رَوْضَاتٍ يَطْنَنُ اللَّوْيُ خُضْرًا  
وَهَلْ تَأْتِيَنَّ الْرَّيْحُ تَدْرِجُ مَوْهِنَا<sup>٢</sup>  
بِرَيْحٍ خُرَاجِيَّ الْرَّمْلِ<sup>٢</sup> بَاثُ مُعَايقَا  
أَلَا لَيْتَنِي أَلْقَاكِ يَا أَمَّ جَنَدِرٍ

١٥٣٨ وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةَ: [بَسِيطٌ]

إِلَّا بَكَيْتُ إِذَا مَا ذَرْكَهُ خَطْرًا  
إِنَّ الْحُبَّ إِذَا شَطَّ مَنَازِلُهُ  
أَمْسَى يَعْدَادَ ظَبَّيِّ لَسْتُ اذْكُرُهُ  
عَنْ الْحَبِيبِ بَكَيْ أَوْحَنَّ أَوْ ذَرَكَ

١: أَهْلَهَا. ٢: الْرَّيْحُ.

١٦٠٣٨

وقال آخر: [وافر]

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسِيِّ تَحْمِدِي<sup>١</sup>  
 إِنَّا بَيْنَ الْمُنْيَفَةِ فَالضَّمَارِ  
 تَمَعَّنَ مِنْ شَمِيرِ عَرَارٍ بَحْدِ  
 فَمَا بَعْدَ الْعُشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ  
 أَلَا يَا حَبَّذَا تَهَكَّاثُ بَحْدِ  
 وَرِيَّا رَوْضَهُ بَعْدَ الْقِطَّارِ  
 وَاهْلُكَ إِذْ يَحْكُلُ الْمَجَّهُ بَحْدِ  
 وَأَنْتَ عَلَى رَمَانِكَ غَيْرُ رَزَارِ  
 شَهُورٌ يَتَقَصِّيْنَ وَمَا شَعَرْنَا  
 بِإِنْصَافِ لَهُنَّ وَلَا سِرَارِ

١٧٠٣٨

وقال الآخر: [طويل]

سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا لَنَا قَدْ تَسَابَعَتْ  
 تَمُرُ الْلَّيْلَى وَالشُّهُورُ وَلَا أَذْرِي<sup>٢</sup>

١٨٠٣٨

وللإمام سليمان الكلاعي رضي الله عنه: [طويل]

أَحَنُ إِلَى بَحْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي بَحْدٍ  
 وَقَدْ أَوْطَنُوهَا وَادِعِينَ وَخَلَقُوا  
 وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَهَا  
 مُحْبَّمُ رَهْنَ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ  
 وَشَاحٌ بِخَصْرٍ أَوْ سِوَارٌ عَلَى رَنْدِ  
 وَعَصْنُ الَّذِي لَاقِتَهُ مِنْ جَوَى يُرْدِي  
 كَانَ صُرُوفَ الدَّهْرِ كَاتَ عَلَى وَعْدِ  
 وَقَطْفُ رَهْرَ الْوَصْلِ مِنْ شَجَرِ الْمَتِّي

١ في معجم البلدان: "تهوي". ٢ يزيد ق: وقال أبو الطيب: لو لا مفارقة الأحباب ما وجدت / لها المانيا إلى أرواحنا سلا.

١٩٥٣٨

وقال الآخر: [طويل]

إِذَا أَشْرَفَ الْمَكْرُوبُ مِنْ رَأْسِ تَلْعَةٍ  
وَالْهَاهُ بَطْنُ كَانْجَرِيرِ أَطَافَةٍ  
وَمُطْرِدُ يَجْرِي مِنْ الْبَارِدِ الْعَذْبِ  
إِلَى شَعْبِ بَوَانِ سَلَامٌ فَتَّى صَبَّ

٢٠٥٣٨

ولا يخسر هذا الفن والاشغال به يطيل. الله الأمر من قبل ومن بعد.<sup>١</sup>

١٠٣٩

وكنت لما نزلت بخلفون على أم ربيع ذكرت من كان معنا في الرواية الدلائية من المعارف والأحباب. وكانوا يومئذ قد شرقوا الناحية تمسان. فقلت: [طويل]

سَلَامٌ عَلَى الْأَخْبَابِ غَيْرُ مُضِيعٍ  
لِذِي شَرَفٍ ذِكْرًا وَلَا لِوَضِيعٍ  
سَلَامٌ مُحِبٌّ لَا يَزَالُ أَخَاهُوْي  
إِلَى جَلَّةِ قَدْ شَرَقُوا وَنُزُوعٍ  
وَمَنْ يَسْأَلُ الْرَّبَّكَانَ عَنِّي فَإِنِّي  
حَلَّتُ بِيَسْتِي حَوْلَ أَمْ رَبِيعٍ  
فَالْفَيْتِهُ يَحْكِي رَفِيْرِي رَفِيْرِهُ  
يُقْلِبُ كَلَّيِي بِالْفِرَاقِ صَدِيعٍ  
وَيُسْعِدُنِي فِي عَبْرِي غَيْرَ أَنَّهُ  
يُخَالِفُنِي فِي مَهْبِطٍ وَطَلُوعٍ  
وَيَجْرِي إِلَى مَهْبِقِ الْجَنْوَبِ دُمُوعَهُ

٢٠٣٩

ولما كنت بمدينة مراسك حرستها الله تعالى سنة ثلاثة وسبعين وألف وقد بقيت الأمالاك في خلفون والكتب وما معها في مكتبة. وبقيت العلائق في جبال فازاز والقبيلة في ملوية. قلت: [طويل]

تَشَتَّتَ قَلْبِي فِي الْبَلَادِ فَقِسْمَةٌ  
بِمَرَّاکِشِ مِنْهُ عَلَى رَجْلِ طَائِرٍ  
وَأَخْرَى بِخَلْفُونِ وَأَخْرَى مُقِيمَةٌ  
بِمِكْنَاسَةِ آزِيَّتُونِ حَوْلَ الْدَّفَاتِرِ  
وَأَخْرَى بِفَارَازِ وَأَخْرَى تَجَرَّاثٌ  
بِمَلْوَيَةِ الْأَنْهَارِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ

<sup>١</sup> سقطت الجملة من ق.

وأُخْرَى بِذَاكَ الْغَرْبِ بَيْنَ أَحْتَى  
فِيَّا رَبَّ فَاجْمَعُهَا فَإِنَّكَ قَادِرٌ  
عُبَيْدُكَ لِلَّيْلِ الْمُشْتَبِطِ بِصَابِرٍ  
لَكَ الْفَضْلُ وَالْإِحْسَانُ بَدْءًا وَآخِرًا  
فَمَنْ يَأْنِعَامَ وَجْدِي بِحَاجَتِي  
فَمَا لِي إِلَّا بِكَ أَرِحَبُ مِلْجَاتِي  
وَمَا لِي إِلَّا جُودُكَ الْجَمَ شَافِعُ  
وَصَفْوتُكَ الْمَبْعُوثُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً  
صَلَاةً وَسَلِيمٌ عَلَيْهِ مَدَى الْمَدَى

وَأَهْلِ الْبَوَادِي مِنْهُمْ وَالْمُحَاوِضِرِ  
عَلَيْهَا وَمَا عَيْنَرُ الْإِلَهُ بِقَادِرٍ  
عُبَيْدُكَ لِلَّيْلِ الْمُشْتَبِطِ بِصَابِرٍ  
وَإِنِّي لِمَا أُولِيَّتِي جَدُّ شَاكِرٍ  
وَرَقْ قِلْبِ لِلْهُمُومِ مُسَامِرٍ  
وَمَا طَلَبَ الْحَاجَاتِ مِنْكَ بِصَابِرٍ  
وَحَسِبِي بَقِيَضٌ مِنْهُ أَغْرَرَ وَافِرٌ  
بَشِيرًا شَفِيعًا مُظْهَرًا بِالْبَشَائِرِ  
وَعِرْتَهُ وَالصَّبَبِ أَهْلِ الْبَصَائِرِ

وجرى يوماً ذكر البيتين اللذين أشد هما سيدنا بلال رضي الله عنه. وهما قوله:

[طويل]

الْأَلَيْتُ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً  
بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلٌ  
وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةً  
وَهَلْ يَدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ

فهاج لي إلى الأوطان اشتياق فقلت نحو هذا المسايق: [طويل]

الْأَلَيْتُ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً  
بِسَهْبِ الشَّنِينِ أَوْ بِسَهْبِ بَنِي وَرَا  
وَهَلْ تَرْكَنْ دَايَا وَأَدَوَاهَا وَرَا  
مِيَاهًا بِهِ تَنْكِي رَحِيقًا وَكَوْثَرًا  
وَهَلْ أَرَدَنْ عَسْلُونَ يَوْمًا فَالْشَّرَبَنَ  
وَهَلْ تَمَرَّحَ حَيْلِي بِدُرْوَةَ آمِنَا  
وَهَلْ أَكْلَنَ يَوْمًا جُفُونِي بِنَظَرَةَ  
وَهَلْ أَدْفَعَنَ جَيْشَ الْهُمُومِ بِسَطَةَ  
مَعَ الْجَيْحَى فِي تِلْكَ الْدَّيَارِ فَقُصْرَا

٤٣٩

ونهر العيبد هو وادي العيبد المعروف ومدينة داي هي المعروفة اليوم بالصومعة في تادلا. وإنما قال أدواؤها أي أمراضها لأنها كثيرة الأمراض والوخم.

ومن غريب ما اتفق لي في هذا البلد أنني مررت به حين سافرت إلى ناحية مراكش ٥٣٩ في طلب العلم فأصابتني الحمى منه. وذلك أول حمى أصابتني في عمري. ثم بقيت في تلك الواحي عدة سنين فلما رجعت ومررت به أصابتني أيضاً وكأنها كانت تنتظري. ولذا كان من جملة التي أتتني أن ترك هذه البلدة وأمراضها ورائي بالمحاورة إلى وطني. وكانت ذات مرة في بساتين خارج الحضرة المراكشية ثم سرينا ليلة لقصد زيارة بعض الصالحين. وركبت فرساً فما استويت عنه وبرد الليل. وكت أستحب السري فانبسطت نفسي. وتميتت أن لوكت على أععق من ذلك الفرس وذكرت الأوطان. فقلت ارجحأ أو شبه ارجحال: [كامل]

يَا سَرِينَةَ لَوْكُتُ أَسْرِيرِهَا عَلَى  
يَسَّابُ مِنْ تَحْتِي كَانَ ذَمِيلَه  
مَا يَنْ خُلَادِ قُوْخَاتٍ إِلَى  
فَإِذَا فُصِّلَتْ مِنَ السَّلَامِ عَلَيْنِكُ  
فَهُنَاكَ شَشِيقُ الْجَارِ وَشِيجَه  
صَلَى الْإِلَهُ عَلَيْهِ مَا وَكَ لِلْحَيَا  
وَعَلَى الْأَمَاجِدِ الْهَوَّ وَصَحَابِه  
يَا رَبَّ أَنْتَ رَجَائُنَا فِي نَيْلِ مَا  
لَا رَبَّ نَرْجُوهُ سَوَالَكَ أَمْمَكِنْ  
فَأَمْنَنْ عَلَيْنَا وَأَسْقَنَا إِنَّا لِنَفِي  
وَأَجْمَعْ بِصَفَوتِكَ الْأَجَلَهُ شَفَلَنَا  
وَأَخْتِمْ لَنَا مَعْهُمْ بِدِينِ قَيْمِ  
فَالَّذِينُ وَالْخَيْرَاتُ أَعَوْدُ مُقْتَنِي

نَهْدِي أَغَرَّ بَجَّلٍ يَعْبُوبٍ  
جَرَيَانٌ مَاءٌ فِي الصَّفَا مَضْبُوبٍ  
نَهْرِ الرَّمَالِ فَمُقْطَعٍ فَجَبُوبٍ  
وَهَفَتْ صَبَا فِي الْجَرَّذَاتِ هُبُوبٍ  
وَسَتَمْ عَرْفًا مِنْ شَدَا مَحْبُوبٍ  
فِي الرَّوْضِ مِنْ وَبَلٍ وَمِنْ شُبَّوبٍ  
مَا حَنَّ مَحْبُوبٍ إِلَى مَحْبُوبٍ  
نَرْجُوفَكُنْ لَعْبَيْدِكَ الْمَرْبُوبٍ  
وَخِدَانَ الْهَةِ لَنَا وَرُبُوبٍ؟  
ظَلَمَأِ عَلَى شَحْطِ الْنَّوَى وَدُبُوبٍ  
مَعْ إِحْوَهُ وَمَعَارِفِ وَحَبُوبٍ  
يَتَعَلَّقٍ وَشَوْقٍ مَشْبُوبٍ  
أَبَدًا لِكُلِّ مُشَمِّرٍ مَلْبُوبٍ

وجرى يوماً ذكر قصيدة ابن الخطيب التي أولها: [طويل]

٦٤٣٩

سَلَاهَلْ لَدِيهَا مِنْ مُحَبَّةِ حَبْرٍ وَهَلْ أَعْشَبَ الْوَادِي وَمَمْ بِهِ الْأَزْهَرُ

٧٤٣٩

فِيمَا أَيْضًا شَوْقٌ وَحَزْنٌ وَعِوْدُ الْفَوَادِ ذَكْرُ الْوَطْنِ وَالسَّكْنِ. فَقَلْتَ: [كَامِلٌ]

شِمَّ بَرْقُهَا أَعْلَى أَجَارِعِ ذِي أَضَانِ  
وَهَكَثْ فَأَتَرَعَتِ الْجَدَادِلَ وَالْأَضَانِ  
وَسَطَ الْحَشَانَ جَمْرَ الْفَضَانَ لِمَا أَضَانِ  
فَكَائِنَهُ مُذَدَّ لَاحَ فِي تِلْكَ الْبَنَانِ  
مَا زَالَ يُذْكَرِنِي مَعَاهِدَ جِيرَقِي  
هَذَا عَلَى أَنْ لَسْتُ قَطُّ بِمُغْفِلِ  
أَمْ سَاقَهَا لِجِيُوبِ دُرْوَةِ سُخْرَةِ  
وَأَدَارَ فَوْقَ نُجُودِهَا كَاسَ آتِيَا  
خَلَعَتْ أَهْفَ السُّجُوبِ أَرْدِيَةَ الْكَلَاءِ  
وَأَفَاضَتِ الْغُدُرَانُ حَتَّى عَاقَرَتِ  
مَا شِئْتَ مِنْ رَوْضِ تَرَاهُ مُذَهَّبَا  
بِلَدَ صَحِبِتِ الْعِيشِ فِيهِ أَخْضَرَا  
دَرَّتْ عَلَيَّ بِهِ الْأَمْكَانِي حُفَّلَاءِ  
وَلَسْتُ فَضَفَاضَ الْبَنَاهَةِ سَابِغاً  
وَأَسْمَتْ سَرْحِيِّي فِي الْطَّابِبِ مُمْرِعَا  
فِي فِتْيَةٍ قَدْ كَانَ شُرْبِي فِيهِمُ  
تَخَذِّلُوا الْمَرْوَةَ وَالسَّمَاهَةَ وَالثَّدَاءَ  
وَتَأَفَّلُوا كَالْمَاءَ وَالصَّهْبَاءِ فِي

الله الأعلم من قبل ومن بعد.

١٠٤ حَدَّثَنِي الْأَخْ الْفَاضِلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْعُودَ الْعِيسَوِيُّ الْعَرْفَاوِيُّ قَالَ سَافَرْتُ إِلَى بَلَادِ الْقِبْلَةِ ذَاتَ مَرَّةٍ فَمَرَرْتُ بِالْمَرْبَطِ الْخَيْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْعِيَاشِيِّ فَدَخَلْتُ لِأَزْوَرْهُ فَلَمَّا خَرَجْتُ قَدِمْتُ مِنْ قِبَلَتِي مُمْتَلَّاً قَوْلَ الشَّاعِرِ: [طَوِيلٌ]

جَفَوْتُ أَنْاسًا كُثُرَ الْفُوْرَقَ وَصَلَّمْتُهُ وَمَا بِالْجَهَنَّمِ عَنَّدَ الْضَّرُورَةِ مِنْ بَاسٍ  
فَلَا تَعْذِلُونِي فِي الْجَهَنَّمِ إِنَّمَا وَجَدْتُ جَمِيعَ الْمُشَرِّرِ فِي حَاطَةِ النَّاسِ

والمراد من الشعر ومن المثل به الاعتزال عن الخلق طلباً للسلامة لا ما يفهم من لفظ الجفاء.

٢٠٤٠ وفي الحديث خير الناس منزلة يوم القيمة رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخفف العدو ويخففونه. وفي رواية حتى يوت أو يقتل. والذى يليه رجل معترض في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعترض شرور الناس.

٢٠٤٠ وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال الطمع فقر واليأس غنى والعزلة راحة من جليس السوء وفريق الصدق خير من الوحدة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه كان الناس ورقاً لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه. وقال بعض الأئمة العزلة عن الناس توقي العرض وتبقي الجلالة وترفع مؤنة المكافأة في الحقوق الالزامه وتستمر الفاقة. وقد أولع الشعراء قدماً وحديثاً من هذا المعنى بالترنم بالناس والاستيحاش من الخلق وذم الزمان وأهله. فمن ذلك قول أبي العناية: [سريع]

بَرِّمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَقْتُهُمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ  
مَا أَكْثَرَ النَّاسِ لَعْنِي وَمَا أَقْلَمُهُ فِي حَارِصِ الْعِدَّةِ

٤٠٤٠ ونحوه قول الآخر: [بسيط]

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ بَلْ مَا أَقْلَمُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَبِي لَمْ أَقْلُ فَنَدَا  
إِبِي أَفْخَمُ عَيْنِي حِينَ أَقْتَمَهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

وقول الآخر: [بسط]

٥٤٠

خُلِّقَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى حَظْرٍ  
وَفِي بَلَاءٍ وَصَفْوِ شِيبَ بِالْكَدْرِ  
كَأَكِ الْبَحْرِ إِنْ سَلَّمَ حُشَاشَتُهُ  
فَلَيْسَ يَسْلُمُ مِنْ حَوْفٍ وَمِنْ حَدَرٍ

وقول الآخر: [خفيف]

٦٤٠

قَذَلَرْمَتُ السُّكُونَ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ  
وَلَرْمَتُ الْفَرَاسَ مِنْ غَيْرِ عِيَّ  
وَهَجَرْتُ الْإِخْوَانَ لَمَّا آتَيَنِي  
عَنْهُمُ كُلُّ خَصْلَةٍ مُضْحِلَةً

وقول الآخر: [مخلع البسيط]

٧٤٠

إِنَّ بَنِي دَهْرِنَا أَفَكَاعَ  
لَيْسَ لِنَ سَاوَرَتْ طَيِّبُ  
فَلَا يَكُنْ فِيكَ بَعْدَ هَذَا  
لَوْاحِدٍ مِنْهُمْ نَصِيبُ

٨٤٠

وقول الآخر ويعزى للإمام الشافعي رضي الله عنه: [بسط]

لَيْتَ السَّبَاعَ لَنَا كَانَتْ بُجَارِرَةً  
وَلَيْتَنَا لَا نَرَى مَمَّا نَرَى أَحَدًا  
إِنَّ السَّبَاعَ لَتَهَدَا فِي مَرَابِضِهَا  
وَالثَّاسُ لَيْسَ بِهَادِ شَرِّهُمْ أَبَدًا  
فَاهْرُبْ بِنَسْكَ وَأَسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا  
تَعْشِ سَلِيمًا إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدًا

وقول طرفة بن العبد: [سريع]

٩٤٠

كُلُّ خَلِيلٍ كُثُرَ خَالَلُهُ  
لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضْحَاهَ  
كُلُّهُ أَرْوَغُ مِنْ ثَعَلْبٍ  
مَا أَشْبَهَ الْلَّيْلَةَ بِالنَّارِحَةَ

١٠،٤٠

وقول امرئ القيس: [طويل]

كَذِلِكَ جَدِّي مَا أَصْاحِبُ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانِي وَتَغَيَّرَا

١١،٤٠

وقول الآخر: [طويل]

وَرَهَدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ  
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَامُ خِلَالًا سُرِّي فِي الْعَوَاقِبِ  
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلْمَةٍ  
مَبَادِيهِ إِلَّا خَانِي فِي الْعَوَاقِبِ  
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَابِ

١٢،٤٠

وقال أبو فراس: [طويل]

إِنَّ يَقِنَ الْإِنْسَانُ فِيمَا يُؤْتُهُ  
وَمِنْ أَنَّ لِلْحُرَّ الْكَرِيمَ صَاحِبُ  
ذِنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَ شَابُ  
وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَمُهُمْ

١٣،٤٠

وقال محمد بن قيم: [طويل]

لَكَ الْخَيْرُ كَمَا صَاحَبْتُ فِي النَّاسِ  
صَاحِبًا فَمَا نَالَنِي مِنْهُ سِوَى الْهَمُّ وَالْعَنا  
وَجَرَيْتُ أَبْنَاءَ الْرَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ  
فِي مِنْهُمْ عِنْدَ الْمَضِيقِ وَلَا أَنَا

١٤،٤٠

وقول الآخر: [وافر]

دَعْ الْإِخْرَانَ إِنْ لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ  
صَفَاءً وَاسْتَعِنْ وَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ  
وَأَيُّ صَفَا لِهَا تِيكَ الْجِبَلَةِ  
أَلَيْسَ الْمَرءُ مِنْ كَاء وَطِينِ

١٥،٤٠

ومثله: [وافر]

وَمَنْ يَكُ أَصْلُهُ مَاء وَطِينًا  
بَعِيدٌ مِنْ جِلَّتِهِ الصَّفَاءُ

ونحوه: [مجزوء الرمل]

١٦٤٠

لَا تَبْقِي مِنْ آدَمِيًّا فِي وِدَادٍ بِصَفَاءٍ  
كَيْفَ تَرْجُو مِنْهُ صَفْوًا وَهُوَ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ

١٧٤٠

وقال أبو العلاء: [بسيط]

جَرَبْتُ أَهْلِي وَأَصْحَابِي فَمَا تَرَكْتُ لِي الْتَّحَارِبُ فِي وِدَادٍ أَمْرِي عَرَضَا

١٨٤٠

وقول أبي الطيب: [وافر]

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَبُوكُمْ لَيْبُ فَإِيْ قَدْ أَكْتَهُوكُمْ وَذَاقَكَا  
فَلَمْ أَرْ وُدَهُمْ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرْ دِيَهُمْ إِلَّا نِقَاكَا

١٩٤٠

وأنشد أيضاً: [طويل]

وَمِنْ نَكِيدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرَّ أَنْ يَرَى عَدُوا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا تَبَأْ قِيلَ لَهُ مَا مَعْجِزَتِكِ؟ قَالَ قَوْلِي وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ.

٢٠٤٠

وقول الآخر: [طويل]

تَصَحَّخُ أَبْنَاءَ الْرَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى مَنْ غَدَا وَاللُّؤْمُ حَشُورٌ شَيْابِهِ  
بَخَرَدَثُ مِنْ سَيْفِ الْقَنَاعَةِ مُرْهَفًا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْهُمْ بِذَبَابِهِ  
فَلَا ذَا يَرَانِي وَاقِفًا فِي طَرِيقِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي وَاقِفًا عِنْدَ بَابِهِ

وقول الآخر: [طويل]

٢١،٤٠

أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقًا مُوَاتِيًّا  
وَفِيهَا بِمَا أَرْضَاهُ يَرْضى وَيَسْرَحُ  
وَقُلْتُ لِقَلْبِي قَدْ حَلَّ الْكُونُ فَاسْتَرْجَحْ  
فَإِذْ لَمْ أَجِدْ أَعْصَيْتُ عَنْ كُلِّ كَائِنٍ

وقال غيره: [وافر]

٢٢،٤٠

الْأَمْ عَلَى الشَّفَرُدِ كُلَّ حِينٍ  
وَلِي فِيمَا الْأَمْ عَلَيْهِ عُذْرٌ  
وَكُلُّ أَذْيَ فَمَصْبُورٌ عَلَيْهِ  
وَلَيْسَ عَلَى قَرِينِ الْسُّوءِ صَبْرٌ

وقال محمد بن تميم: [كامل]

٢٣،٤٠

مَنْ كَانَ يَرْغَبُ فِي حَيَاةٍ فُؤَادِهِ  
وَصَفَائِهِ فَلَيْنَا عَنْ هَذَا الْوَرَى  
فَالْمَاءُ يَصْفُو إِنْ تَأَى فَإِذَا دَنَا  
مِنْهُمْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَتَكَدَّرَا

وقول الآخر: [مجزوء الحفيظ]

٢٤،٤٠

كُنْ مِنَ النَّاسِ جَانِبًا  
وَأَرْضَنَ بِاللهِ صَاحِبًا  
قَلْبِ النَّاسَ كَيْفَ شِئْتَ  
تَتَحَدَّهُمْ عَقَارِبًا

٢٥،٤٠

وَأَمَّا أبو العلاء المعري فقد سلى نفسه عن عماه بقوله: [مجزوء الحفيظ]

قَالُوا أَعْمَى مَنْتَرُرٌ قِبَحٌ  
قُلْتُ بِفُقَدَائِكُمْ يَهُونُ  
وَاللهِ مَا فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ  
تَأْسَى عَلَى فَقَدِهِ الْعَيْنُ

٢٦٠٤٠

وقال غيره: [طويل]

الْبَكَاسُ دَاءٌ دَفِينٌ لَا دَوَاءَ لَهُ  
تَحْيِرُ الْعُقْلَ فِيهِمْ فَهُوَ مُنْذَهُ  
إِنْ كُثُرَ مُبَسِّطًا رَأَوْكَ مَسْخَرَةً  
أَوْ كُثُرَ مُنْقَضًا قَالُوا بِهِ شَقَّلُ  
وَإِنْ تُخَالِطُهُمْ قَالُوا بِهِ طَمَعٌ  
وَإِنْ تُحَاجِنَهُمْ قَالُوا بِهِ مَلْ  
قَالُوا عَنِّي وَإِنْ سَأَلُهُمْ كَمَا  
بَخِلُوا

٢٧٠٤٠

ونحوه قول الآخر: [خفيف]

لَا تُعَدَّنَ لِلزَّمَانِ صَدِيقًا وَأَعْدَّ الْزَّمَانَ لِلأَصْدِقَاءِ

٢٨٠٤٠

وقول الآخر: [طويل]

وَرُبَّ أَخْ نَادَيْتَهُ لِسَلْمَةً فَلَقِيْتُهُ مِنْهَا أَجَلَ وَأَعْظَمَا

٢٩٠٤٠

وقول الآخر: [وافر]

فَكَانُوهَا وَلِكَنْ لِلأَعَادِي  
فَكَانُوهَا وَلِكَنْ فِي فُؤَادِي  
لَقَدْ صَدَقُوا وَلِكَنْ مِنْ وِدَادِي  
لَقَدْ صَدَقُوا وَلِكَنْ فِي فَسَادِي  
وَإِخْوَانِي تَخَذَّلُهُمْ دُرُوعًا  
وَخَلَّتْهُمْ سِهَاماً صَائِباتٍ  
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَ قُلُوبٍ  
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ

٣٠٠٤٠

وقال الآخر: [وافر]

لِقاءُ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا  
سِوَى الْهَذِيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالٍ  
فَأَقْلَلَ مِنْ لِقاءِ النَّاسِ إِلَّا  
لَا خَذِ الْعِلْمَ أَوْ إِصْلَاحَ حَالِ

وقول الآخر: [كامل]

٣١،٤٠

لَا تَعْرِفُنَّ أَحَدًا فَلَسْتَ بِوَاحِدٍ أَحَدًا أَضَرَّ عَلَيْكَ مِمَّنْ تَعْرِفُ

وقول الآخر: [طويل]

٣٢،٤٠

وَمَا زِلْتُ مُذْ لَاحَ الشَّيْبَ بِمَفْرِقِي أُفَشَّ عَنْ هَذَا الْوَرَى وَأَكَشَّفُ  
فَمَا إِنْ عَرَفْتَ النَّاسَ إِلَّا ذَمَّتُهُمْ<sup>١</sup> جَرَى اللَّهُ بِالْخَيْرَاتِ مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ

ومثله قول الآخر: [طويل]

٣٣،٤٠

جَزَى اللَّهُ بِالْخَيْرَاتِ مَنْ لَيْسَ بِنَا وَلَا يَعْرِفُ  
فَمَا نَلَيْنَا ضَيْمٌ وَلَا مَسَنِيَ أَذْيَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ فَيْ كُثُّ أَعْرِفُ

ويقال كتب رجل من أهل الري على بابه جرني الله خيراً من لا يعرفنا ولا غرفه.  
ولا جرني الله أصدقاءنا خيراً فإنما ثوّت إلا منهم. وينسب للإمام الغزاوي رضي الله عنه أيام سياحته: [سبعين]

قَدْ كُثُّ عَبْدًا وَالْهَوَى مَا لِكِي  
فَصِرْتُ حُرًّا وَالْهَوَى خَادِي  
وَصِرْتُ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا  
مِنْ شَرِّ أَصْنَافِ بَنِي آدَمِ  
مَا فِي أَخْتِلَاطِ النَّاسِ خَيْرٌ وَلَا  
دُوْلَجَهْلٌ فِي الْأَشْيَاءِ كَالْعَالَمِ  
يَا لَائِي فِي تَرِكَمَةِ جَاهِلًا عُذْرِي مُنْقُوشٌ عَلَى خَاتِي

قالوا وكان نقش خاتمه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

١: ضرب في الألذين عرفتم.

وقول الآخر: [سرير]

٢٥٤٠

**مَنْ أَحْسَنَ الظُّنْ بِأَعْدَائِهِ تَجْرِعَ الْهَمَّ بِلَا كَاسِ**

قال بعضهم لو كنت ناظماً لهذا البيت لقلت من أحسن الظن بأحبابه ولا أقول بأعدائه.

٣٦٤٠ واعلم أن تبرم الناس بالناس واستيحاش بعضهم من بعض واستيقاص البعض للبعض هو أن الإنسان لما فيه من سبعة مؤذ بالطبع من يلقاه إما يهده أو بلسانه شتماً أو نيماء أو غيبة. وكل من يتاذى منه يستوحش منه ويستنقصه. ولما فيه من الشهوة يتقاضى حظوظه ويضائق عليها غيره لاتساع الشهوة وضيق الدنيا فثور البعض والحسد وسائل الشر. ثم قد يطمع أن يستحصل حظوظه أو بعضها من الغير والغير في شغل عنه بحظوظه فيستنقصه. ومن الأول ينشأ العجب بالغنى واحترار الفقير ومن الثاني ينشأ عدم الوفاء بالوعد والعهد وذلك أن الإنسان ليس له على التحقيق اختيار أما باطننا فلانه في قبضة الله تعالى. وكيف يتأتي وفاء أو عقد أو حل للعبد دون سيده؟ وأما ظاهرًا فلانه أسير شهوته وسيير نهمته.

٣٧٤٠

وقد قلت في وصف طباع الناس من قصيدة: [طويل]

أَلْمَ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ حُبَّلَ أَيْةً  
وَلَادَهَا يَوْمًا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُدْرِي  
نَسَبَهَا صُفَرَى عَلَى الْكُرْءَأُ كُبَرَى  
إِلَيْكَ فَمَنْ يُشِبِّهُ أَبَاهُ فَقَدْ بَرَأَ  
عَلَى مَا قَضَى اللَّهُ الْحَكِيمُ وَمَا أَجَرَى  
إِلَيْكَ وَأَبْدَوا خَالِصَ الْوَدَّ وَالْبَرَأَ  
جَمِيلًا وَقَالُوا ذُو مَحَاسِنَ لَا تُمْرِي  
إِلَيْكَ رَشَادًا كَانَ قَوْلُكَ أَوْ ثَبَرَا  
جَفَاءً وَإِعْرَاضًا يُولُونَكَ أَظَهَرَا  
وَإِنْ لَمْ يُرْجُوا مِنْكَ خَيْرًا رَأَيْهُمْ

يُنَثُّونَ عَنْكَ الْمُرْزِيَاتِ<sup>١</sup> وَإِنْ رَأَوا  
جَمِيلًا أَعْكَارُهُ الْغَشَاوَةُ وَالْوَقْرَا  
فَلَا تُصْبِحُ سَمْعًا لِلَّذِي دَمَ مِنْهُ  
وَلَا لِلَّذِي أَبْدَى الْجَمِيلَ وَإِنْ أَطْرَى  
فَإِنَّ بَنِي الدَّيْنَ كَا عَبِيدٌ هَوَاهُمُ  
عَلَى مَرْكَزِ الْآهَوَاءِ دَوْرَنَهُمْ طُرَّا  
إِذَا مَا رَأَوا ذَا الْوَقْرِ لَادُوا بِذِيَّهِ  
وَلَيْسَ هَوَاهُمْ حَيْثُ تَرْقَبُ الْفَقَرَا  
وَإِنْ بَصَرُوا بِالْمُسْمَقِ أَهْتَرُوا بِهِ  
وَلَمْ يَنْكُلُوا مِنْ سَحَابَتِهِ قَطْرَا  
وَقَالُوا بِغِيَضٍ إِنْ نَأَى وَمَتَّ دَنَا  
وَمَدُّوا إِلَيْهِ طَرْفَهُمْ نَظَرًا شَرَّا  
وَإِنْ مَاتَ لَمْ يُشَهَّدْ وَإِنْ ضَافَ لَمْ يُقْرَا  
فَإِنْ عَابَ لَمْ يُفْقَدْ وَإِنْ عَلَّ لَمْ يُعَدْ  
وَلَمْ يَقْرَأْ الْمَرْءُ الْلَّبِيبُ كَيْاَةً<sup>٢</sup>  
وَفِي اللَّهِ لِلْمَرْءِ الْلَّبِيبِ كَيْاَةً

للله الأمر من قبل ومن بعد.

واعلم أن هذا الطبع مرکوز في طينة الآديمي منذ كان غير مخصوص بأهل زمان دون زمان. وإن كانت بعض الأزمـة يخضـها الله بغير ما يكون في غيرها من خـير أو شـرـ لعارض غير أن الناس لما دهـتمـ هذه الـداـهـيـةـ من تـأـذـيـ بعضـهمـ بـعـضـ وـعـدـ الـظـفـرـ بالـغـرـضـ منـ الفـيـرـ جـعـلـ كـلـ يـسـتـنـصـ أـهـلـ وـقـتـهـ لـمـ شـاهـدـةـ الـبـلـاـءـ وـعـدـ الـجـدـوـيـ فـيـهـ يـمـدـحـ منـ مـضـيـ. أـمـاـ منـ لـمـ يـدـرـكـهـ فـلـتوـهـمـهـ أـنـهـ عـلـىـ خـلـافـ منـ رـأـيـ وـأـمـاـ منـ أـدـرـكـ فـلـانـقـطـاعـ شـرـهـ وـوـقـعـ الـاسـتـراـحةـ مـنـهـ مـعـ بـقـاءـ بـعـضـ الـجـدـوـيـ فـيـ الـوـهـ وـزـوـعـ الـنـفـسـ إـلـىـ إـلـفـ الـمـأـلـوـفـ. فـلـاـ تـسـمـعـ إـلـاـ فـسـدـ الـزـمـانـ وـذـهـبـ النـاسـ. فـنـ ذـلـكـ قـولـ بـشارـ:

[كامل]

فَسَدَ الرَّمَانُ وَسَادَ فِيهِ الْمَقْرُفُ وَجَرَى مَعَ الْطَّرَفِ الْحِمَارُ الْمَوْكُفُ

١. ق، ط: المنديات. ٢. سقطت الجملة من ق، ط.

وقول الآخر: [وافر]

٤٤١

أَلَا ذَهَبَ الْتَّكَرُّمُ وَالْوَفَاءُ  
وَأَسْلَمَنِي الْرَّمَانُ إِلَى أَنَّاسٍ  
صَدِيقٌ كَمَا آسْتَعْنَيْتُ عَنْهُمْ  
أَقْوَلُ وَلَا أَلَمُ عَلَى مَقْتَلِي  
وَيَادِ رِجَالُهُ وَيَقِيَ الْغُثَاءُ  
كَامِشَالِ الْذَّنَابِ لَهُمْ عُوَاءُ  
وَأَعْدَاءُ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ  
عَلَى الْإِحْوَانِ كُلُّهُمْ أَعْفَاءُ

وقول الآخر: [كامل]

٣٤١

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا  
وَبَقَيْتُ فِي خَلْفٍ كَآنَ حَدِيشُهُمْ  
هَشُوا وَقَالُوا مَرْحَبًا بِالْمُقْبِلِ  
وَلَغُ الْكَلَابِ تَهَارَشَتِ فِي مَهْلِ

وقول الآخر: [مجزوء الرمل]

٤٤١

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحِبُّهُمْ  
إِذْ لَا يَرَأُلُ كِيرُمُ قَوْ  
وَبَقَيْتُ فِينَ لَا أُحِبُّهُمْ  
مِّنْهُمْ كَلْبُ يَسْبُبُهُ

وقال منصور الفقيه: [مجزوء الرمل]

٥٤١

يَا رَمَانًا الْبَسَ الْأَخَ  
رَارَ ذَلًا وَمَهَانَةً  
لَسْتَ عِنْدِي بِرَمَانٍ  
إِنَّمَا أَنْتَ رَمَانَةٌ

وقول الآخر: [وافر]

٦٤١

مَضَى دَهْرُ الْسَّمَاحِ فَلَا سَمَاحُ  
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مُسْخُوا كِلَابًا  
وَأَضْحَى الظُّرفُ عِنْهُمْ قِيَحًا  
وَلَا يُرْجِي لَدَى أَحَدٍ فَلَاحُ  
فَلَيْسَ لَدَهُمْ إِلَّا التَّسْبَاحُ

سَلَامٌ أَهْلَ أَبْنِيِّ عَلَيْكُمْ  
فَإِنَّ الْبَيْنَ أَوْشَكَهُ الْرَّوَاحُ  
نَرُوحُ فَسْتَرِيجُ الْيَوْمَ مِنْكُمْ  
وَمِنْ أَمْشَالِكُمْ قَدْ يُسْتَرَاحُ  
إِذَا مَا أَحْرَرْ هَانَ بِأَرْضِ قَوْمٍ  
فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَرَبٍ جُنَاحٌ

وقول الآخر: [طويل]

مَضِيَ الْجُودُ وَالْإِحْسَانُ وَاجْتَثَ أَهْلَهُ  
وَصَرَّتِ إِلَى صَرْبٍ مِنَ النَّاسِ آخَرَ  
كَاهْنُمْ كَانُوا جَمِيعًا تَعَاقدُوا  
وَأَخْمَدَ نِيرَانَ الْنَّدَى وَالْمَكَارِمِ  
يَرَوْنَ الْعُلَى وَالْجَدَ جَمْعَ الدَّرَاهِمِ  
عَلَى الْأَلْوَمِ وَالْإِمْسَاكِ فِي صُلْبِ آدَمِ

وللإمام الشافعي رضي الله عنه: [وافر]

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بَأسِ  
قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي الْقِيَاسِ  
وَمَا يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَصْرٍ  
وَلَا إِلْحَوْانُ إِلَّا لِلشَّاَسِيِّ  
عَمَرَتُ الدَّهْرَ مُلْقِسًا إِبْجُهُدِيِّ  
أَخَّا ثَقَةً فَأَكْدَانِي الْقَاسِيِّ  
كَانَ اُنَاسَهَا لِيسُوا بِنَكَاسِ

وقال غيره: [كامل]

هَذَا زَمَانٌ تَجَاهِلُ وَتَسَاخِعُ  
وَتَغَافِلُ عَنْ أَهْلِهِ فَسَدَ الْوَرَى  
فِإِذَا سَمِعْتَ فُكْنَ كَأْنَكَ مَا سَمِعْ  
تَ وَإِنْ رَأَيْتَ فُكْنَ كَأْنَكَ مَا تَرَى  
وَأَجْهَدَ بِنَفْسِكَ فِي الْخَلْصِ مِنْهُمْ  
فَعَسَاكَ تَبْهُجُ إِنْ بَحَثَ وَمَا أَرَى  
إِنْ كُثُرَتْ تَرْغُبُ فِي الْجَاهِ وَبِالْحَرَى  
أَوْ لَا فُكْنَ فِي قَرْبِيَتِكَ لَا تَرَى

وقال أيضًا: [بسيط]

١٠،٤١

عَمَّ الْفَسَادُ جَمِيعَ النَّاسِ وَيَحْمَمُ  
إِنْ وَاعَدُوا أَخْلَقُوا أَوْ حَدَّثُوا كَذَبُوا  
أَوْ آتَسْتَهُمْ خَاتُوا فَكُنْ رَجُلًا  
يَا لَيْتَ شِعْرِيَ مَاذَا بَعْدُ يُنْتَظِرُ  
أَوْ عَاهَدُوا غَدَرُوا أَوْ حَاصَمُوا بَفْرُوا  
مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ

وقال غيره: [بسيط]

١١،٤١

مَا فِي رَمَانِكَ هَذَا مَنْ تُصَاحِبُهُ  
فَعِشْ فَرِيدًا وَلَا تَرْكِنْ إِلَى أَحَدٍ  
وَلَا صَدِيقٌ إِذْ خَانَ الْرَّمَانُ وَفَيَّ  
فَقَدْ نَصَحَّتُنَّ نُصُحًا بِالْغَا وَكَيْ

وقال الأرجاني: [طويل]

١٢،٤١

تَطَلَّعْتُ فِي يَوْمِي رَخَاءً وَشَدَّةً  
فَلَمْ أَرْ فِيهَا سَكَانِي غَيْرَ حَاسِدٍ  
وَنَادَيْتُ فِي الْأَخْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ  
وَلَمْ أَرْ فِيهَا سَرَيْني غَيْرَ حَاسِدٍ

وقال غيره: [طويل]

١٣،٤١

خَبِرْتُ بَنِي الْأَيَامِ طُرَّا فَلَمْ أَجِدْ  
وَأَصْفَيْتُهُمْ مِنِي الْوِدَادَ فَقَابَلُوا  
صَفَاءَ وَدَادِي بِالْمَذَى وَالشَّوَّابِ  
وَأَخْمَدْتُهُ فِي فِعْلِهِ وَالْعَوَاقِبِ

وقال آخر: [خفيف]

١٤،٤١

نَحْنُ وَاللَّهُ فِي رَمَانِ غَشُومٍ  
أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سُوءِ حَالٍ  
لَوْ رَأَيْكَاهُ فِي الْمَنَامِ فَرِغْنَانَا  
حَقُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَنْ يُهَبَّا

وقول الآخر: [بسيط]

١٥٤١

أَعْيَ إِلَيْكَ خِلَالَ الْخَيْرِ قَاطِبَةَ  
أَعْيَ إِلَيْكَ مَوْسَاةَ الصَّدِيقِ وَمَا  
إِنَّ الْوَفَاءَ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ  
إِنَّ الْجَمِيلَ الَّذِي قَدْ كَانَ يَلْبِسُهُ  
أَيْسَرُ وَأَنْتَ صَدِيقُ النَّاسِ كُلُّهُمْ  
فَإِنَّ وَجَدْتَ صَدِيقًا عَنْدَ نَائِبَةِ  
لَكَ أَنَاخَ عَلَيَّ الدَّهْرُ كَلَّكَاهُ  
وَخَانَنِي كُلُّ ذِي وُدُودِي رَحِيمٌ  
أَهْلُ الْأَنَى وَالْهَدِي وَالْبَعْدِ فِي الْهَمِ  
أَجَدَاهُمْ عَنْهُمْ تُخْبِرُكَ عَنْ رُومِ  
قَالُوا حَدَّا بِهِمْ رَبُّ الرَّزْمَانِ فَسَلَّ

وقول ليدي: [كامل]

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَقَيَّثُ فِي خَلْفِ جَكْلِدِ الْأَجْرِبِ

١٦٤١

وتمثلت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثم قالت وكيف لو أدرك لي زماننا؟ فقال عروة كيف لو أدرك عائشة زماننا؟ ولما بلغ ابن عباس قول عائشة هذا قال رحم الله ليدياً ورحم الله عائشة. لقد أصبح بايمان سهم في خزان عاد كأطول ما يكون من رماحكم. هذه مفهوم مريش مكتوب عليه هذا: [طويل]

أَلَا هَلْ إِلَى أَيَّاتٍ مُنْتَطَعِ الْلَّوِي لَوَى الْرَّمَلِ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ مَعَادُ  
بِلَادِهِمَا كُنَّا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِهِمَا إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالْبَلَادُ بِلَادٌ

أي فهذا العادي في زمانه يستقص زمانه ويشير إلى أن الناس الأفضل قد ١٨،٤١  
مضوا وأن الأرض تغيرت. كيف حال زمان لبيد ومن بعده كمان عائشة. وقد تحصل من هذا ما قرنا في صدر الكلام من أن الدنيا لم تزل هكذا والناس هم الناس منذ خلقوا. ولقد أحسن القائل: [خفيف]

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا وَيَرَى لِلْأَوَّلِ الْتَّقْدِيمَ  
إِنَّ هَذَا الْقَدِيمَ كَانَ جَدِيدًا وَسَيَقَى هَذَا آجَدِيدُ قَدِيمَكَا

فالأكل للإنسان التسليم بل الرضى بوقته. فإنه بذلك يفوز بالأدب مع الله تعالى ١٩،٤١  
الحكيم العليم الذي هو رب الأولين والآخرين. ويفوز بشكره وحمده وبراحة قلبه  
والسلامة من التشوف والتطلع وسلامة الصدر لأهل زمانه والقيام بحقوقهم  
واعتقاد الخير في أهله والاتقاء بهم ورؤيه المحسن الواقية والتغافل عن المساوي  
وغير ذلك. ولقد من الله تعالى الصحابة الزمان الفاضل فكانوا يذكرون ما مضى لهم  
في الأزمنة السالفة من صنوف الشر من عبادة الأوثان وارتكاب القبائح والجهد  
الجهيد. فيحمدون الله تعالى ويشكرونها.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن ينظر إلى ما منحه الله تعالى من الخير في زمانه ديناً ودنيا ٢٠،٤١  
وإلى ما أنجاه الله تعالى منه من الشور الحالية والماضية فيحمد الله على ذلك. وقد جرت على لسانني في هذا المعنى أبيات فقلت مناقضاً لما تقدم من الأشعار: [خفيف]

نَحْمَدُ اللَّهَ وَقَنَا وَقْتُ خَيْرٍ  
غَيْرُ وَقْتِ الْيَيِّرِ صَلَّى عَلَيْهِ الْأَ  
لَهُ وَالصَّحْبِ وَالثَّلَاثَةِ الْهُدَاءِ  
دِيْسَنَا سَالِدٌ مِنَ الْبَدْعِ الْعَمَّ  
يَوْعِشَنَا بِطَيِّبِ الْأَقْوَاتِ  
لَمْ تَكُنْ كَالشُّرَاهَةِ نَعْشَى الْمَعَاصِي  
ضَيَّعُوا الدِّينَ بِالْمُرُوقِ وَدُنْيَا  
سِ وَلَا سَائِرَ الْجُنُفَاتِ الْعَوَاءَ

وَالَّذِي قَدْ نَلَقَ مِنَ الْمُرِّ فِي الدُّنْ يَا عَسَى أَنْ تَرْقَ بِهِ دَرَجاتٍ  
وَبِنُو الْأَدَهْرِ هُمْ بُنُو الْأَدَهْرِ قَدْمًا هُمْ بَنَاتُ يَسْمُو بِإِشْرِبَاتٍ  
وَالظَّبَابُ الظَّبَابُ لَسْتَ تَرَى فِي هَا بُبُوا وَلَا آخْتِلَافَ الصَّفَاتِ  
وَمَنْ آخْتَصَّهُ إِلَهٌ بِخَيْرٍ فَهُوَ فِيهِ مِنْ دَارِجٍ أَوْ آتِ

- نعم لا يأس بذكر الماضي من صلحاء الإخوان والحنين إلى الأوطان وإن ذلك يعد من حسن العهد. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخلت عليه امرأة فأكرمتها وقال إنها كانت تائينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان. وكانت عاشرة رضي الله عنها تقول ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة. وذلك من كثرة ما كان يذكرها صلى الله عليه وسلم.
- وقيل بعض الحكاء بم تعرف وفاء الرجل وذمام عهده دون تجربة واختبار؟ فقال ٢٢،٤١  
بحينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وتلهفه على ما مضى من زمانه.
- وعن الأصمي قال إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وذمام عهده فانتظر إلى حينه ٣٣،٤١  
إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكته على ما مضى من زمانه. و<sup>١</sup> كان سيدنا بلال  
رضي الله عنه ينشد: [طويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَّ لِيَنَةً  
بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخَرُ وَجَلِيلُ  
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنةً  
وَهَلْ يَيْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

- وقد تقدم شيء من هذا قبل.
- وقال أبو العباس بن العريف رضي الله عنه: [يسقط] ٢٤،٤١

مَا زِلْتُ مُذْسَكُنًا قَبِيْ أَصْوُنُ لَهُمْ لَحْظِي وَسَمِيْ وَنُظْيِ إِذْ هُمْ أَسِيْ  
حِلُّوا الْفُؤَادَ فَمَا أَنْدَى وَلَوْ قَطُنُوا صَخَرًا لَجَادَ بِمَاءٍ مِنْهُ مُشَجِّسٍ

<sup>١</sup> يزيد ق: من هذا المعنى.

وَفِي أَنْحَشَا نَزَلُوا وَالْوَهْمُ يَحْرَجُهُمْ فَكَيْفَ قَرُوا عَلَى أَذْكِرِي مِنَ الْقَبَسِ  
لَا إِنْهَضَنَ إِلَى حَشْرِي بِحُبِّهِمْ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ خَاهَمَ فَنِسِيَ

٢٥،٤١

وقال غيره: [بسط]

جِسْعِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَأَنْجَسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ  
فَلَيَجْعِبَ النَّاسُ مِنِي أَنْ لِي بَدَنًا لَا رُوحَ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بِلَا بَدَنٍ

٢٦،٤١

وقال آخر: [كامل]

رَاحُوا فَبَاتُوا رَاحِي مِنْ رَاحِي صَفْرًا وَأَضْحَى جُهْمَ لِي رَاحَا  
فَتَوَاعَلَ قَلْبِي الْهُمُومَ وَأَغْلَقُوا بَابَ السُّرُورِ وَصَيَّعُوا الْمُفْتَاحَا

٢٧،٤١

وقال غيره: [بسط]

يَا رَاحِلًا وَجَمِيلُ الصَّبَرِ يَتَّبِعُهُ هَلْ مِنْ سَيِّلٍ إِلَى لُقْيَاكَ يَتَّفِقُ  
مَا أَنْصَفَتَكَ جُفُونِي وَهِيَ دَامِيَةٌ وَلَا وَفِي لَكَ قَلْبِي وَهُوَ يَخْتِرُقُ

٢٨،٤١

وقال غيره: [طويل]

لِيَكْفِكُمْ مَا فِيكُمْ مِنْ جَوَى الْقَيْ  
فَمَهْلَلًا بِنَا مَهْلَلًا وَرِفْقًا بِنَا رِفْقا  
وَحُرْمَةٌ وُدُّي لَا سَمْتُ هَوَاءُكَ  
وَلَا رُمْتُ لِي مِنْهُ فَكَلَا وَلَا عِتْقا  
سَازْجُرُ قَلْبًا رَامِ فِي الْحَبَّ سَلْوةَ  
وَأَهْجُرُهُ إِنْ لَمْ يَمْتُ فِيكُمْ عِشْقاً

وقال غيره: [سريع]

إِلَّا تَشْوَقُتْ لِتِلْكَ الْدَّيَارِ  
وَلَا سَرَى مِنْ نَحْمُوكَ بَارِقُ  
إِلَّا وَأَجْرَيْتَ الْمُدْمُوعَ الْعِزَارَ  
وَأَسَفَيِ إِنَّ رَمَانُ الْحَمَى؟ وَإِنَّ هَاتِيكَ الْلَّيَالِيَ الْقِصَارَ؟  
وَأَحَرَّ قَلْبِي فَمَتَّ نَلْتَقِي  
وَتَنْطَفِي مِنْ دَاخِلِ الْقَلْبِ نَارُ  
وَأَنْظُرُ الْأَحَبَابَ قَدْ وَاصَلُوا  
وَيَأْخُذُ الْوَصْلُ مِنَ الْبَحْرِ ثَارُ  
أَقُولُ لِلشَّفَسِ أَبْشِرِي بِالْفَكَاءِ  
قَدْ وَاصَلَ الْحُبُّ وَقَرَّ الْقَرَارُ

وذكر في التشوف عن أبي شعيب الساري رضي الله عنه قال كان إذا وقف على  
٣٠،٤١ قبر شيخه أبي علي المسطاسي يقول أيّيّ رجل دفن هاهنا! ما رأيت مثله. وأنشد:  
[كامل]

أَسْفًا لِلَّيَامِ وَإِخْوَانِ مَضْوِيَا  
وَمَنَازِلِ فَارِقَتُهَا مَغْلُوبًا  
فَلَبَّثَ قَلْبِي جَمْرَةً مِنْ بَعْدِهِمْ  
وَلِسْتُ عَيْشِي بَعْدَهُمْ مَقْلُوبًا  
ظَالَّبَتْ بَعْدَهُمْ الزَّمَانَ يُمْثِلُوهُمْ  
فَأَجَابَنِي هِيمَاتٌ لَا مَظْلُومُوا

وحكي أيضاً عن أبي عمران الهسكوني الأسود أنه كان لا ترقأ له دمعة. فربما  
٢١،٤١ سئل عن كثرة بكائه فيقول إنما أبي على فقد من أدركه من الإخوان في الله عز وجل.  
ويحكى أيضاً عن أبي جعفر الأسود صاحب تاغزوت أنه كان يقول أدرك بلاد  
٢٢،٤١ تادلا ثلاثة وبسبعين رجلاً صالحًا كلهم يُزارون. وأنشد: [طويل]

فَاهِمًا مِنَ الرَّبِيعِ الَّذِي غَيَّرَ الْبَلَى  
وَوَاهِمًا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَقَرَّقُوا  
أَصُونُ تَرَابَ الْأَرْضِ كَانُوا حُلُولُهَا  
وَأَحْذَرُ مَنْ مَرِيَ عَلَيْهَا وَافْرَقَ  
إِذَا الرَّبِيعُ مَرِيَ بِي عَلَى الدَّارِ أَشْهَقَ

٣٣،٤١ تنبية على حكم ما وقع من استنقاص الزمان واستنقاص أهله وبسبما يحسب النظر الشرعي أصلاً وفرعاً. فأما الزمان ويقال أيضاً الدهر فترت عادة الشعراء وغيرهم قدّيماً وحديثاً بالتشكي منه والتبرّم به ونسبة الإذایة والجور إليه. وقد يكون فيهم من يعتقد ظاهر ذلك وهو مشرك وقد يكون من لا يعتقد ذلك لكونه موحداً بل إما غفلة وجرياً على أسلوب من قبله من التغيير وإنما مجازاً بطريق المقارنة لما يقع فيه من الأحداث والكواين.

٣٤،٤١ والفاعل هو الله تعالى فلا معنى حينئذ للتشكي منه ولا سببه ولا استنقاصه فإن ذلك سوء أدب مع الله تعالى من جهتين. إحداهما أنه هو المتصرف في الكل ولذا ورد في الخبر لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر. أي ما ترونوه فالله تعالى هو فاعله. ثانيةهما أنه يجب على المؤمن اعتقاد كل ما برز في كل زمان من التصرفات فذلك هو الصالح في ذلك الوقت الجاري على الحكمة سواء لاءم الطياع أو لا. ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل بالله تعالى جاهل بحكمته وقدرته. ولو ولي والإ بلدة لم يتصرف فيها إلا بالحكمة والمصلحة إلا ما خرج عن علمه وطريقه والله تبارك وتعالى عالم حكيم قادر فوق عباده غالب على أمره لا يتعالى عن قدرته مقدور ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة.

٣٥،٤١ ثمَّ الزمان بمعزل عن العيب والنقص فإنما ذلك في الناس وما يقع منهم أو يقع لهم فهم أحق بالانتقاد كما قيل: [طويل]

يُقُولُ أَنَاسٌ دَهْرَ سُوءٍ لِيُعَذَّرُوا وَهُمْ عَيْنٌ عَنِّيْدٌ وَلَا عَيْبٌ لِلَّدَهْرِ

٣٦،٤١ وأما استنقاص أهل الزمان كما مر فلا شك أنه لا يحرّم إذ لا يدخل في الغيبة المحرمة حيث لا يكون التعين. وقد استشرع محيي الدين ابن العربي في رسالة القدس ذلك حيث وقع في متصوّفة زمانه. فأجاب بنحو ذلك وزرع بما وقع لعائشة رضي الله عنها من ذمّ أهل زمانها كما مرّ وغيرها من أهل الدين. ولكن الأولى الإمساك عن

ذلك لما قررنا قبل ولأنه لا يكاد يحصل من ذلك طائل غير إتعاب المرء قلبه ولسانه وعرضه لمثل ذلك. [متقارب]

وَمِنْ طَنَّ مَنْ يُعَانِي الْحُرُوبَ بِأَنَّ لَا يُصَابَ فَقَدْ طَنَ عَجَزًا

نعم ذكر ما يقع منهم من المنكر بالتنصيص بقصد الاحتراز مع الإنصاف كما فعل أبو العباس زروق في النصيحة الأفعى وفي عمدة المريد نافع مفید غير أنه صعب مفترض إلى تحقيق في المدارك وتضليل في العلوم وتجربة تامة. فإن الأمور قليل منها ما يكون أمراً حقيقاً يُدَمِّر من كل وجه أو يُدَحِّل وأكثرها إضافي اعتباري مختلف باختلاف الأشخاص والمقاصد والأزمات والأمكنة والأحوال فافهموا. اللهم الأمر من قبل ومن بعد.

١٠٤٢ مما اتفق لي وينتظم في سلك اللُّجُّ مع تضمن فائدة أني كنت خرجت من مدينة فاس حرسها الله تعالى أيام الحصار واتينا<sup>١</sup> على جبل بني زروال. ومعي جموع من الناس من طلبة وقراء وتجار فوافينا به رجالاً من أهل محبتنا. فكان يتصرف لي في أموري وفي أمور من معي من الناس بحسب تقديرهم وإنزالهم منازلهم. وربما نتردد<sup>٢</sup> في يريد أن يكشف لي عن رأيه في ذلك. فيتدنو مبني ويناجياني وكان ساقط الأسنان لا يكاد يفهم كلامه. وكان مع ذلك كلام أهل تلك البلاد مختلفاً عنا لا نكاد نفهمه. ثم يخفت بصوته لئلا يسمعه من حضر فيتكلم ولا أكاد أسمع من كلامه حرفاً واحداً حتى إذا فرغ من حديثه رفع رأسه إلى وقال هكذا يكون الكلام مفصلاً بها. فكنت في هذا أبسط أصحابي فأقول لهم إن هذه الجملة الأخيرة من كلامه وقع فيها حكم بطريق القصر وهو موقف على أشياء قبله لم يحصل واحد منها. الأول سماع اللفظ فإنه مقدمة الفهم. الثاني معرفة الوضع فإنه شرط. الثالث فهم الألفاظ مفردة. الرابع فهم التركيب. الخامس فهم النسبة تصوراً. السادس فهم الحكم مطلقاً أي من غير

١: أتيت. ٢: يتردد. وزيد ق، ط: في أمر كيف يكون إنقاذه.

قصر . السايم فهمه مقصوراً ثم إن الأخير أعني الحصر يحتاج إلى دليل لأنّه بسبيل المنع . ولم يحصل شيء من ذلك كله وما توقف على ما لم يحصل فهو غير حاصل . ثم إنّي مع ذلك أستبشر عند حديثه وربما أحرك رأسي موهماً أنّي قد حصلت وأني قد استصوبيت رأيه وذلك أنه لم يمكنني في الوقت غير ذلك . فإني إن راجعته ليبيّن لم يبيّن إلا بخفيته كما فعل أولاً فلا يحصل طائل . وقد علمت أن ليس في عدم تبيّن مقاصده مهمٌّ يفوت لأنّ كلّ ما ينحو إليه من الرأي ويتشوّف إليه من المصلحة فعندي بحمد الله ما يكفي فيه . فكنت أساهله وأتركه بحاله رفقاً به وجبراً لخاطره وتقللاً من الشغب . وعندي على هذا التحومذهب وأرى كثيراً من الناس يُبُون عنه .

وللتباين عليه مع التلميح السابق سطرت هذه القصة . وذلك أنّي أتعاقّل عمّا لا حاجة إليه ولا أتبع ما فيه تكلف ولا تدعوا الضرورة إليه . وإن ذلك عندي هو أسلم وأبعد عمّا يخشى من ارتکاب الفضول أحياناً وتجاوز الحدّ أحياناً وإحراج الصدر أحياناً واستثارة الشرّ أحياناً وأقرب إلى مكارم الأخلاق وأدخل في المداراة المطلوبة وأبعد عن الملامة المذمومة .

وفي الحديث مداراة الناس صدقة .<sup>١</sup> وفي حديث آخر رأس العقل بعد الإيمان بالله التودّد إلى الناس .<sup>٢</sup> وفي خبر آخر التودّد إلى الناس نصف العقل وحسن التدبير نصف العيشة . وما عال من اقصد .

وقال الشاعر : [ طويل ]

وَمَنْ لَا يُعْمَضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمْتُثِ وَهُوَ عَاتِبٌ  
وَمَنْ يَتَبَيَّنَ حَادِهَا كُلَّ عَرَةٍ يَحْدُهَا وَلَا يَسْلِمُ لَهُ الْدَّهْرُ صَاحِبُ

<sup>١</sup> يزيد ط: وفي الحديث أمرني ربى بمداراة الناس ونهاني عن ملاحاتهم . <sup>٢</sup> ق: أمرني ربى بمداراة الناس ونهاني عن ملاحاتهم .

٥٤٤

وقال الآخر: [طويل]

أَعْمَضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي تَفَلَّاً كَأَيْ لِمَا يَأْتِي مِنْ الْأَمْرِ جَاهِلُ  
وَمَا بِي جَهْلٌ غَيْرَ أَنْ خَلِيقَي تُطِيقُ أَحْتَالَ الْكُرْهِ فِيمَا تُخَالِفُ

٦٤٤

ونحوه قول الآخر: [وافر]

أَعْمَضُ لِ الصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي مَخَافَةً أَنْ أَعْيَشَ بِلَا صَدِيقٍ

٧٤٤

وقال غيره: [طويل]

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأَمْرِ مُعَابِتاً صَدِيقَكَ لَا تَلْقَى الَّذِي لَا تُعَابِتُهُ  
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجُنَاحِبُهُ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشَرِّبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَمِيَّتْ وَأَيْ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ؟  
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَایَاهُ كُلُّهَا؟ كَهِي الْمَرْءُ نُبَلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَابِهُ

٨٤٤

وقال غيره: [متقارب]

إِذَا مَا الْصَّدِيقُ أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى بُجْلَلًا  
ذَكَرُتُ الْمُقَدَّمَ مِنْ فِعْلِهِ فَمَنْ يُسِّيَ الْآخَرُ الْأَوَّلَأَ

٩٤٤

وقال غيره: [طويل]

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ أَدْخَارَهُ وَأَغْرِضُ عَنْ شَمِّ الْلَّئِمِ تَكْرُماً

وقال غيره: [كامل]

١٠٤٢

اَخْرَصَ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْآذَى فَرُجُوعُهَا بَعْدَ اَشْتَانَافِرِ يَعْسُرُ  
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وُدُّهَا مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُجْبِرُ

١١٤٢

وَعَنْ أَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَلَالَ الْمَكَارِمِ عَشْرَ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلَا  
تَكُونُ فِي أَيِّهِ وَتَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي سَيِّدِهِ يَقْسِمُهَا اللَّهُ لِمَنْ أَحَبَّ صَدَقَ  
الْحَدِيثَ وَمَدَارَةَ النَّاسِ وَصَلَةَ الرَّحْمَ وَحَفْظَ الْأَمَانَةِ وَالتَّذَمُّنَ لِلْجَارِ وَإِعْطَاءِ السَّائِلِ  
وَالْمَكَافَأَةِ بِالصَّنَاعَةِ وَقِرَى الْضَّيْفِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَرَأْسَهُنَّ كَاهِنَ الْحَيَاةِ.

١٢٤٢

وقال الشاعر: [وافر]

أَجَبُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ جُهْدِي وَأَكَرَهُ أَنْ أَعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا  
وَأَضْطَعَ عَنْ سِبَابِ الْنَّاسِ حَلْمًا وَشَرَّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا  
وَمَنْ هَكَابَ الْرِّجَالَ تَهْيَبُوهُ وَمَنْ حَقَرَ الْرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

١٣٤٢

وقال غيره: [كامل]

فَأَجُوزُ ثُمَّ أَقُولُ: لَا يَعْنِينِي  
وَلَقَدْ أَمْرَ عَلَى الْلَّئِيمِ يُسْبِئِي

١٤٤٢

وقال غيره: [بسيط]

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقُ مَظَهَرَةٍ فَالْعَقْلُ أَوْلَهَا وَاللَّذِينَ ثَانِيهَا  
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحَلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِيهَا  
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبَرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللَّذِينَ عَاشُيهَا  
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَيِّ لَا أَصْدَقُهَا وَلَسْتُ أَرْشِدُ إِلَّا جِنَّ أَغْصِيهَا  
وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مُحَدِّثَهَا إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعْادِيهَا

١٥٤٢

وقال غيره: [كامل أسد]

اَنْرُكْ مُकَاشِفَةَ الصَّدِيقِ إِذَا غَطَى عَلَى هَفَوَاتِهِ سِرْ

١٦٤٢

وفي الحكمة الليب العاقل هو الفطن المتفاقل وفي قوله تعالى ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ مشرب في هذا المعنى. ويقال ما استقضى كيم قط . وفي الحديث لما أسرى بي كان أول ما أمرني به ربى أن قال إياك وعبادة الأولان وشرب الخمر وملاحاة الرجال . وفي حديث آخر احذروا جدال كل مفتون فإنه يلقن حجته إلى انقطاع مدته.

١٧٤٢

وقال الشاعر: <sup>١</sup> [كامل]

إِنِّي مَحْضُوكَ يَا كِكَامُ نَصِيحَتِي فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِ عَلَيْكَ شَفِيقِ  
أَمَا الْمَزَاحَةُ وَالْمَرَاءُ فَدَعْهُمَا خُلْقَانٌ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ

١٨٤٢

وقال الآخر: [كامل]

اَنْرُكْ مُكَاشِفَةَ الصَّدِيقِ إِذَا غَطَى عَلَى هَفَوَاتِهِ سِرْ

١٩٤٢

وهذا باب واسع مشهور فيما ذكرنا منه كافية. اللهم من قبل ومن بعد.

٢٠٤٣

من جملة ما اتقق لي في هذه السفرة إلى جبال الزينب وسفرات أخرى لزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه أتى سمعت لغة لأهل تلك الجبال يكسرؤن آخر الموقف عليه استقراء فتبعتها فوجدها لها ضابط . وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غير وجه وينسبون إليهم ما لا يقولون جهلاً منهم بضوابطها . فإنهم لا يكسرؤن إلا الفتحة بعدها ألف.

<sup>١</sup> يزيد ق: يوصي ابنه.

٢٤٣ أما الألف المقصورة كالدنيا أو الممدودة كالسماء والطباء والشرفاء والأصلية  
كلاماء أو المقلوبة عن هاء التأنيث في مجى العرف كالبقرة والشجرة والصفحة فإن العوام  
من غيرهم يقولون في الوقف على هذه البقرا والشجرا بـألف. وهؤلاء يكسرن فيقولون  
البكري والشجري وتقلب الألف ياء وهذا كله في الوقف. فإن وصلوا نطقوا بالألف  
كثيرهم وإن لم يكن الفتح ولا الألف كالشجر والبقر مراداً به الجنس وقووا بالسكون  
كثيرهم. وإيّي لما تأمّلت ذلك من كلامهم وحقّقته في أقرب مدة اتضّح عندي معنى  
الاستقراء في نحو هذا بالمشاهدة وعلمت كيف كان أمّة العربية القدماء يستقرّون  
الثو واللغة من أفواه العرب ويضبطون لغة كل قيلة في ذلك.

٢٤٤ وتبين أن ذلك أمر صحيح بين ولتنبيه على هذا حكّيت هذه القصة. فلا يقل  
جاهل ما لنا ولهذه اللغة؟ فلتعرف أو لا تعرف هذا مع أنّ معرفة الشيء خير من  
جهله فالجاهل بالشيء أعمى فيه وفي ظلمة عنه والعالم به بصير به وفي نور فيه.  
و﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ والعلم ذخر  
يجده صاحبه عاجلاً أو آجلاً وجّهه ينصر بها في الخطوب أيضاً.

للله الأمر من قبل ومن بعد.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> سقط من ق. ط.

NEW YORK UNIVERSITY PRESS  
*New York*

Copyright © 2019 by New York University  
All rights reserved

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

,Names: Yūsī, al-Ḥasan ibn Mas‘ūd, 1630 or 1631-1691, author. | Stearns Justin, 1974- editor translator. | Yūsī, al-Ḥasan ibn Mas‘ūd, 1630 ,or 1631-1691. Muḥāḍarāt fī al-adab wa-al-lughah. English. | Yūsī al-Ḥasan ibn Mas‘ūd, 1630 or 1631-1691. Muḥāḍarāt fī al-adab wa-al-lughah

Title: The discourses : reflections on history, Sufism, theology, and literature / Al-Hasan Al-Yūsī ; edited and translated by Justin Stearns

[Other titles: Title on Arabic added t.p.: [Muḥāḍarāt

Description: New York : New York University Press, 2021. | Includes .bibliographical references and indexes. | In English and Arabic

Summary: "The Discourses offers rich insight into the varied intellectual interests of an ambitious and gifted Moroccan scholar, covering subjects as diverse as genealogy, theology, Sufism, history, and social mores. In addition to representing the author's intellectual interests, The Discourses also includes numerous autobiographical anecdotes, which offer valuable insight into the history of Morocco, including the transition from the Saadian to the Alaouite dynasty, which occurred during al-Yusi's lifetime. Translated into English for the first time, The Discourses offers readers access to the intellectual landscape of the early modern Muslim world through an author who speaks openly and frankly about his personal life and his relationships with his country's rulers, scholars, and

-- commoners

.Provided by publisher

Identifiers: LCCN 2019040230 (print) | LCCN 2019040231 (ebook) | ISBN cloth) | ISBN 9780814789292 (ebook) | ISBN 9780814764831 9780814764572 (ebook)

Classification: LCC AC106 .Y8713 2021 (print) | LCC AC106 (ebook) | DDC 892.7/44--dc23

LC record available at <https://lccn.loc.gov/2019040230>

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.